الجمهورية التركية

جامعة دجلة

معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا

قسم : اللغة العربية والبلاغة

جهود علماء شبه القارة الهندية في النثر الفني
(خلال العصر المغولي)

إعداد

محمود نعسان

إشراف

الأستاذ المشارك مصطفى أونجو

ديار بكر - تركيا

٢٠١٧

الجمهورية التركية
جامعة دجلة
معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا
قسم : اللغة العربية والبلاغة

جهود علماء شبه القارة الهندية في النثر الفني
(خلال العصر المغولي)

إعداد
محمود نعسان

إشراف
الأستاذ المشارك مصطفى أونجو

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة (الماجستير)
في تخصص اللغة العربية وآدابها

ديار بكر ـ تركيا
٢٠١٧

TAAHHÜTNAME

SOSYAL BİLİMLERİ ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Dicle Üniversitesi Lisansüstü Eğitim-Öğretim ve Sınav Yönetmeliğine göre hazırlamış olduğum "Hind Alt Kıtası Alimlerinin Edebi Nesir Çalışmaları (Moğollar Dönemi Örneği)" adlı tezin tamamen kendi çalışmam olduğunu ve her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve Tez Yazım Kılavuzu'na uygun olarak hazırladığımı taahhüt eder, tezimin kâğıt ve elektronik kopyalarının Dicle Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü arşivlerinde aşağıda belirttiğim koşullarda saklanmasına izin verdiğimi onaylarım. Lisansüstü Eğitim-Öğretim yönetmeliğinin ilgili maddeleri uyarınca gereğinin yapılmasını arz ederim.

☐ Tezimin tamamı her yerden erişime açılabilir.

☐ Tezim sadece Dicle Üniversitesi yerleşkelerinden erişime açılabilir.

☐ Tezimin 1 yıl süreyle erişime açılmasını istemiyorum. Bu sürenin sonunda uzatma için başvuruda bulunmadığım takdirde, tezimin tamamı her yerden erişime açılabilir.

Mahmoud NAASSAN

KABUL VE ONAY

Mahmoud NAASSAN tarafından hazırlanan "Hind Alt Kıtası Alimlerinin Edebi Nesir Çalışmaları (Moğollar Dönemi Örneği)" adındaki çalışma, 25/ 10 / 2017 tarihinde yapılan savunma sınavı sonucunda jürimiz tarafından Temel İslâm Bilimleri Anabilim Dalı**,** Arap Dili ve Belagatı Bilim Dalında **YÜKSEK LİSANS TEZİ** olarak oybirliği ile kabul edilmiştir.

Prof. Dr. M. Edip ÇAĞMAR

Yrd. Doç. Dr. Yasin KAHYAOĞLU

Doç. Dr. Mustafa ÖNCÜ (Danışman)

الإهداء

إلى مَنْ يتأجَّجُ قلبي بفراقها احتراقاً

إلى مَنْ يفيضُ دمعي بذكراها مِدْراراً

إلى مَنْ يتشتَّتُ ذهني باستحضارها تِجْوالاً

إلى مَنْ يتلذَّذُ خيالي بقصَصِها شَغَافاً

أمّي ـ رحمها الله تعالى ـ أهدي إليها إنتاجي وثمرة بحثي

كلمةُ شكرٍ وتقديرٍ

الحمد والشكر لله ـ عزوجل ـ بأن جعلنا ممن يؤمن بالقرآن ، وشرفنا بنور الإيمان ، وأسبغ علينا بنعم الإسلام ، ووهبنا التصديق بكل ما جاء به سيد الأنام نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبعدُ :

فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بخالص الشكر وفائق الامتنان والتقدير إلى رئاسة الجامعة ، وعمادة الكلية ، والقائمين على معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا بجامعة دجلة لرعايتهم الكريمة ، وجهودهم الحميدة في سبيل البحث والتأهيل العلمي .

كما أشكر مَنْ غَمر هذا البحث باهتمامه وتفضل برعايته وقبول الإشراف عليه الأستاذ المشارك مصطفى أونجو الذي لم يألُ جهداً لتسديد ما اعوج ، وتقويم ما ضلّ ، وتصويب ما عدل بتوجيهاته الرشيدة ، ونصائحه المفيدة ، وملاحظاته الدقيقة ، فكان لها أطيب الأثر في سير هذه الرسالة .

ثم أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير وأسمى آيات العرفان إلى اللجنة المناقشة التي تفضلت بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وإلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث بتوجيه ملاحظةٍ ، أو تصحيح فكرةٍ ، أو ضبط كلمةٍ ، أو تسديد فقرةٍ ، فشكراً لهم مرة أخرى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ..... أ

قائمة الرموز والمختصرات ..... ز

المقدمة ١

التمهيد ٢٢

الفصل الأول ٦٠

اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية ٦٠

المبحث الأول ٦٠

اللغة العربية وانتشارها في شبه القارة الهندية ٦٠

أولاً ـ انتشار اللغة العربية وازدهارها : ٦٠

ثانياً ـ الأدب العربي ومفهومه ٨٦

ثالثاً ـ اللغة العربية ودورها في المدارس الدينية : ٩٤

المبحث الثاني ١٠٧

نهضة الثقافة العربية وتأثر سلاطين المغول بها ١٠٨

أولاً ـ الحركة اللغوية والأدبية ١٠٨

ثانياً ـ تأثر السلاطين بها ١٣٤

الفصل الثاني ١٤٨

النثر الفني العربي في شبه القارة الهندية ١٤٨

المبحث الأول ١٤٨

خصائص النثر الفني في شبه القارة الهندية ١٤٨

أولاً ـ النثر الفني ومفهومه ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

ثانياً ـ خصائصه الفنية : ١٥٩

أ ـ موضوعاته ١٦٠

ب ـ معانيه ١٦٥
ج ـ ألفاظه ١٧٠
د ـ أساليبه ١٧١
المبحث الثاني ١٩٦
أشهر الأدباء في النثر الفني ومؤلفاتهم فيه ١٩٦
الفصل الثالث ٢١٣
أنواع النثر الفني العربي في شبه القارة الهندية ٢١٣
المبحث الأول ٢١٣
الخطابة في شبه القارة الهندية ٢١٣
أولاً ـ أهميتها العلمية ٢١٧
ثانياً ـ أشهر الخطباء ومؤلفاتهم فيها ٢١٩
ثالثاً ـ أساليبها الأدبية ٢٢٥
المبحث الثاني ٢٢٨
الإنشاء والترسّل في شبه القارة الهندية ٢٢٨
أولاً ـ أهميتهما العلمية ٢٣٣
ثانياً ـ كُتَّابُهما وأشهر المؤلَّفات فيهما ٢٣٥
المبحث الثالث ٢٥٢
المقامات في شبه القارة الهندية ٢٥٢
أولاً ـ مفهوم المقامة ٢٥٨
ثانياً ـ عناصرها : ٢٦٠
ثالثاً ـ أشهر المقامات ومؤلفوها وأساليبهم الأدبية ٢٦١
رابعاً ـ شروح المقامات وحواشيها : ٢٧٤
المبحث الرابع ٢٧٧
القصص والحكايات في شبه القارة الهندية ٢٧٧

أولاً ـ مفهوم القصة اللغوي والاصطلاحي ٢٧٩
ثانياً ـ عناصر القِصّة ٢٨٠
ثالثاً ـ أنواع القِصّة ٢٨١
رابعاً ـ كُتّابها وأشهر المؤلفات فيها : ٢٨٩
خامساً ـ نماذج من القصص والحكايات ٢٩٠
المبحث الخامس ٢٩٨
صنعة الإهمال والإعجام في شبه القارة الهندية ٢٩٨
أولاً ـ مهارة الصناعة ٢٩٨
ثانياً ـ أشهر الكتب في صناعة الإهمال والإعجام ومؤلفوها ٢٩٨
خاتمة البحث ٣١١
المصادر والمراجع ٣١٦

ملخص البحث

إنّ علاقة العرب بالهند لم تشهد انقطاعاً منذ العصر الجاهلي ولا فتوراً بعد بعثة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فالهند بأحوالها الاجتماعية ، وأخبارها التاريخية ، وحياتها الثقافية كانت قريبة من جزيرة العرب وبحارها ، حليفة لأبنائها وتجارها ، متفتحة بموانئها وسواحلها .

ولمّا بعث النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وانتشر صيته عبر القارات ، كانت بعض المناطق من الهند قد وصل إليها الإسلام ، وبدأت دائرته تتسع عن طريق التجار والتواصل في صدر الإسلام والخلفاء الراشدين ، حتى جاء فتح بلاد السند على يد محمد بن القاسم الثقفي سنة /٩٣ هـ / خلال العهد الأموي ، وبقي الحكم العربي الإسلامي فيه نحو ثلاثة قرون ، وخلال تلك الفترة بدأ التجار ، والفاتحون العرب ، والعلماء المهاجرون يغرسون شجرة اللغة العربية في الهند وأطرافها ، ويعتنون بأصولها وآدابها ، فنمت بفنونها في تلك المناطق ، وترعرعت بأقسامها ، وانتشر ازدهارها بازدهار الإسلام .

ولما تبدلّت الأحوال السياسية في العهد العباسي ، وضعفت الخلافة تولى الحكم في البلاد دول إسلامية غير عربية ، كالغزنوية ، والخِلْجية ، والطُّغْلُقية ، وغيرها ، فهذه الدول بسلاطينها أحبّت العربية ودرستها شغفاً واحتراماً ، عقيدة وإعجاباً ، وذلك لكونها لغة القرآن والدين الإسلامي ، ولسان الثقافة والحضارة ، فأنشئت لذلك المدارس الدينية العربية ، وكثُر المنشغلون بتعلّمها وتعليمها، وأُلِّفت مؤلفات بالعربية ، ودام ذلك فترة حتى جاءت الدولة المغولية على الحكم ، وتولت السلطة في البلاد عام

/٩٣٢ هـ / ، وانتهجت في العناية بالعربية وآدابها ، وتوقيرها وإجلالها منهج أخواتها السابقات ؛ حيث قام رجال من الأعاجم في أرض الهندستان ، الذين نور الله بصائرهم وهداهم إلى سواء السبيل بالمساهمة في اللغة العربية وآدابها ، والخوض في دقائقها ، والاطلاع على أسرارها ، وبذلك انشرح صدور نخبة من اللغويين النجباء ، والكتّاب والأدباء ، والمفكرين الشعراء ، فكتبوا في فنون العربية ، وتركوا في مجالاتها أنواعاً من المصنفات القيمة ، والآثار الطيبة ، والمقالات النادرة فبعضها كتبتبالعربية ، وبعضها الآخر بغيرها من اللغات كالفارسية والأوردية والهندية.

وكان من فروع اللغة العربية التي وجدت مكانةً خاصّةً في الصدور ، وتاريخاً مجيداً في السطور، وآثاراً طيبةً في المكتبات النثر الفني في الأدب العربي بأقسامه المتعددة من الرسائل، والمقامات ، والخُطب ، والحكايات والقصص ، والابتكارات ، فجاءت مشاركة علماء شبه القارة في النثر الفني ومؤلفاته ، وخصائصه وسماته متباينةً ما بين الإبداع والأصالة والتطوير والحداثة وجزالة الألفاظ ، وهو الأكثر ، وما بين التقليد الموروث ، وتنميق الكلمات ، والسجع المكلّف وهو الأقل ، وكان هذا الفرع من الأدب العربي غنياً لدى أبناء شبه القارة الهندية، مرغوباً لدى كتّابه وأدبائه، فجاءت الكتابة الإنشائية في أقسامه بإبداع الأديب ، وأناقة الناثر ، وخيال الكاتب عذبة المعاني ، رشيقة الطراز ، بفضل العقول الناضجة ، والجهود المبذولة ، والهمم العالية في تلك المناطق رغم انعزالها جغرافياً ما بين سلسلة جبال الهملايا والمياه البحرية .

وأسهموا في مجالاتها العلمية ، واجتهدوا في مسائلها ، وكتبوا في جزئياتها حتى فاقوا أقرانهم في بعض الجوانب إبداعها ونقدها ، ودراستها وتحليلها ، ومحتواها وتركيبها ، ونالوا بذلك الإعجاب والتقدير ، والقبول والتقريظ من العلماء العرب والعجم ، وذلك كله في ظل الدولة المغولية وحماية سلاطينها ، ورغبتهم في التطوير ، وشغفهم بالعلم ، ورعايتهم للعلماء ، وتشجيعهم للدراسة ، وحبّهم للمطالعة ، وتمسّكهم

بالدين ، واعتزازهم بالقيم ، غير أن سنة الله قضت أن تتغير الأحوال بتغير النفوس ، وينصرم العهد الإسلامي في شبه القارة بعد سيادته على الأرض قرابة ثلاثمائة وأربعين سنة من الحكم المغولي وتنقلب الموازين بالاحتلال البريطاني سنة /١٢٧٣هـ/، وفرض سيطرة القوة والظلم والعدوان على أصحاب الحق والعدالة ، وأهل البصر والإبداع .

وهذ البحث يأتي استبياناً لخدمة علماء شبه القارة الهندية في النثر الفني للأدب العربي خلال هذا العصر ونهضته الثقافية والأدبية ، ويكشف النقاب عن بعض الفنون للغة العربية التي طالما تعرض للإهمال من قبل الدارسين والباحثين في الوطن العربي، لعله يُجدي نفعاً ، ويسدُّ ثغراً ، ويلمُّ شملاً بما اطلع عليه بصري ، وسطّر به قلمي . والله المستعان وعليه التُّكلان.

ÖZET

Arapların Hindistan ile ilişkileri cahiliye döneminden beri devam etimiştir. Bu ilişki İslam'ın zuhurundan sonra da kesintiye uğramamıştır. İslam'ın ilk yıllarında dört halife döneminde Hindistan'ın bazı bölgelerine İslam dini ulaşmış ve gittikçe yayılmıştır. Emevî döneminde Muhammed b. Kasım es-Sakafî eliyle h. 93 senesinde Hindistan fethedilmiş, yaklaşık üç yüz yıl Arap İslam egemenliği altında kalmıştır. Bu dönem içerisinde tüccarlar, Arap fatihler ve muhacir alimler Hind ve çevresinde Arap dilinin yaygınlaşmasını sağlamış, gramer ve edebiyatı ile ilgilenmişlerdir. Abbasiler döneminde siyasi durum değişmiş, hilafet zayıflamış ve Hindistan'da Gazneliler ve Tuğluklar gibi Arap olmayan İslam devletleri kurulmuştur. Bu devletler de Kur'ân ve Sünnetin dili olması hasebiyle Arap dili ve edebiyatına önem vermişlerdir. Bu amaç için okullar açılmış, Arap dilini öğrenen ve öğretenler çoğalmıştır. Arapça birçok eser telif edilmiştir. Arap dilinin sarf, nahiv, belagat, aruz, lügat, şiir ve nesrinde büyük bir hazine meydana getirilmiştir.

Mektup, makâme, hutbe, hikaye ve öykü gibi çeşitleriyle sanatlı nesir de Arap edebiyatının önemli dalları arasında yer alır. Hindistan yazar ve edebiyatçıları da sanatlı nesre rağbet etmişler bu alanda çok değerli eserler telif etmişlerdir. Sanatlı nesrin meseleleri üzerine çalışmalar yapmışlar, alt dallarında kalem oynatmışlardır. Bu çalışmalar üretkenlik, araştırma, analiz gücü ve muhteva gibi bazı açılardan kendi asırlarında yapılan diğer çalışmaları aşmıştır. Bu nedenle söz konusu çalışmalar Arap ve diğer alimlerden büyük bir takdir ve beğeni almıştır. Hindistan'da Arap edebiyatının bu verimli dönemi, İngilizlerin h. 1273 senesinde Hindistan'ı işgal etmeleriyle sona ermiştir.

Çalışmamız, Hindistan'ın Arap İslam egemenliği altında kaldığı ilk üç asır boyunca, Hindistan alimlerinin Arap edebiyatının sanatlı nesir konusundaki çalışmalarını ele almaktadır. Çalışmada bu sanatın kültürel ve edebî gelişimi üzerinde durulmuş, Arap diliniin ihmal edilen bazı sanatları üzerindeki sis perdesinin aralanması hedeflenmiştir.

Anahtar Kelimeler

Arap Edebiyatı, Sanatlı Nesir, Hindistan, Arap Dili.

ABSTRACT

Relations of the Arabs with India has been going on since the time of the ignorance (jahiliya). This relationship has not been interrupted after the appearance of Islam. Islamic religion reached and spread to some parts of India in the early years of Islam. India was conquered by hand of Mahammed b. Kâsım es-Sakafî in the Umayyad period and in the hijri 93 and have remained under Arab sovereignty nearly three hundred years. During this period, traders, Arab conquerors and refugee scholars have provided the Arabic language to be widespread in and around India and they were interested in grammar and literatüre of Arabic. During the Abbasids, the political situation changed, the caliphate weakened, and non-Arab Islamic states such as Gaznels and Tuğluks were established in India. These states have also attached importance to Arabic language and literatüre because it is the language of Qur'an and Sunnah. Schools have been opened for this purpose, and the people who learn and teach the Arabic language have multiplied. Many works in Arabic are written. a great treasure was created in morphology, syntax, belagat, aruz, dictionary, poetry and prose of Arabic language.

Artistic prose is among the important branches of Arabic literatüre such as letter, makama, hutba and story.Indian writers have also complied with the artistic tradition, and they have written very valuable works in this area. They have worked affairs of artistic prose and they wrote in their lower branches.These studies have overtaken other work which done in their own ages from some angles such as productivity, research, analysis power and content. For this reason, these studies have received a great deal of appreciation and appreciation from Arab and other scholars. All these scientific studies were carried out under the patronage of the Mongols state and sultans.This efficient

period of Arabic literature in India finished by the British occupation of India in hijri 1273.

Our work addresses artistic prose work of the first three centuries in India which in these three centuries India was under arabic Islamic rule. The study focused on the cultural and literary development of this art and aimed at the spacing of the fog on some neglected arts of the Arabic language

Key Words

Arabic Literature, Artistic Prose, India, Arabic Language.

قائمة الرموز والمختصرات

ص : الصفحة

ت : المتوفّى

م : الميلادية

هـ : الهجرية

ط : الطبعة

د : الدكتور

د . ت : دون تاريخ

د . ن : دون نشر

د . م : دون مكان نشر

د . ط : دون طبعة

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسانَ ، وعلّمه البيانَ ، وأنزل القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهُدى والفرقان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ النبي المختار ، وآله الطيبين الأطهار ، وأصحابه الميامين الأبرار ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمّا بعدُ ، فإن الهند كانت إحدى البلدان التي هبّت عليها نفحات الإسلام منذ أواخر القرن الأول الهجري الذي استطاع المسلمون وقتئذٍ طرق بابها وفتح بعض مدنها ، كالسِّنْد[١] ، ومُلْتان[٢] ، وبُلُوجِسْتان[٣] ، وإحكام السيطرة عليها بقيادة الشاب المجاهد

---

[١]ـ بالسين المشددة المكسورة والنون الساكنة ، وهي إقليم من أقاليم باكستان الآن ، وفي الماضي كانت مقاطعة من الهند في ولاية بمبئ يحدها شمالاً بلوجستان وبنجاب ، وشرقاً بلاد راجيوتانه ، وجنوباً الأوقيانوس الهندي ، وغرباً الأوقيانوس الهند وبلوجستان ، وقاعدة بلادها كرانجي . وقيل: إنها ممتدة إلى أرض أفغانستان حتى نهر ((هلمند)) .

وكان العرب في القديم يطلقون اسم السند على كل منطقة واقعة في غربي نهر السند بما فيه البنجاب الجنوبية ومقاطعة بلوجستان ، ويطلقون على البلاد الفسيحة العريقة الواقعة في شرقيها اسم الهند ، كما أشار إليه الدكتور محمد إرشاد في كتابه : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة والتاريخ والتراجم بالعربية (دراسة نقدية وتحليلة) ، جامعة بنجاب ـ لاهور ، الكلية الشرقية ، باكستان ، ٢٠٠٦ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) ، ص ١٢٧.

ومما يذكر هنا أن كثيراً من المؤرخين والمثقفين يعدّون مقاطعة السند مدخلاً لدخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية وانتشاره فيه لأول مرة ، وهذا يخالف الحقائق التاريخية حسبما ورد في كتبها ، إذ تقول كتب التاريخ القديمة بأن منطقة بلوجستان المعروفة آنذاك باسم (مكران) قد تم

محمد بن القاسم الثقفي سنة /٩٢ هـ/، وتأسيس قاعدة إسلامية فيها لتكون منطلقاً للدعوة إلى الله ، ونشر الرسالة، وهداية الخلق ، وتطبيق العدالة في البلاد الهندية كلها.

فتحها قبل فتح السند بزمنٍ ،وكان سلطان المسلمين قد ستقر فيها قبل أن يتم فتح الدّيْبُل وغيرها من مدن السِّنْد ، وكان يعين عليها الولاة من قبل الخلفاء الأمويين ولا يخفى هذا على كل قارئ للتاريخ ومطلع على رواياته.

وللوقوف على المسألة ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص١٢٧، وأبي المعالي أطهر المباركبوري ، العقد الثمين في فتوح الهند ومَنْ ورد فيها من الصحابة والتابعين ، دار الأنصار ،[القاهرة] ، . ـ د ط . ـ ١٩٧٧ م ، ص ٤٥ وما بعدها ،ومعين الدين الندوي ، معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن [الهند] ـ . د ط . ـ ١٣٥٣ هـ ، ص ٣٣ ، ومحمد عارف نسيم ،مقامات ويلورية لمحمد باقر المدراسي ، تحقيق ودراسة ، جامعة بشاور ، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ـ باكستان ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) مقدمة المحقق ، ص ١٥ الهامش١ .

[٢] ـ بضم الميم وسكون اللام ـ هي قاعدة مقاطعة كبيرة من ولاية بنجاب ، وكان هذا الإقليم (مُلْتان) محتوياً على مدن قديمة كسكهر ، وبرهمبور وغيره ويمتد إلى حدود بلاد كشمير ، تم فتحها في خلافة عبد الملك وإمارة الحجاج ، فتحها محمد بن القاسم الثقفي ، فدخلت في حوزة سلطان الأمويين ثم العباسيين إلى أيام المعتصم ، ثم استقل امراؤها المسلمون من أهل السنة ، ثم أخذها منهم القرامطة الإسماعيلية ، ثم سلبها عنهم السلطان محمود الغزنوي في بداية القرن الخامس الهجري . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ٥١ ، ومقامات ويلورية (مقدمة المحقق) ص ١٥ الهامش ٢.

[٣] ـ بُلوجسْتان ، ويقال : بلوشستان ، وهو إقليم يقع في جنوب غرب آسيا ، مقسم بين ثلاث دول ، وهي باكستان ، وإيران ، وأفغانستان ، وهي موطن الشعب البلوشي . ينظر : أبو الحسن علي الحسني الندوي ، رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، دار ابن كثير ، دمشق ـ سورية ، لبنان ـ بيروت . ـ ط ٣ . ـ ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م ، ٤٨/٣ .

وبعد الفتح الإسلامي لتلك المناطق ، واختلاط المسلمين العرب بأبنائها ، وحسن المعاملة لشعوبها ، وطيب الأخلاق والقول مع سكانها ، فبدأت العناية الإلهية تدركهم بالدخول إلى الإسلام أفواجاً ، وتأثروا بالمسلمين مدراراً ، فأقبلوا إليه بشوق وحماس ، ودافعوا عن مقدّساته بحبّ وإخلاص ، واحترموا شعائره بتعظيم واستئناس .

وهكذا ظلت تلك المدن تحت الحكم الإسلامي حتى العصر العباسي ، ولما ضعُفت سلطته في أواخر عهده ، بدأت الأطراف تنفصل عن مركز الخلافة ، فانفصلت السند أيضاً ، وقامت فيها وقتئذٍ إمارتان للمسلمين ، إمارة في الجنوب وعاصمتها المَنْصُورَة[٤]، وإمارة في الشمالوعاصمتها مُلْتَان .

ثم تعاقبت دول إسلامية غير عربية على فتح الهندستان ، كالغَزْنوية ، والغُورية ، والمماليك ، والخِلْجيّة ، والطُّغْلُقية ، والسادات ، وغيرها[٥] ، فقامت هذه الدول بقيادة سلاطينها وأمرائها بالفتوحات الإسلامية في أرض الهند ، وأُريق في ربوعها الدماء الزكية التي نبتت غرستها في العقول ، وأينع ثمارها في المصنفات ، وتخطّى عبقها إلى البلدان .

واستمر الأمر كذلك فترة طويلة حتى جاءت الدولة المغولية سنة /٩٣٢ هـ ـ ١٥٢٦م/ بقيادة بَابَر (ت ٩٣٧هـ ـ ١٥٣٠ م) الذي يُعدُّ مؤسِّساً لها ، وبدأ سلاطينهم يحكمونالهند ويسيطرون على مناطق واسعةٍفي أطرافها ، ويثبّتون قواعد دولتهم راسخةً في البلاد كلها ، حتى استطاعوا بذلك بسط سيطرتهم على كافة شبه القارة

---

[٤] ـ وهي مدينة في السند بناها محمد بن القاسم الثقفي (ت ٩٦هـ) من وراء البحيرة مما يلي الهند، وكذلك أنشأ بها مدينة أخرى وسماها المحفوظة . ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤١ الهامش ٢، والعقد الثمين ص ١٩٣ .

[٥] ـ وللوقوف على تاريخ هذه الدول ودورها السياسي ينظر مفصّلاً في تمهيد هذه الأطروحة .

الهندية[٦] ، ونفض الوثنية الهندوسية المحشوة بالخرافات والأساطير عنه بالإسلام وقيمه العليا ، وشريعته السمحاء، ودعوته للتوحيد والإخاء ، ومناداته للمساواة ومعاملته الحسنة بين الناس جميعاً ، وهو ما كان يجد أرضية خَصْبة في الهند التي كانت تعاني من التفرقة العنصرية ، ونظام الطبقات الناتج عن دياناتهم الباطلة ، ومعتقداتهم الفاسدة ، ولذلك تقدمت الحضارة الإسلامية في عهد المغول ، وازدهرت الثقافة العلمية ، وكثرت المآثر الطيبة ، وتعدّدت الفضائل العظيمة .

ومنذ دخول الإسلام إلى أرض الهند بدأت اللغة العربية وآدابها تثبِّت أقدامها ، وتكتسب ودَّ أهلها ، وتبهر أسماع دارسيها ببلاغتها العميقة ، ولغتها الفصيحة ، ومعانيها الواسعة ، حتى وجدت مكانة في قلوب أبناء المنطقة ، وتقديساً في حياتهم ، واستعطافاً لمشاعرهم ؛ لكونها لغة القرآن ، ولسان الدين الحنيف ، ودليل البحث العلمي الإسلامي رغم أنها لم تكن لغة أهل البلاد، ولا للفاتحين أرضها ، وما فتئت سائدة بقواعدها ، وصامدة بآدابها فترة طويلة إلى أن جاءت مساهمة أبناء شبه القارة الهندية في اللغة العربية وعلومها من النحو والصرف ، والمعاجم ، وقرض الشعر والبلاغة ، والأدب ، وغيره ؛ حيث ظهرت نخبة من الأئمة المحققين ، والأدباء

---

[٦] ـ شبه القارة الهندية يقع في جنوب آسيا ، ويحيط به شمالاً سلسلة جبال الهملايا الحصينة ، ومن الجهات الأخرى يحيط به البحار ، ويمتد جنوباً في المحيط الهندي ما بين بحر العرب في الجنوب الغربي ، وخليج البنغال ، وبحساب الطول والعرض فيمتد شبه القارة في جنوب آسيا ما بين خطي العرض /٨ـ ٣٧ / شمالاً ، وخطي الطول /٦١ـ ٩٨/ شرقاً .

ويضم كلاً من الهند ، وباكستان ، وبنغلاديش ، وسريلانكا ، وجزر المالديف ، وبورما، وأفغانستان ، ونيبال . ينظر : إسهامات علماء شبه القارة الهندية ص ١٥، وإسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، الدار العربية للكتاب ، [تونس ـ ليبيا] . ـ د ط . ـ ١٩٨٥ م ، ص ١١.

المتعمّقين، والبلغاء الناقدين، فاشتغلوا بالعلوم العربية في أنحاء المعمورة ، وأبدعوا في فنونها، ونقّحوا مسائلها ، وهذَّبوا دقائقها ، وكشفوا أسرارها ، حتى جُعلوا مضرب المثل في الإتقان والتدقيق ، والإبداع والإنتاج ، والإسهام والتطوير ، وذلك كأمثال الصَّغاني ، صاحب : العُباب الزاخر (ت ٦٦٠ هـ) ، والشيخ محمد طاهر الفتني ، صاحب : مجمع بحار الأنوار في غريب الحديث (ت ٩٨٦ هـ)، والسيد مرتضى الزبيدي البلكرامي ، صاحب : تاج العروس (ت ١٢٠٥ هـ) ، والأمير خسرو الذي ابتكر أنواعاً من البديع ، وغلام علي آزاد البلكرامي(ت ١٢٠٠هـ)الملقّب بحسّان الهند وقد ترك خلفه عشرة دواوين ، وأرجوزة في سبعة أجزاء، وقد حازت أشعاره وأراجيزه مميزات عظيمة ، وأظهرت بعض الأصالة والحداثة في قصائده بالإضافة إلى إدخال صور وأنواع من الأدب والبديع السنسكريتي إلى الأدب العربي وبلاغته ، وهو ما جعل علماء العرب والمسلمين أن يكبوا على كتبهم ، ويعتكفوا على آثارهم دراسة وشرحاً ، تلخيصاً واقتباساً ، مطالعة وإفادة .

كما أنجب شبه القارة الهندية جهابذة العلماء ، وكبار الصالحين ، ونوابغ الأدباء ، وعظام المحدّثين ، وأصحاب الطرق الصوفية ، والفنون الحِكْمية ، والعلوم الفنية ، الطبية ، وغيرها ، فتجلّت مواهبهم في العلوم النقلية والعقلية ، ورسوخهم في الفضائل والمبادئ ، وقدرتهم في الاجتهاد واستنباط الأحكام ، وظهرت مواقفهم في الجهر بكلمة الحق ، ومقارعة الباطل ، ومجانبة البدع ، ومحاربة محدثات الأمور ، وتحمّل الأذى في ذات الله ، والأخذ بالعزائم ، ورد تحريف الغالّ ، وانتحال المبطل .

وقد اتصفوا في ذلك كله بحدّة الذكاء ، وخصب الفكر ، وسعة الأفق ، واستحضار الموضوعات ، وسيلان القلم ، وكثرة التصنيف ، وتنوّع المسائل ، وزيادة الاطلاع .

غير أن هذا التقدم في الابتكار ، والصفاء في الذهن ، والتوسع في الخيال ، والتعدّد في المواهب لم تكن محصورةً على الذكور فحسب ، وإنما تجاوزت إلى شقائق الرجال أيضاً ، فها هو التاريخ الهندي يذكر صفحات مشرقة ، ومواقف رائعة لفُضْليات النساء في تلك البلاد ذوات التفنّن في الفضائل ، والبارعات في الفنون ، والمفكرات في الثقافة ، والمتضلعات في الآداب، والغيورات على الدين ، والمؤرِّخات في السير وطبقات الرجال والأعلام، فقمْنَ بالمشاركة في النهضة الثقافية، والحركة العلمية في كافة الفنون ما يدلُّ على أن شبه القارة الهندية قد وصل في العهد المغولي إلى الذروة في سائر المجالات ، وبلغ أرقى المستويات .

وكذلك ما يدلُّ على علوّ كعب أبنائه في العلوم ، وطول يدهم في الإنتاج ، وتقدم حضارتهم في الازدهار ما تركوه لنا من المكتبات العلمية العامة والخاصة التي تزخر بالكتب القيمة ، والمخطوطات النادرة، والتحف الأنيقة ، والكنوز المخفية عن الأنظار، فترى آثارها فيالمكتبة الآصفية ، ودِهْلِي[٧] ،

---

[٧]ـ هكذا في نطقها القديم (دِهْلِي) : وهي قاعدة بلاد الهند ، ويقال لها أيضاً دلّي ـ بتشديد اللام ـ وهي مدينة عظيمة ، تقع على الضفة الغربية من نهر جمنا، وقد اختلف في تمصيرها على أقوال ، فتحها السلطان شهاب الدين الغوري سنة /٥٨٩هـ / ، واتخذها قطب الدين أيبك عاصمة ملكه ، وبها أبنية عظيمة أثرية .

ولمّا جاء الاستعمار الإنكليزي إلى الهند فحرّفوه إلى ((دلهي)) فصارت تنطق بهذا أيضاً وكلا الوجهين جائز في الوقت الحاضر وينطق بهما .وسميت ((دِلْهي)) ؛ لأن أرضها كانت لينة غير متماسكة ؛ لأن ((دهول)) في اللغة الهندية ، معناها : التراب الغير المتماسك . وقال صاحب تاريخ الإسلام : بأن مكان المدينة ((دلهي)) تغير على الزمن ، فقد قامت أولاً حول المكان الذي يشغله ((منار قطب)) الآن قريباً من المطار ، ثم أخذت تزحف نحو الشمال حتى صارت على شاطئ نهر ((جمنا)) وأقفر مكانها الأصلي . ينظر : عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، الهند في

وعَلِيكَـــــــرَهْ[٨] ،ونَدوةُ العلمـــــــاءِ[٩] ، وكَرَاتْشِـــــــــي[١٠] ، وبِيشَـــــــاوَرْ[١١]،

العهد الإسلامي ، مراجعة وتقديم أبي الحسن علي الحسني الندوي ، دار عرفات ، الهند . ـ د ط . ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م (مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية) ، ص ٩٠ ـ ٩١ ، و معجم الأمكنة للندوي ص ٢٧ ، وعبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، . ط ١. ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ١٣٧ الهامش ١ .

[٨]ـ عَلِيكَرَهْ : وهي مدينة من مدن الهند ، وقاعدة مديرية باسمها في الولايات الهندية المتحدة ، وهذه المدينة كانت تعرف قديماً بكوئل ، تبعدعن كلكته / ٨٧٦ /ميلاً ، و/٩٠٤ / ميلاً عن بمبئ ، وبها قرية أثرية ، والجامعة الإسلامية الشهيرة باسم : جامعة عليكرة الإسلامية التي بدأ بتأسيسها السيد أحمد خان (ت ١٣١٥هـ) لتعليم أولاد المسلمين .ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ٣٨.

[٩]ـ ندوة العلماء : وهي جامعة تعرف باسم : دار العلوم ندوة العلماء الإسلامية العالمية تأسست عام /١٣١٠هـ / الموافق لعام /١٨٩٣ م/ بمدينة لكهنؤ في ولاية أودَهْ بالهند . ينظر : اللغة العربية في الهند ص ٢٤ـ ٢٥ ، ٢٧ـ ٢٨ .

[١٠]ـ وهكذا في المشهور وأصلها : كِراجي : ـ بكسر الكاف وإهمال الراء بعدها ألف وجيم فارسية مكسورة وياء تحتية ـ وهي من أشهر مدن الهند وأكبرها تقع على ساحل البحر بأرض السند وكانت في القديم تسمى دَيْبُل ، أو لاهِري ، وقد ذكر المؤرخون هذه المدينة من أعمال السند والحادثة التي جرت فيها محاصرة ملكها داهر الذي قتله محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ، وإليها ينسب جماعة من الرواة ، وهي الآن مدينة كبيرة في دولة باكستان . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٧٨ ،١١٦، وياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت .ـ ط ٢. ـ ١٩٩٥م ،٣/ ٢٦٧، ومعجم الأمكنة للندوي ص ٤٨.

[١١]ـ وهي مدينة كبيرة على نهر بارا ، وتشكل محطة للقوافل بين الهند وإيران وأفغانستان ، وأرضها جيدة كثيرة البساتين ، وفيها أبنية قديمة . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ١٦.

ورَامْبُورْ[١٢] ، ولَكْهَنؤ[١٣] ، وكَلَكُتَهْ[١٤] ، وحَيدَرْ آباد الدَّكَن[١٥] ، وغيرها من المكتبات المنتشرة في سائر شبه القارة الهندية ، وتمثل أكبر مصدر للمخطوطات القديمة وتاريخها الحضاري والثقافي خلال العهد الإسلامي الهندي ، هذا بالإضافة إلى مكتبات خاصة تحتوي على آلاف من المخطوطات والكتب مازالت بعيدة عن الأنظار،

---

[١٢]ـ رامْبُوْر : وهي إمارة كبيرة بروهيلكهند في الهند ، فقد فتحها وولي عليها فيض الله بن علي محمد خان ، فيها آثار إسلامية ومدارس قديمة ، فيها بلدة رام بور العامرة بقرب مراد آباد ، وهي كانت مقام الأمراء من أولاد علي محمد خان . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٩٣ ، ٢٥٩ .

[١٣]ـ لَكْهَنَؤ : وهي مدينة مشهورة وكبيرة في الهند تقع على ضفتي نهر كومتي ، وتبعد عن كلكتا /٦٦٦/ ميلاً، وعن بمبئ /٨٨٥/ ميلاً ، وهي أكبر المدن الهندية ، وبها أبنية فاخرة من مآثر أوَدَهْ، وكانت في عهد ملوك المسلمين المتأخرين مدينة زاهرة بالعلماء والمدارس . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ١٠١ ، معجم الأمكنة للندوي ص ٤٩ .

[١٤]ـ كلكته : وهي مدينة حديثة العهد ، مصّرها الإنكليز وقت الاحتلال على نهر هوكلي ، فجعلوها قصبة بلاد الهند ، كان يسكن بها الحاكم العام للهند من قبل انكلترا من سنين ، ثم انتقل مقر الحاكم إلى دهلي ، وهي من أكبر مدن الهند في العصر الحديث . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ١٠٧ .

[١٥]ـ وهي ولاية في الهند الجنوبية ، تُعرف بحيدر آباد دكن ، وتُسمّى بمملكة النظام أيضاً ، يحدها شمالاً برار و الولاية المركزية ، وغرباً ولاية بمبئ ، وجنوباً وشرقاً ولاية مدراس . وكانت قديماً خاضعة لسلطان دهلي ، حتى استقل بها النواب نظام الملك آصف جاه الأول الذي كان يحكمى عليها من قبل السلطان سنة /١٧١٩ م/ ، وعاصمة مملكة النظام بلدة حيدر آباد ، وهي واقعة على ضفتي نهر موسى ، وتبعد عن مدينة مدراس إلى شمالي شمال الغربي بـ / ٣٣/ ميلاً ، اختطها محمد قلي قطب شاه سنة /١٥٨٩ م/ ، وهي اليوم من أكبر مدن الهند ، وبها آثار إسلامية عظيمة ، وأبنية فاخرة .وحَيْدَرْ آباد أيضا : مدينة من مقاطعة السند في ولاية بمبئ ، وبها قلعة . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ٢٣ـ ٢٤ .

ومهجورة في الزوايا الصوفية ،والتكايا القديمة ، والمراكز المهملة التي لا يرشد إليها إلا من عاش في تلك البلدان ، وشارك أهلها في الفكر والوجدان .

وهكذا ظل حكم الدولة المغولية ردحاً من الزمن ، قوي البنيان ، شديد الهيبة ، واسع الأطراف ، دقيق التنظيم ، حسن الإدارة ، دينيّ الحكم ، ففي ظل العهد المغولي وسلاطينه قامت الحضارة الهندية الإسلامية ، وتطورت مفاهيمها في العلوم النقلية والعقلية، وأنشئت في ديارها الآثار الضخمة ، والمباني الرائعة ، والحصون الشامخة، والأضرحة المزيَّنة ، والهندسة العجيبة ، وتعمَّرت مشاريع الكثيرة ، والإصلاحات المتعددة ، وليس ذلك ببعيد عن القارئ البصير القلعة الحمراء ، والمسجد الجامع ، وتاج محل التي قام ببنائها ملوك المغول ، ومازالت قائمة إلى اليوم وتُعدُّ من أروع عجائب الدنيا في الهندستان ، وجمال طبيعتها ، وكلها تظل عنوان صدق وشاهد حقّ على الرقي الأدبي ، والذوق الفني ، والازدهار العلمي في تلك الفترة .

ثم شاءت إرادة الله أن يُقْضى على الحكم المغولي الإسلامي في شبه القارة الهندية بيد الاستعمار البريطاني ، وذلك بعد أن بقي حاكماً عليه، وقابضاً لزمام أموره /٣٤١/ سنة ، وهذا الاستعمار في الواقع لم يأت عفو الخاطر ، وإنما جاء عن تخطيط ودراسة منذ سنوات عديدة ، فبدأ بتنفيذ المشروع عبر إنشاء شركات باسم : الشركات الهندية الشرقية الإنكليزية ، والتودّد إلى حكام الهند ، وتقديم الهدايا المختلفة لهم ، وسلاطينُ المغول لا يُعيرون لهم بالاً ، ولا يعتبرون لهم مكانةً، ومن أصدق الشواهد على ذلك ما يتضح مما جاء في الوثائق التاريخية من أن سفير انكلترا هوكينز ظل سنتين ينتظر مقابلة السلطان جَهَانْكِير (ت ١٠٣٧هـ) المغولي دون جدوى ، حتى قال له أحد

الوزراء : إنه لا يليق بملك مغولي عظيم أن يقابل مندوب ملك جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون[١٦] .

ومع ذلك لم يقنطوا ولم ييأسوا من مخططاتهم ، بل استمروا في دسائسهم ، حتى تمكنوا في النهاية بعد تنفيذ خططهم من قبض آخر سلاطين المغولبهادُر شاه الثاني سنة / ١٢٧٣ هـ/ وحققوا مآربهم ، وبذلك تحولت سلطة الحكم في البلاد إلى الاستعمار الإنكليزي ، وبدأوا بنهب خيراتها ، وأخذ مواردها وسرقة تراثها الإسلامي العربي من المخطوطات الهندية ، والوثائق الثقافية والعلمية ، وتهجير كنوزها الفكرية إلى بريطانيا ، وأسّسوا لذلك مكتبة ضخمة من التراث الهندي الفكري المسروق تحت اسم: المكتب الهندي ، ولايزال قائماً إلى اليوم ، ويُعدُّ من اهم المراكز للمخطوطات الهندية في العالم .

وعلى الرغم من كثرة العلماء البارعين ، والأدباء المتضلّعين ، والأئمة المتفنّين الذين كانوا مفاخر المسلمين ، ونجوم الأرض في شبه القارة الهندية وخارجه ، وضخامة المصنّفات التي كتبت بأقلام أبنائه الأبرار ، فلا ترى من كتّاب العرب مَن اعتنى بتراجم تلك الشخصيات العظيمة والأعلام المشهورين ترجمةً وافيةً ولا تعريفاً جامعاً لهم سوى القليل ممن هاجروا إلى الدول العربية ، أو طالت إقامتهم فيها ، وهم يُعدون بأصابع اليد ، وفي هذا يقول عبد العلي الحسنيفي مقدمة نزهة الخواطر : ((إن هذه البلاد ـ يقصد الهند ـ المُنْجبة العامرة بالرجال التي لم يَغِبْ لها نجمٌ إلا وطلع لها نجمٌ لم تنل من عناية المؤرِّخين العرب ما كانت تستحقه ، ولم تَشْغَل من كتبهم

---

[١٦] ـ ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣١٤ـ ٣١٥ ، وزبيد أحمد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ترجمه عن الانجليزية وعلق عليه الدكتور عبد المقصود محمد شلقامي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، العراق . ـ د ط . ـ ١٩٧٨ (سلسلة الكتب المترجمة ٥٠) ، ص ٦ـ ٧ .

ومؤلفاتهم المكان اللائق بمجدها ، وكثرة رجالها ، وما ذلك إلا لبعد الديار ، وحيلولة البحار ، وانقطاع الأخبار ، وفوق ذلك كله كونُ كتب الأخبار ، وترجم الرجال في اللغة الفارسية التي يجهلها المؤلِّفون من العرب في طبقات الرجال والتراجم ، وذلك الذي حال بينهم وبين أن يترجموا للنبهاء وذوي الخطر من أبناء الهند ، وأن يوفوهم حقهم من التعريف والتنويه))[١٧] .

ونظراً لهذه الحضارة الهندية الإسلامية ، وشغفاً بعلومها العربية وآدابها ، واندهاشاً بجهود علمائها وأدبائها أردت أن أكتب فيها موضوعاً لعليّ أكشف به بعضاً من الفنون الأدبية لهؤلاء الأدباء واللغويين في أرض تلك البلاد الواسعة خلال العصر المغولي ، وأُبْصر القارئ بفيض من الجوانب الفكرية والثقافية التي أنتجتها العقول الهندية ؛ ولذلك اخترت هذا الموضوع ـ وإنْ كان واسع النطاق ، متشعّب الأفكار ، كثير الجوانب ـ وهو ليس بميسور إنجازه ، ولاسيما لدى شخص تتنازع فيه الأعمال التدريسية ، والظروف الصعبة ، التي طالما تقتضي انشغال الفكر ، وتشتت الذهن ، وعدم الدقة في أثناء الكتابة غير أني ـ بتوفيق من الله ـ كنت أشعر في أثناء قراءة البحث ، وجمع المادة ، وسياق التعبير بسكينة تغشاني ، وتملأ جوانحي ، وتغمر قلبي بما أسير فيه ، ويغلبني دافع الحبّ ، وشدة الحماس، وصولة الميدان ، وجولة التراث ، ومظاهر الرقي أن أتقدم في مسيري دون يأس أو هجر وكلل ، أو كآبة أو ضجر ، حتى انتهيت المسيرة العلمية ، والرحلة الأدبية بكل سرور ونشوة وشوق وراحة فيما بين يديّ من البحث .

---

[١٧] ـ عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، المسمى بـ : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، دار ابن حزم ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١ . ـ ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م ، مقدمةالإعلام ١٤/١ .

أسباب اختيار البحث :

لهذا الموضوع أسباب عديدة حفزتني إلى اختيار الكتابة فيه ، فكان من أبرزها مايلي:

ـ إعداد كتاب مستقلّ في النثر الفني العربي عن شبه القارة الهندية خلال العهد المغولي ، وذلك بدراسة وصفية ، ونقد تحليلي يشمل الأدوار التاريخية التي مرّ بها الأدب العربي في تلك الفترة الزمنية المحدّدة .

ـ استفراد البحث بالدراسة في تركيا ، وحيويته العلمية في جامعاتها المنتشرة في أرجاء البلاد ، إذ لم أرَ من الباحثين والكتّاب والأدباء مَنْ طرق باب الموضوع ، وكشف النقاب عن مادته ، وأعطاه نصيباً من بنات أفكاره ، ووحي قلمه ، فبقي مهملاً خفياً عن أنظار الدارسين والمفكرين ، ونقد الأدباء واللغويين ، حتى جاء هذا الموضوع مقرَّراً ، والتمسّك به مُعْتمداً .

ـ إبراز جهود علماء شبه القارة الهندية في الآداب العربية وفنونها ، والإقبال إليها مطالعة وتصنيفاً والاعتكاف عليها نقداً وتنقيباً ، والاستفادة منها إبداعاً وتحليلاً ، وبتلك المساهمة أظهر علماء الهند الثروة الأدبية ، والنهضة اللغوية التي طالما كانت بعيدة عن أنظار أدباء العرب والمسلمين ، ومهجورة في مكتبات راقدة يطمرها الغبار ، وتأكلها الأرَضة في زوايا المساجد ، وحُجُرات المدارس ، وتكيّات الطرق في تلك المناطق .

ـ قلّة الدراسات اللغوية المتخصِّصة بالأدب العربي وفنه النثري عن شبه القارة الهندية في العالم خاصّة ، والعالم الإسلامي عامّةً ، فرغم الدراسات الأدبية الكثيرة عن النثر الفني التي نالت الحظ الأوفر من بين العلوم العربية عند المفكرين العرب وكُتّابهم البارعين ، ودورهم البارز في الحركة الأدبية وكتابتها الإنشائية إلا أن أيديهم لم تصل

إلى اكتشاف الكنوز اللغوية الأدبية ، ودقائقها الإبداعية ، والوقوف على خزائنها المدفونة ، وطرائفها النادرة ، وأفكارها الزاهرة .

أهداف البحث :

للبحث أهدافٌ يُطمع من خلالها تحقيق الأمور التالية : ـ

ـ إحياء الآداب العربية وفنونها النثرية من الرسائل ، والخطب ، والمقامات ، والقصص والحكايات ، وغيرها في شبه القارة الهندية، ودراسة تطويرها التاريخي ، وازدهارها العلمي ، ورفع مستواها اللغوي والفكري .

ـ إبراز أهمية اللغة العربية وعلومها ، ودورها المؤثّر في بعث الروح الإسلامية والأدبية ، ونشر الدعوة ، ورسالة الإسلام بين أبناء مسلمي شبه القارة الهندية خاصّة والعالم الإسلامي عامّةً ، والتحمّس لها ، والاعتزاز بها ؛ لكونها لغة القرآن الكريم ، ودينه الحنيف ، ولسان نبيّه الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وبوصفها من أهم مقوّمات الوحدة الإسلامية ، وتوحيد ثقافتها الفكرية ، ونهضتها الخالدة .

ـ إنشاء روابط ثقافية ، وأفكار مشتركة بين المؤسَّسات التعليمية والمراكز العلمية ، وتبادل الآثار اللغوية والفنون الأدبية بين الدول العربية والبلدان الإسلامية ومنها شبه القارة الهندية عبر العربية وآدابها للمِّ الشمل ، وتلقيح المعلومات بين القلوب الواعية ، والعقول النيرة ، والمواهب الخفية التي أغفلتها العيون ، وأهملها الباحثون في العالمَينِ العربي والإسلامي .

ـ تذكير القارئ بما أثمرته المكتبة الهندية من ذخائر ، وما تركته العقول من آثار في تلك البلاد النائية المنسية التي قام أبناؤها النوابغ بالفضائل المختلفة ، والفنون

العديدة في كافة المجالات العلمية من الدينية ، واللغوية ، والعقلية ، والطبية ، والفلكية، وغيرها .

الدراسات السابقة عن البحث :

لقد أُعِدَّت دراسات علمية ، وبحوث قيمة حول اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية ، وقُدِّمت إلى الجامعات الهندية والباكستانية في أغلبها لنيل الدرجة العلمية (الدكتوراه أوالماجستير) للتخصص في المجالات اللغوية وآدابها .

وقد تضمّنت تلك الرسائل والأطروحات في مجملها ثلاثة أشكال من الموضوعات بمختلف اللغات ، فمنها : شملت اللغة العربية وآدابها عبر العصور ، وتناولت مسائلها بإيجاز دون تعمق دقيق ، ونقد بنّاء ، وتحليل وافٍ ، ومنها : تعرّضت لدراسة الشخصيات والأعلام المشهورين الذين كانت لهم مواقف رائدة ، ومساهمات بارزة ، ومشاركة قوية في الحركة الأدبية واليقظة اللغوية ، ومنها : اقتصرت على بعض الأقاليم والمدن ونشاطها الأدبي مع مراعاة حدودها الزمانية والمكانية .

ومن الجدير بالذكر أن مِمَّنْ قام بإعداد تلك الدراسات السابقة ، ودراسة موضوعاتها أبناء شبه القارة الهندية الأجلاء ، وكُتّابها البلغاء ، وإليك بعضاً منها على النحو التالي :

ـ تطور الأدب العربي في عصر السلطان أكبر وشاهجهان من سنة /١٥٥٦ـ ١٦٥٨م/، أعدّه محمد إبراهيم ، وقدّمه إلى جامعة علي كره بالهند ، وكتب بالأوردية سنة /١٩٩٧ م/ ، وهو غير منشور .

ـ مساهمة العلماء الهنود في تطور اللغة العربية وآدابها في العصر المغولي من سنة /١٥٢٥ـ ١٧٠٧م/ ، إعداد شبير أحمد الندوي ، وقُدّم إلى جامعة لكناؤ بالهند ، وكتب بالأوردية سنة / ١٩٧٨ م / ، وهو غير منشور .

ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، إعداد : زبيد أحمد الفاروقي ، ونال به درجة الدكتوراه من جامعة لندن ببريطانيا ، وكتب باللغة الإنكليزية سنة/ ١٩٢٩ م/ ، وهو مطبوع ، وتُرجمَ إلى العربية سنة /١٩٧٨ م/ ثم طبع في العراق ، ونشرته وزارة الثقافة والفنون .

ـ النثر الفني في شبه القارة الهندية ، إعداد : خالدة أمجد ، قُدّم لنيل درجة الدكتوراه إلى جامعة بنجاب ـ لاهور بباكستان وكتب بالعربية سنة /٢٠٠٦ م/ ، وهو غير منشور .

ـ مساهمة علماء دهلي في اللغة العربية وآدابها حتى عام /١٨٥٧ م /، أعدّه محمد شرف عالم ، وقدم إلى الجامعة الملية بالهند ، وكتب بالعربية سنة /٢٠٠٤ م / ، وهو غير منشور.

ـ مساهمة علماء مديرية جونفور في تطور اللغة العربية وآدابها من سنة/١٢٠٠ـ ١٣٠٠هـ/ وهو غير منشور .

ـ مساهمة ولاية رامفور في تطور اللغة العربية وآدابها، إعداد : حنا محمود ، وقُدّم إلى جامعة علي كره بالهند ، وكتب بالأوردية سنة /٢٠٠٤ م / ، وهو غير منشور .

ـ مساهمة مديرية بلكرام في النثر العربي ، إعداد : ثمينة بي ، وقُدّم إلى جامعة علي كره بالهند ، وكتب بالأوردية سنة /٢٠٠٢ م / ، وهو غير منشور .

ـ مساهمة ولاية بنجاب الشرقية في اللغة العربية وآدابها إلى سنة /١٩٤٧ م / ، إعداد : محمد عامر الصمداني ، وكتب بالأوردية سنة / ٢٠٠١ م / ، وهو غير منشور .

ـ مساهمة بنغلاديش في تطور اللغة العربية وآدابها ، إعداد : محمد هارون رشيد ، قُدّم إلى جامعة علي كره بالهند ، وكتب بالعربية سنة /٢٠٠٠ م / ، وهو غير منشور .

ـ الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين ، إعداد: أحمد إدريس ، وقد طبع في سنة / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨ م / .

ـ اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون ، إعداد : السيد رضوان علي الندوي ، وهو مطبوع في باكستان ، ونشرته جامعة كراتشي .

وهناك دراسات علمية أخرى قامت حول شخصيات ومدن هندية وباكستانية كُتِبت بأقلام أبنائها إلا أنني آثرت إلجام القلم ، والكف عن خوضها ، وتفاصيل ذكرها خشية الإطالة في البحث ، والملل في المتابعة .

وبعد هذا الاستعراض للرسائل والأطروحات يُلاحظ وجه التقارب أو التشابه بين ما اخترته موضوعاً ، وبين الكتب السابقة آنفاً، ولكن بعد دراسة وافية ، ومتابعة نقدية، وجولة استطلاعية سرعان ما يتلاشى وجه التقارب بينهما ؛ إذ جاءت معظم تلك الرسائل حول الأدب العربي مقتضبة في دراستها عن النثر الفني في العصر المغولي، وعامّة في موضوعاتها وعصورها ، وهو ما جعل أبحاث تلك الأطروحات فقيرة المادة في نثرها ، ضيقة الأفق في أقسامها ، كثيرة الاستطراد في أبوابها ؛ ولذلك جاءت هذه الدراسة محدّدة بمكانها وزمانها لعلها تسدّ ثغرة أمام القارئ ، وتقدم له فائدة يستعين بها في المجال الأدبي ، ويعتمد عليها في النثر الفني .

صعوبات البحث ومشاكله :

وقد واجهتني خلال هذا البحث مشاكل كثيرة ، وصعوبات جمّة ، ولولا لطف الله بي ورحمته عليَّ ، لسلكت مسلكاً آخر في الاختيار ، أو آثرت الترك في الحال ، وكان من أبرز تلك الصعوبات ما يلي :

ـ شُحُّ المكتبة الإسلامية والعربية بمصادر الكتب الهندية وتراثها الثقافي عامّةً ، وقلّة المصادر والمرجع اللازمة للبحث وندرة المادة العلمية لمسائله خاصّةً .

ـ صُعوبة التواصل مع شبه القارة الهندية ، ومراكزها العلمية ، وعدم التجاوب من موظّفي إدارة المكتبات العامة في تلك البلاد ، وكثرة التماطل الممل للباحث والتسويف الهالك للوقت من علمائها ومفكّريها .

ـ بُعْد المسافة ، وزيادة التكاليف ما حال بيني وبين السفر إلى تلك المناطق النائية ، والتزوّد بثقافتها الغنية ، وروافدها الفكرية ، والاطلاع على المؤلّفات العربية النادرة ، وفنونها اللغوية والأدبية .

ـ تعسّرُ فرز الأعلام وتصنيفهم بحسب الوفيات خلال العصر المغولي ، وإبراز جهودهم العلمية، ونشاطاتهم الزاهرة، ولاسيما أن معظم هؤلاء الأعلام ورجال الطبقات والشخصيات المرموقة تُرك تاريخ وفياتهم وولادتهم في كثير من كتب التراجم والطبقات مما يقتضي بذل المزيد من الجهد ، واستفراغ الوسع للوقوف على وفياتهم المحدّدة ، فكان ذلك يُورث عائقاً كبيراً أمام البحث ، ويبطِّئ تقدّمه نحو الأسرع .

منهجي في البحث :

لإعداد هذه الأطروحة قمت باتباع الخطوات التالية : ـ

ـ المنهج الذي اتبعته هو المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي، فقد تناولنا فيه بالدراسة والنقد بعضاً من الجوانب الأدبية ، وفنونها النثرية لأدباء شبه القارة الهندية ، وما تركوه لنا من الآثار اللغوية القيمة ، والتحف النادرة ، والمقتطفات الإبداعية عن الآداب العربية وأقسامها الفنية للمكتبة العربية ، والإسلامية في أرجاء المعمورة .

ـ شرح الكلمات الغامضة ، والتعريف بالمصطلحات العلمية من الناحية اللغوية والاصطلاحية التي ذُكرت في البحث وفق ما يتطلّبه البحث ، وتدعو إليه الحاجة .

ـ الاكتفاء بتاريخ وفيات الأعلام فقط دون التعريف بها إن وجد التاريخ للمترجم له، نظراً لكثرة وردوها ، ومشقة ذكرها .

ـ التعريف بالمدن ، والفِرق والمذاهب مختصراً ـ إن وجدت ـ مع الإشارة إلى بعض المصادر والمراجع التي تتحدث عنها ، وتعرّف بها في الهامش .

ـ تخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، والشواهد الشعريةفي البحث، وضبطها ضبطاً جزئياً .

ـ تشكيل الألفاظ المُشْكلة ، والكلمات الغريبة ؛ لتسهل قراءتها ، ويُفْهم معناها للقارئ .

ـ الاكتفاء بذكر عنوان الكتاب المشهور به وحده عند ورود المصدر أو المرجع لأول مرة في الهامش إن لم يكن ثمة تشابهٌ في أسماء الكتب ، والتباسٌ ببعضها ، وإلا ذكرت مع اسم كل كتاب مؤلفه تفادياً من الخلط بين المصدرين ، وتفريقاً بينهما .

ـ استخدام علامات الترقيم من التعجب ، والاستفهام ، والفاصلة المنقوطة ، وعلامات التنصيص ، ونحو ذلك مما يقتضيه طرق البحث ، وقواعد الكتابة العربية وإملائها .

ـ تقييد النصوص المنقولة بين علامتي التنصيص هكذا : (« .... ») إن كانت مروية بنصها من غير تصرف ، ثم أحلت القارئ إلى مظانها في الهامش ، وأمّا إن تصرّفت فيها بزيادة أو حذف أو تغيير ، فأشرت إلى المصدر في الهامش بقولي: (ينظر: المصدر الفلاني) دون وضعها بين علامتي التنصيص في المتن.

ـ تزويد الأطروحة بفهرس الموضوعات المرتبة بحسب خطة البحث وفهرس المصادر التي رتبتها على الحروف الهجائية ، مبتدئاً باسم المؤلّف ، فعنوان الكتاب ومعلومات النشر مفصّلاً دون مراعاة الألقاب العلمية المستعملة في الجامعات وغيرها، كالدكتور ، والشيخ ، والسيد ، والإمام ، ونحو ذلك .

ـ ترتيب أنواع النثر الفني في الفصل الثالث يأتي بحسب أهميته العلمية في شبه القارة الهندية ومدى عناية العلماء بها .

خطة البحث :

أمّا الخطة التي وضعتها لإعداد هذه الرسالة ، فتتألف من: مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة فصول، وإليك بيانَها على النحو التالي : ـ

أولاً ـ **المقدمة** : فقد بيّنا فيها نبذة موجزة عن شبه القارة الهندية الإسلامي ودوره الحضاري والثقافي ، وعرضاً سريعاً لأهمية اللغة العربية في المنطقة ، ثم ذكرنا أسباب اختيار البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة عنه ، والصعوبات التي واجهتنا في أثناء الكتابة بالإضافة إلى بيان الخطة التي سلكناها في هذا المشروع العلمي .

ثانياً ـ **التمهيد** : فقد بينا فيه لمحة موجزة عن تاريخ شبه القارة الهندية الأسلامي عبر العصور المختلفة بدءاً من دخول الإسلام إلى أرض الهند وانتهاءاً بالاحتلال البريطاني لشبه القارة وجعلنا ذلك مدخلاً للبحث العلمي .

ثالثاً ـ **الفُصول** : فقد قسّمناها إلى ثلاثة فصول، وهي تتضمن مباحث وفق التقسيم التالي:

الفصل الأول : يتناول اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية ، وقد قسمناه إلى مبحثين :

فالأول : تكلمنا فيه عن اللغة العربية وانتشارها في شبه القارة ثم تعرجنا إلى الأدب العربي ومفهومه اللغوي والاصطلاحي وتأثر اللغة العربية بالمدارس الدينية.

والثاني : خصصناه للنهضة الثقافية وتأثر سلاطين المُغُول بها ، وعالجنا ذلك من خلال عنوانين أحدهما: الحركة اللغوية والأدبية ، وثانيهما : تأثر سلاطين المغول بها.

والفصل الثاني : يتضمن النثر الفني في شبه القارة ،وقد جعلناه مبحثين أيضاً ، فالأول : مهدناه بالنثر الفني ومفهومه ثم تطرقنا فيه إلى خصائص النثر الفني من حيث موضوعاته ، ومعانيه ، وألفاظه ، وأساليبه .

والثاني : بيّنا فيه أشهر الأدباء ومؤلفاتهم فيه ذاكراً في تراجمهم فكرة عن المترجَم له مع الإشارة إلى مصنفاتهم اللغوية والأدبية فقط .

والفصل الثالث : يشتمل على أنواع النثر الفني في شبه القارة الهندية ، ويأتي في خمسة مباحث :

فالأول : تحدثنا فيه عن تمهيدٍللخطابةوأهميتها العلمية في شبه القارة ، وأشهر الخطباء ومؤلفاتهم فيها مع ذكر نماذج من كتب الخطابة ، ثم أردفنا ذلك بأساليبالخطابة الأدبية .

والثاني : جعلناه للإنشاء والترسل ومفهومهما بتمهيدٍ مع بيان أهميتهما العلمية في شبه القارة مشيراً إلى كتّابهما ، وأشهر المؤلفات فيهما ، وعقبنا ذلك كله بذكر نماذج من الرسائل الإنشائية لكل كتابٍ على حدة ، وبيان أساليبها الأدبية .

والثالث : يحتوي على تمهيدٍ ، ومفهومٍللمقامات اللغوية والاصطلاحية ، وعناصرهاوأهميتها العلمية في شبه القارة ، وأشهر المصنفات فيها مع توضيح أساليبها الأدبية ، وأسماء مصنفيها ، وذكر مقتطفات منها .

والرابع : تعرضنا فيه للقصص والحكايات، بالحديث عن أهمية القصة وتاريخها، وتوضيح عناصرها ، وكتّابها ، وأشهر المؤلفات فيها ، ثم ختمنا المبحث بسرد نماذج من القصص والحكايات .

والخامس : تحدثنا فيه عن صنعة الإهمال والإعجام في شبه القارة ، وأشرنا إلى مهارة الصناعة وبراعة أهلها في الموضوع ، كما أوردنافيها أشهر الكتب في تلك الصنعة ومؤلفيها مع ذكر بعض الأمثلة وبيان أساليبها الأدبية ، وقدرتها اللغوية .

وبعد ذلك أتممنا البحث بذكر الخاتمة ، وأوردنا فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها ، وقد ختمنا الموضوع بفهرس المصادر والمراجع ، ومحتوى الموضوعات .

وفي الختام لسنانذّعي في هذا المجال الإصابة فيما كتبناه، ولا الإحاطة بما قدّمناه ، ولا السبق فيما حققناه ، فالكمال لله وحده ـ عزوجل ـ ، والعصمة للأنبياء ، ولكن

حسبنا من ذلك ما بذلنا من جهدٍ وتعبٍ ، وإرهاقٍ ومشقةٍ ، وسهر ومطالعة ، وجمع ومتابعة ، وتحقيق ومقارنة ، فإن كنا مصيبين في ذلك فعليه نحمد ، وإن كنا غير ذلك فعليه نستغفر ، وبه نعترف .

واللهَ نسأل أن يجعل هذا السِّفر خدمة للدين الإسلامي ، ورفعة للأدب العربي ، وحفظاً للتراث الإنساني . وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

كانت علاقة العرب بالهنود قائمة منذ العصور القديمة، وصلتهم بهم قوية ، وذلك بفضل العلاقات التجارية ، التي كانت تشكل روابط وطيدة بين الدول العربية وبلاد الهند عبر الموانئ المطلة على المحيط الهندي ، كميناء كُجْرَات[١٨] ، ومَالَابَار[١٩] حيث كانت تستقر سفن التجار فيها ، ويتم تبادل البضائع والإرسال عن طريقها بالإضافة إلى إقامة الجاليات الهندية في بلاد العرب وسواحلها وتعيش مع قبائلها والتمسك بتقاليدها القديمة وعاداتها الهندية في الحياة الاجتماعية ، وهو ما جعل حضارة الهند القديمة بثقافتها العتيدة وفنونها المتعددة قريبة من الثقافة الفكرية للعرب ، وممزوجة بعلومها الأدبية ، ومتداخلة في حياتهم الاجتماعية .

---

[١٨] ـ ـ بضم الكاف وسكون الجيم ـ هي صقع طويل بأرض الدكن ممتدّ من شمالي نهر نربدا إلى كج وكاتهياوار ، وتشتمل على أربع مديريات بمبئ : أحمد آباد ، كيرا ، ويانج محال ، وبروج ، وكُجْرات : أيضاً مدينة هي قاعدة مديرية باسمها في ولاية بَنْجاب ، دخلها التجار من العرب المسلمين في القرن الرابع للهجرة وافتتحها السلطان محمود الغزنوي في مبتدأ القرن الخمس وكانت فيها دولة مستقلة للمسلمين ملوكها يعرفون بآل مظفر ، ثم أخذها منهم التيموريون ملوك دهلي . ينظر : معجم الأمكنة ص ٤٥ـ ٤٦.

[١٩] ـ ويقال : مَلِيْبَار ـ بفتح الميم وكسر اللام ـ وهي مقاطعة حسنة في ولاية مِدْراس بالهند ، تمتد على ساحل البحر من جنوبي الكتارة إلى شمالي كوجين ، وقاعدة بلادها كاليكت ، ويقع ميناؤها على الساحل الغربي من الهند الجنوبيّة . ينظر : معجم الأمكنة ص ٥١ ، ومقامات ويلورية ص١٤ الهامش ٥.

وقد ازدادت هذه الصلة ، وتعمّقت جذورها ، وتوسّعت دائرتها لما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية ودخل العرب في دين الله أفواجاً ، وذاع صيته في العالم انتشاراً، وكان من ضمن تلك البلدان التي دخلت إلى الدين الحنيف بلاد الهند التي كانت تأكلها الوثنية الهندوسية وتحشوها بالخرافات ، وتملؤها بالأساطير والترّهات ، وذلك بفضل التجار الذين حطُّوا الرِّحال في تلك البقعة ، واختلطوا بأهلها ، وتعاملوا مع ذويها وحكامها بحسن المعاملة ، وطيب الصحبة ، وصدق القول ، وصفاء الروح ، ودمث الأخلاق ، وضربوا من خلالها أروع دعوة إلى التوحيد الخالص لله ، وأمثل قدوة للإخاء والمساواة بين الناس جميعاً ، فارتاح أهل الهند بهذا السلوك وانشرحت قلوبهم لهذا الدين ، ولبّى دعوته الناس .

ولمّا امتدت الفتوحات الإسلامية ، واتسعت رقعتها في كثير من البلدان الآسيوية والإفريقية، فاتجهت أنظار المسلمين إلى شبه القارة الهندية ، وبدأ التفكير فيه حقاً في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وذلك حينما فكّر واليه على البحرين وعُمَان، وهو عثمان بن أبي العاصي الثقفي سنة/١٥هـ/ في تسيير جيشه إلى الهند، وفي هذا الصدد يقول البلاذري :((ولّى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عثمان بن أبي العاصي الثقفي البحرين وعُمَان سنة خمس عشرة ، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ، ومضى إلى عُمَان فأقطع جيشاً إلى تانه[٢٠] ، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يُعلمه

---

[٢٠] ـ بالتاء المثناة ، ثم الألف فالنون بعدها هاء ساكنة ، وهي في الأصل معربة (تهانه) ، وهي مدينة تقع على ساحل الهند الغربي شمال بومبائي في جمهورية الهند ، وهي اليوم مديرية قريبة من بومبائي على بعد /٢٥/ كيلو متر ، ثم جاء ضبطه هكذا (تانه) في كثير من الكتب وهو ما رأيته في النسخ المعتمدة للمؤلف ، خلافاً لما نقل الشيخ محمد بن عبد الله الأنصاري الإحسائي في كتابه تاريخ الإحساء عن البلاذري دون تحقيق ولا ضبط في الكلمة حيث قال ـ أي البلاذري ـ : ((أن عثمان بن أبي العاصي أرسل جيشاً من عبد القيس إلى نانه ـ بنونين بينهما ألف ـ بلدة قريبة من

ذلك ، فكتب إليه عمر : ((يا أخا ثقيف ، حملْتَ دُوداً على عودٍ ، وإني أحلفُ باللهِلو أُصِيبوا لأخذتُ من قومِكَ مثلَهم))، ووجه الحَكَم أيضاً إلى بَرْوَص[٢١] ، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى خَوْر الدَّيْبُل[٢٢] ، فلقي العدوّ فظفر به ...))[٢٣] .

بومبائي في بلاد الهند ...))، ثم استدرك عليه القاضي المباركفوري مُستغرباً بقوله: ((ذكر (نانه) مع الضبط في هذه العبارة شيء عجيب ، وإنما هو (تانه) بالتاء المثناة ، ثم الألف ثم النون بعدها هاء ساكنة ...)) .

ينظر : أحمد بن يحيى البلاذري ، فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال بيروت ـ . ـ د ط . ـ د ت ، ص ٦٠٧ ، والعقد الثمين ص٤٢، ٤٤ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٠١ الهامش ١، والسيد شاهد رسول كلكلخيل ، العلامة محمد أنور شاه الكشميري في ضوء إنتاجاته الأدبية والعلمية ، الجامعة الإسلامية ـ بهاولبور ، قسم اللغة العربية وآدابها ، باكستان ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة)، ص ٤ الهامش ، وإسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص /٢٤/ الهامش /٧/ .

[٢١] ـ وهي معرّبة (بَهروج) كانت من أشهر مدن الهند البحرية ، وتقع الآن في شمال مدينة سورت في ولاية كُجْرات ، شمالي بومبائي بجمهورية الهند ، وقديماً كان بها ميناء لكنه فقد أهميته على مر الزمن . ينظر : العقد الثمين ص ٤٤ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٠٢ الهامش ١، وكتاب : العلامة محمد أنور شاه الكشميري ص ٤ الهامش .

[٢٢] ـ الدَّيْبُل ـ بفتح الدال المشددة وسكون الياء ـ : كانت مدينة على ساحل بحر الهند في السند بمقربة من كراتشي ، واليوم هي خرابة انكشفت آثارها وأطلالها ، وتقع في الهند الجنوبية في إقليم السند . ينظر : معجم البلدان ٤٨١/٣ ، والعقد الثمين ص ٤٢ـ ٤٤ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٠٥ الهامش ١ ، وإسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٢٤ الهامش ٧ .

وخَوْر ـ بفتح أوله وتسكين ثانيه وآخره راء مهملة ـ وهو عند عرب السواحل كالخليج ، وقيل : أصله هور فعرّب ، فقيل : خَوْر ، ثم جمع على الأخوار ، وقد أضيف إلى عدة مواضع . ينظر: معجم البلدان ٤٠٠/٢.

[٢٣] ـ فتوح البلدان ٦٠٧ .

وبعد تحذير عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هذا الأمير منعه من الإقدام على غزو الهند ، وانكفأ عن التفكير فيه حرصاً على المصلحة العامة للمسلمين ، وخشية من المجازفة بالجيش الإسلامي فيما لا يُحمد عُقباه .

ولمّا وُلِّي عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الخلافة وقد فتح المسلمون العراق وبلاد فارس ، طلب من عامله على العراق عبد الله بن عامر بن كرير أن يوجّه إلى ثغور الهند مَنْ يُعلمه عنها ، فوجّه إليها حُكَيْم بن جَبَلة العبدي ، فلما رجع أوفده إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ فسأله عن حال البلاد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عرفْتُها ، فقال : صِفْها لي ، قال : ماؤُها وَشَلٌ[٢٤] ، وثمرُها دَمَلٌ[٢٥] ، ولِصُّها بَطَلٌ ، إنْ قلَّ الجيشُ فيها ضاعُوا ، وإنْ كثروا جاعوا ، فقال عثمان : أخابِرٌ أنت ، أم ساجِعٌ ؟ فقال :

وينظر : العقد الثمين ص ٤٠ وقد علق على هذه الفتوحات القاضي أبو المعالي المباركفوري في المصدر السابق قائلاً: ((هذه من أقدم ما وجدنا من غزوات الصحابة وفتوحاتهم في الهند ، وهذه الرواية مجملة في نفسها ، ولكنها مفصلة بالنسبة لما بعدها من الروايات ، وفيها أن عثمان بن أبي العاصي وجه أخاه الحكم إلى تانه ، وبروص ، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى الديبل)) .

[٢٤] ـ أي : قليل ، والوَشْلُ : الماءُ القليل يتحلَّبُ من جبلٍ أو صخرةٍ ولا يتصَّل قطرهُ . ينظر : الطاهر أحمد الزاوي ، ـ ترتيب القاموس المحيط ، الدار العربية للكتاب ، [تونس ـ ليبيا] . ـ ط ٣ . ـ ١٩٨٠ م ، ٢١٣/٢ مادة (وشل) .

[٢٥] ـ أي : ردئٌ ، والدَّمالُ : التّمْر العَفِنُ الأسود القديم . ينظر : ترتيب القاموس المحيط ٢١٣/٢ مادة(دمل).

بل خابرٌ ، فترك عثمان غزوها[٢٦] ، وصرف المسلمين عنها[٢٧] .

هذا ولم تنته خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حتى انتشر المسلمون على حدود السِّنْد يستطلعون أخباره وأحواله جنوباً حتى البحر[٢٨] .

ولمّا تولى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الخلافة ، أذن في أواخر سنة /٣٨هـ / وأوائل سنة /٣٩هـ / للحارث بن مرة العبدي الذي تطوع لغزو الهند بأن يتوجه إلى ذلك الثغر، فظفر في المعركة ، ونال غنائم وأسلاباً كثيرةً ، وفي آخر سنة /٣٨هـ / وكذلك وجَّه علي ـ رضي الله عنه ـ تاغر بن دعر إلى ثغر الهند قائداً للجيش،

---

[٢٦] ـ وفي بعض الكتب التاريخية جاء اسم عمر بدل عثمان ـ رضي الله عنهما ـ ؛ وذلك كما في فتح مَكْران الثاني ، حيث كتب الحكم بن عمر و الثعلبي إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بالفتح مع صحار بن عباس العبدي فجاء إليه مبشّراً بفتح هذه المدينة ، وأجاب على سؤال عمر ـ رضي الله عنه ـ عن هذه البلاد ، قائلاً : يا أمير المؤمنين ، أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وثمرها دقل ، وعدوّها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر منها ، فقال : ((أسجاع أنت ، أم مخبر ؟)) ، فقال : لا ، بل مخبر ، قال : ((لا ، واللهِ لا يغزوها جيش لي ما أطعت)) ، وكتب والي الحكم بن عمرو إلى سهل ((أن لا يجوزون مكران أحد من جنودكما ...)) . ينظر : العقد الثمين ص ٤٧ـ ٤٨ ، ٦٥، وخليفة بن خياط الشيباني البصري ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، دمشق ـ مؤسسة الرسالة ، بيروت . ـ ط ٢. ـ ١٣٩٧م ، ١٨٠/١ .

[٢٧] ـ ينظر : فتوح البلدان ص ٦٠٧ ، وأحمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ـ مصر . ـ د ط . ـ د ن ، ٥٦/١ـ ٥٧ ، والعقد الثمين ص ٦٩ـ ٧٠.

[٢٨] ـ ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ٥٧/١.

وقد غزا المسلمون البلاد ، وفتحوا مناطق عديدة ، وأصابوا مغنماً كثيراً، وكان من تلك المناطق المفتوحة القِيْقان[٢٩]، وقد تحقَّق ذلك بعد قتال عنيف مع القيقانيين[٣٠].

وفي أيام معاوية بن أبي سفيان غزا ذلك الثغر سنة /٤٤هـ/ المهلب بن أبي صفرة، فسار إلى قَنْدابِيل[٣١] ، والتقى بالعدو فهزمهم وتمكن من فتح بعض المدن وأخذ الغنائم منها .

كما قام في عهده أيضاً عبد الله بن سوار العبدي في سنة /٤٥هـ/ بمهمة غزو شواطئ الهند، فافتتح القِيقان ، وأصاب غنائم وعاد بها إلى بيت المال للدولة ، وأقام عند معاوية ، ثم رجع إلى القيقان ، وقد اجتمع الترك لقتاله فالتقى بهم ، فاسْتُشْهِدَ هو ومن معه بعد القتال معهم وقد تغلبت الترك على بلاد القيقان ، وذلك سنة /٤٧هـ /[٣٢].

وهكذا ظل المسلمون يطرقون أبواب الهند ويصيبون من غنائمها ، وتتوالى غاراتهم عليها حتى جاء عهد الحجّاجُ بن يوسف الثقفي عاملُ الوليد بن عبد الملك الأموي على العراق وتوليته عليه سنة /٧٥هـ / ، وقد اختار الحجاج ابن أخيه محمداً

---

[٢٩] ـ والقِيقان : من بلاد السند مما يلي خراسان ، واسمه الجديد : قلات ، وهي من مناطق بلوجستان في إقليم باكستان . ينظر : فتوح البلدان ص ٦٠٨، والعقد الثمين ص ٨٣ ، وإسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٢٥ الهامش ٥.

[٣٠] ـ ينظر : فتوح البلدان ص ٦٠٧ـ ٦٠٨ ، والعقد الثمين ص ٨٢ـ ٨٣ ، وعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري ، عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١. ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م ،٧٢٩/٢ ، ٣٥/٣ ، و تاريخ خليفة بن خياط١/٢٠٠.

[٣١] ـ وهي مدينة في السند ، قصبة لولاية يقال لها : البدهة . ينظر : العقد الثمين ص ٩٢.

[٣٢] ـ ينظر : العقد الثمين ص٩٦ ، وفتوح البلدان ص٦٠٨ ـ ٦١٠ ، والكامل في التاريخ ٣٥/٣ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢٠٠/١ .

بن القاسم الثقفي أميراً للحملة على السِّنْد[٣٣] ، وذلك سنة /٩٢هـ/، وقد توجّه بجيوشه إلى السند ، فاستولى على ثغر دَيْبُل ، ومُلْتان، وغيرها ، ثم استولى آخر الأمر على عاصمة ملك السند داهر البرهمي راوَرَ[٣٤] بعد هزيمته منها وقتله ، وأصاب مغنماً كثيراً من أمواله وأسر جنوده[٣٥] ، وبذلك قد تم فتح السند في الفترة ما بين /٩٢-٩٦هـ/ على يد ذاك القائد الشاب (ت ٩٦هـ) بتوجيه من الدولة الأموية .

ولمّا انتهى القائد الفاتح محمد بن القاسم من تلك الفتوحات الإسلامية ، والغارات المتتالية على تلك البلاد وفتحها حتى جاءه خبر وفاة عمه الحجَّاج سنة /٩٥هـ / ،

---

[٣٣] - وكان لتلك الحملة على السند وفتحه أسباب سياسية ، منها : لجوء الأخويين الثائرين العلافيين على والي مكران الأموي إلى بلاد داهر البرهمي المعروف بـ (راور) في السند ، اللذين قتلا والي مكران وهربا مع خمسمائة من أنصارهما إلى داهر ، ومنها : غضب الحجاج على داهر بسبب نهب سفينة متجهة إلى البصرة من قبل قراصنة البحر قرب الدَّبْبُل ، ورفض داهر إعادة الأمتعة المنهوبة وإرجاع النساء المسلمات الأسيرات لادعائه بأنه لا سلطان له على هؤلاء القراصنة ، ومنها : الرغبة في توسيع رقعة البلاد الإسلامية وضم تلك الأراضي المترامية الأطراف إلى سلطة الخلافة ونشر الإسلام فيها . ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٢٧- ٢٨ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٥٧/١- ٥٨ ، وأحمد إدريس ، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، [القاهرة] . - ط ١ . - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ،ص ٢٩- ٣١.

[٣٤] - وعُرِفَتْ هذه المدينة أيضاً باسم : آلولي. ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة ٦٣/١ الهامش١.

[٣٥] - ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٠٥- ١٠٦ ، والعقد الثمين ص ١٣٥ وما بعدها ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة٥٨/١ وما بعدها ، وفتوح البلدان ص ٦١٢ وما بعدها ، والكامل في التاريخ ١٨/٤ ، وعبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون الأشبيلي ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن ألأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، - ط ٢ . - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ،٣/ ٨٣ .

وبعده نبأ وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وتولية سليمان بن عبد الملك مكانه ، وعلى إثر ذلكأصدر أمراً بتعيين صالح بن عبد الرحمن على العراق ، وعزل محمد بن القاسم الثقفي ، وحمله إلى العراق مقيّداً

بالسلاسل ثم وضعه في السجن ، ومكث فيه حتى وافاه الأجلُ[٣٦] .

ولمّا انتقلت سلطة الحكم إلى الدولة العباسية ، انتقل حكم السند كذلك إليها ، وأرسل خلفاء الدولة العباسية الولاة إلى ثغر السند لكونها تابعة لدولتهم ، واستقر لهم الأمر فيها ، حتى جاء عهد أبي جعفر المنصور ؛ حيث تم فتح كشْمِيْر[٣٧] ، ومُلْتان .

وظلّ الأمر كذلك حتى ضعف سلطان الخليفة العباسي ، وبدأت أطراف الدولة تنفصل عن مركز الخلافة في بغداد ومنها السند فقامت فيها حينئذٍ إمارتان للمسلمين ، إمارة في الجنوب وعاصمتها المَنْصُورَة[٣٨] ، وإمارة في الشـمال وعاصمتها

---

[٣٦] ـ ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص١٠٦ـ ١٠٧ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٦٥/١، وفتوح البلدان ص ٦١٨ـ ٦٢٠ ، والكامل في التاريخ ٦٢/٤ ، والعقد الثمين ص ١٧٦ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٣١٠/١ ، وتاريخ ابن خلدون ٧٦/٣، ٨٣ .

[٣٧] ـ هي ولاية في الهندتحدُّها سلسلة الجبال من جهاتها الأربع ، فمن جهة الشرق تنتهي إلى حدود تِبّت ، ومن جهة الغرب إلى مساكن الأفاغنة ، ومن جهة الشمال إلى خراسان ، ومن جهة الجنوب إلى بنجاب ، وهي ولاية غنية بثرواتها الطبيعية ، وأشهر مدنها : سري نكر ، وهي عاصمة بلاد كشمير ، كانت للمسلمين بها دولة عظيمة وحضارة زاهرة ، فأخذها الاستعمار الإنكليزي وقت الاحتلال، وبعد الثورة الهندية وتحريرها جعلها الإنكليز شطرين، أحدهما في باكستان ، والثاني في الهند ، وهي الآن من المناطق المتنازع عليها بين الدولتين . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ٤٣.

[٣٨] ـ وهي مدينة في السِّند بناها محمد بن القاسم الثقفي (ت ٩٦هـ) من وراء البحيرة مما يلي الهند ، وكذلك أنشأ بها مدينة أخرى وسماها المحفوظة . ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤١ الهامش ٢، والعقد الثمين ص ١٩٣ .

مُلْتان[٣٩] وبعد ما توقفت الفتوحات الإسلامية في تلك البقعة من بلاد الهند فترة من الزمن ، وظلت بعيدة عن أي غزو إسلامي ، جاء الفاتح المسلم محمود الغزنوي ، وأسّس فيها دولة إسلامية قوية ، دعائمها الشريعة الإسلامية، وقيمها الأخلاق والمثل العليا ، واستمرت إلى سنة /٥٨٢هـ/ أي ما يقارب ثلاثة قرون ، ثم أتت على شبه القارة الهندية أدوار عديدة لكل منها مميزاتها وخصائصها السياسية والثقافية والحضارية ، واستمرت سلطتها في تلك القارة قرابة ثمانية قرون ونصف ، وسأتحدث ههنا عن كل واحدة منها باختصار .

الدولة الغزنوية (٣٨٨-٥٨٢ هـ - ٩٩٨- ١١٨٦م)

قامت هذه الدولة في أَفْغانِسْتان[٤٠] ، واتخذت من غَزْنة[٤١] عاصمةً لها بقيادة سُبُكْتكين الذي يُعدُّ المؤسّس الأول لهذه الدولة سنة/ ٣٦٦ هـ - ٩٧٧م / ، وذلك عقب وفاة إسحاق بن أَلْبْتكين الذي كان والياً من قبل السامانيين ، وعندما استقر له الأمر في غَزْنة فكر في أمر الهند ، وبدأ يرسل جيوشه إلى أطرافها الغربية ، وكان ابنه الأكبر

---

[٣٩] - ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٠٩- ١١٠ ، وإسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٣٠، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٦٦/١- ٦٧، ٦٩- ٧٠ ، ٧٤ ، وفتوح البلدان ٤٢٦/١ ، والكامل في التاريخ ٢٠/٤، وتاريخ ابن خلدون ٢١٩/٢ ، ومحمد بن أحمد البيروني ، أبو الريحان، تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند . - د ط . - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م ، ص ١٦ .

[٤٠] - وهي تقع في غرب إقليم سرحد ، وشمال إقليم بُلُوجِسْتان ، وشرق إيران ، وجنوب تاجكستان ، وكان يُطلق عليها اسم خراسان أولاً . ينظر : مقامات ويلورية ص ١٤ الهامش ٤ .

[٤١] - وفي معجم الأمكنة للندوي ص ٣٨ جاء لفظها بالياء المنقوص هكذا (غَزْنِي) . وهي بلدة من بلاد أفغانستان ، تكون قاعدة مديرية باسمها في ولاية كابل ، وهذه المدينة كانت تُعدُّ من أرقى مدن البلاد في أيام السلطان محمود الغزنوي (ت ٤٢٠ هـ) . ينظر : المصدر السابق .

محمود يده اليمنى في كل حروبه ، وبعد ملكٍ دام عشرين سنة توفي سنة / ٣٨٧هـ ـ٩٩٧م/ وعهد بالملك لابنه الصغير إسماعيل، تاركاً من ورائه مملكة واسعة الرقعة ، مرهوبة الجانب ، مترامية الأطراف ،ولكن محموداً استطاع بعد أشهر قليلة من وفاة أبيه أن ينزع السلطة من أخيه الضعيف وينفرد بالأمر سنة / ٣٨٨هـ ـ ٩٩٨م/[٤٢] ، ولما امتلك محمود الغزنوي زمام الحكم في البلاد وتولى قيادته، بدأ يتجه إلمحاربة من حوله من أمراء المسلمين وكان النصر حليفاً له ، ثم اتجه إلى الهند غازياً لمملكتها وفاتحاً لبلادها حتى تمكن من رفع لواء الإسلام فوق أراضيها بعد أن غزاها سبع عشرة مرة في مدى سبعة وعشرين عاماً ، وذلك فيما بين عامي / ٣٩١ ـ ٤١٧هـ / .

وما لبث هذا الأمير المحارب يواصل جهاده وحروبه ، حتى ورث ملك الساماني‌ين كله في خُرَاسَان[٤٣] وبلاد ما وراء النهر ، وفي الهند وغيرها ، وبهذا

---

[٤٢] ـ ينظر تأسيس الدولة الغزنوية وفتوحاتها في : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٨٣/١ـ ٨٦ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١١١ـ ١١٣، وإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، أبو الفداء الدمشقي ، البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي [بيروت] . ـ ط ١. ـ ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م ، ٢٤٩/٦ ، ٣٢٤/١١ ، والكامل في التاريخ ٣٥٣/٧ ، ٣٥٥ ، ٤٦٣، ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٣٩١/٢، ٤٦٧/٤ ، ٤٧٠ .

[٤٣] ـ هي ولاية تقع في الشمال الشرقي من بلاد فارس ، يحدها شمالاً هراة ، وشرقاً أفغانستان ، وجنوباً وغرباً ولايات كرمان الفارسية ولورستان والعراق . وهذا الاسم (خُرَاسَان) كان يطلق على معظم أقسام أفغانستان ، وقسم من إيران ، فتحها أحنف بن قيس في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ٢٤ ، ومقامات ويلورية ص ١٤ الهامش ٣ .

خضع له شمال شبه القارة الهندية من بَنَارَس[٤٤] إلى غَزْنَة ، ومن جبال هِمَالايا[٤٥] إلى الدَّكن[٤٦] ، ثم أدركته المنية سنة /٤٢١هـ /

بعد أن أوصى بالملك لابنه الصغير محمد جلال الدولة دون ولده الأكبر مسعود .

وبعد وفاة السلطان محمود الغزنوي اعتلى على العرش ابنُهُ مسعود ، فبدأ يتابع سياسة أبيه في الفتح والتوسّع لضم أراضٍ جديدة إلى رقعة حكمهم حتى قتل سنة / ٤٣٢هـ / على يد أخيه محمود وأولاده في أثناء ذهابه إلى الهند[٤٧].

وبعده تولّى العرشَ ابنُه مودود بن مسعود ، ونهج منهج أبيه وجده في التوسع بأرض الهند، ولكن لم يدم الأمر طويلاً ، حتى ظهرت ملامح الضعف في كيان الدولة

---

[٤٤] ـ وهي مدينة مشهورة في الهند لكونها عاصمة دينية للوثنيين ، وتمتد أكثر من مسافة ثلاثة أميال على نهر كَنكَا ، يتوجّه إليها في كل سنة جم غفير من الوثنيين ليغتسلوا بها في النهر . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ١٢ .

[٤٥] ـ يقال هِمَالايا ، وهِمَالْية ـ كما صرّح به عبد الحي الحسني ـ وهي سلسلة جبال تفصل بين الهند وبلاد التبت ، وهي كقوس يمتد من شمال كشمير شرقاً بميله غلى الجنوب فشمالي أسام ، طولها /١٥٠٠/ ميلاً ، وعرضها من /١٥٠ ـ ٢٠٠ / ميلاً وهي جبال وعرةٌ جداً والثلج لا يفارقها أبداً . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٣٧ .

[٤٦] ـ هي كلمة هندية معناها : الجنوب ، وهو اسم كان يطلق قديماً على الجهة الواقعة إلى جنوبي نهر نَرْبدا من بلاد الهند ، ولكن بعد أن فتحها المسلمون انحصر هذا الاسم في البلاد الواقعة بين نهرَيْ نَرْبدا وكرشنا في الهند ، ويمتد من بحر العرب إلى خليج بنكاله مشتملاً على ولايات خانديس ، وأُورْنَك آباد ، وبَيْدَرْ ، وحَيْدر آباد ، وبَيْجابُور ، وبَرار ، وكَنْدَوانه ، وأكثر ولايات الهند الوسطى . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ٢٥ .

[٤٧] ـ ينظر ولاية مسعود وحياته السياسية في : تاريخ المسلمين في شبه القارة ١/١٠٠ـ ١٠٥، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٣٢ـ ١٣٣ .

الغزنوية ، وتعاقب خلفاء ضعفاء ، وكثرت الحروب والطموحات ، واشتدّت النزاعات إلى أنْ جاء أمراء الغور الأفغانيون واستطاعوا تكوين دولة مستقلة لأنفسهم في تلك البلاد .

الدولة الغُورِيَّة (٥٨٢ ـ ٦٠٢هـ ـ ١١٨٦ـ ١٢٠٦م)

وقد نشأت هذه الدولة في منطقة غُوْرستان[٤٨] ، واشتد أمرها في الوقت الذي كانت الدولة الغزنوية تميل إلى الشيخوخة والانهيار ، وقد قام بتأسيسها الحسين بن الحسن الملّقب بعلاء الدين، وقعّد أركان ملكه فيها .

ولما اقتحم السلاجقة عاصمة الغزنويين غَزْنَة ، وأخذت الاضطرابات والفتن تجتاح البلاد ، وهددت أملاك المسلمين في الهند ، ظهر أمراء الغُوْرِ الأفغانيون ، وكان من بينهم القائد معز الدين بن سام، شهاب الدين ، المعروف باسم محمد الغُوري، فسيطروا على غَزْنَة وما حولها ، وبسطوا سلطانهم على البلاد، وقضوا على الدولة الغزنوية بقيادة القائد المذكور سنة/٥٨٢ هـ/، وأزالوا عنها حكمها، وأسَّسو دولةً باسم : الدولة الغُورية ، ثم انطلقوا بجندهم إلى أرض الهند[٤٩] .

---

[٤٨]ـ أو في جبال غُوْر ، وهؤلاء الغوريون أمراء ((فيرزكوه)) قاعدة بلاد الغور ، والغُور ـ بضم العين المعجمة ـ هي بلاد في الجبال بقرب هراة ، ومعنى ((فيرزكوه)) الجبل الأزرق . ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٣٣ الهامش ١ .

[٤٩]ـ ينظر نشأة هذه الدولة في : تاريخ المسلمين في شبه القارة ١١٢/١، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٣٣ـ ١٣٤ ، والكامل في التاريخ ٤٤/١٠، ١١٥، ١٢٦، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢١٤ ، والبداية والنهاية ٣٠١/١٢، ٤٠٠ ، ٥٢/١٣ ، ومحمد بن أحمد الذهبي ، شمس الدين ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ د ط . ـ د ت ، ٥/٣، ٩٦ ، ١٠٠، ١٣٣، وتاريخ ابن خلدون ٥٢٧/٤ـ ٥٢٨ ، ٥٣١، ٥٤٠، ٥٤٨ .

ولقد جاب هذا السلطان بلاد الهندستان غازياً وفاتحاً من بَنْجَاب[٥٠] إلى البَنْغَال[٥١] بفتوحات متواصلة ، وانتصارات متلاحقة خلال ثلاثين سنة ، وسّع بها رقعة مملكته ، ووطّد بها دائرة دولته ، وقد واجهته مخاطر وحروب كثيرة ، ولا سيما مع بعض الملوك الهندوس ، وخاض معهم معارك طاحنة ، وتم على إثرها فتح عدة مدن كان من أبرزها دِهْلِي عاصمة الهند بقيادة قُطْب الدين أَيْبَك الذي يُعدّ من أشهر قواده الشجعان .

وهكذا ظل شهاب الدين الغُوْري وقواده يغزون ويواصلون فتح البلاد وإخضاعها ، فتارة بنفسه ، وتارة أخرى بمساعدة نائبه قطب الدين أيبك في الهند ، حتى أصبح ملكاً على الهند الشمالية كلها تقريباً من السِّنْد إلى البَنْغَال الشرقية وخضعوا لسلطان الغُوْريين خضوعاً تاماً.

٥٠ـ بَنْجَابْ : لفظ مركب من : (بَنْج) ـ بفتح الباء العجمية وسكون النون وفتح الجيم ـ معناه : الخمس ، ومن: (آب) وهو الماء ، والمراد به مركباً بالفارسية مياه الأنهر الخمسة ، ويراد به بلاد في القسم الشمالي الغربي من الهند ، تسقيها الأنهار الخمسة المشهورة ، وهي : جهلم ، وجناب ، وراوى ، وبياس، وستلج ، وهي أول أرض وطئها المسلمون بعد أرض السند ، وقاعدة بلادها لاهَوْر ، فكانت قاعدة الملك ، والعرب يسمّونها لهاور ولوهور ، وأرضها خصبة ، وهي الآن تقع في دولة باكستان . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٨٠ـ ٨١ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ١٦ـ١٧ .

٥١ـ البَنْغال أو بَنْكَالَهْ ـ بفتح الموحدة ، وسكون الواو ، وكاف الفارسية ، وألف ولام مفتوحة ـ ، بلاد متسعة من أرض الهند ، يحدّها من الشرق سلسلة الجبال ، ومن الغرب بهار ، وأريسه، ومن الشمال سلسلة الجبال، ومن الجنوب البحر المالح ، وهي : إقليم مشهور بالزراعة ، وأرضها خصبة . وهي الآن دولة مستقلة تُعرف باسم : جمهورية بنغلاديش الشعبية ، نالت استقلالها عن باكستان الغربية سابقاً عام ١٩٧١ م ، ينظر: الهند في العهد الإسلامي ص ٨٣ـ ٨٤ ، ١٠٥ .

ونتيجة لهذه الانتصارات أخذ السلطان شهاب الدين يتطلع إلى بلاد ما وراء النهر، ويطمع في مدن إيران الزاهرة ، فاندفع بغزو خَوَارزم سنة /٦٠١هـ / ، ولكنه لم يحالفه الحظ ، وأصيب بهزيمة شديدة وبعدها انتزع الرُّعب من القلوب ، وأخذ كثير من الولايات والقبائل التي كانت خاضعة لنفوذه تعلن الخروج عليه ، والانفصال عنه ، ثم اغتيل وهو في طريقه إلى غَزْنة عام /٦٠٢هـ /[٥٢] .

دولة المَماليك (٦٠٢ ـ ٦٨٩هـ ـ ١٢٠٦ ـ ١٢٩٠م)

وبعد الدولة الغُوْرية جاءت دولة المماليك بقيادة قُطْب الدين أَيْبَك[٥٣] المشهور باسم: ((لك بخش))[٥٤] الذي كان أحد مماليك شهاب الدين الغوري ، ونصب نفسه سلطاناً على الهند/٦٠٢هـ/ ، وجلس على العرش وأعلن استقلاله بأمورها ، مستغلاً انشغال الغوريين بالخلافات الداخلية والحروب فيما بينهم حول السلطة ، وبهذه الشجاعة والحنكة السياسية أُعْتُبِرَ حاكماً فعلياً للهند ، ومالكاً لشؤون عملها والتصرف فيها ، ولم تمتد أيامه على السلطة حتى تُوفِي سنة /٦٠٦هـ /[٥٥].

---

[٥٢]ـ وللوقوف على غزوات شهاب الدين الغوري وحياته السياسية ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٣٤ وما بعدها ، تاريخ المسلمين في شبه القارة ١١٢/١ وما بعدها ، والبداية والنهاية ٣٠١/١٢، ٤٠٠ ، ٥٢/١٣، والعبر ٥/٣، ٩٦ ، ١٠٠، ١٣٣، ومحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، المسمى بـ : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ـ المغرب . ـ د ط . ـ ١٤١٧ هـ ،٤٦/٣، ١١٩/٣ .

[٥٣]ـ ـ بفتح الهمزة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة ـ وكان يلقب ـ سبالار ، ومعناه مقدّم الجيوش . ينظر : رحلة ابن بطوطة ١٢٧/٣ .

[٥٤]ـ لك بخش ، معناه : معطي مائة ألف .

[٥٥]ـ في تاريخ المسلمين في شبه القارة ١٢٣/١ توفي سنة /٦٠٧هـ ـ ١٢١٠ م/ ، وينظر حياة قطب الدين السياسية والعسكرية في : المصدر السابق ١٢٢/١ـ ١٢٣ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص

وبعد وفاته بدأ خلفاؤهكغياث الدين بَلْبَنْ / ت ٥٨٥ هـ/ ، وكيقُباد بن بغراخان بن بَلْبَنْ / ت ٦٨٩هـ/ ، وغيرهما يتعاقبون في سلطة الحكم ، ويَقْضُون على الاضطرابات والثورات التي قامت في بعض المدن والأقاليم حتى دبَّ فيهم الضعف ، وطمع في حكمهم الأمراء ، وكان من هؤلاء الطامعين الخَلَجيون ؛ حيث خرجوا عليه بقيادة زعيمهم جلال الدين فيروز مع أتباعهم ، واجتاحوا العاصمة دِهْلي ، وقتلوا السلطان سنة/٦٨٩هـ /، ونُصِبَ جلال الدين فيروز شاه سلطاناً على البلاد ، وبمقتله انتهى أمر سلاطين المماليك ، وانتقل الملك إلى أسرة أفغانية ، وهي أسرة الخَلَجيّ[٥٦] .

الدولة الخَلَجيَّة (٦٨٩ ـ ٧٢٠هـ ـ ١٢٩٠ ـ ١٣٢٠م)

ولمّا تربّع على عرش دِهْلي جلال الدين فيروز شاه الخَلَجيّ[٥٧] سنة /٦٨٩هـ / ، فحدثت في أيامه بعض الثورات ، والاضطرابات ، ولكنه قمعها وقضى عليها ، وكان الفضل في كثير من الانتصارات يعود إلى ابن أخيه علاء الدين الذي استطاع أن

١٤٢ـ ١٤٤ ، والكامل في التاريخ ١٩٧/٩ ، ٢٩٤/١٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٥٢٧/٤ ، ورحلة ابن بطوطة ١١٩/٣ .

[٥٦]ـ ينظر خلفاء غياث الدين وسياستهم للحكم في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٤٧ـ ١٤٩ ، ١٥٣ـ ١٥٤ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٤٣/١ـ ١٤٧ ، ١٢٣ وما بعدها ، ورحلة ابن بطوطة ١٢١/٣ .

[٥٧]ـ والخَلَجي ـ بفتح الخاء المعجمة واللام والجيم هكذا ضبطه ابن بطوطة ـ نسبةً إلى الخَلجيّين ، وهؤلاء اختلف في نسبتهم ، فقيل : ينسبون إلى الترك ، وقيل : إلى قليج خان أحد أصهار جنكيز خان ، ومهما يكن الأمرُ : فإن هؤلاء كان لهم شأن في إدارة الحكم بالهند ، وأثر ملحوظ في قيادة الجيش ، وبدأ نجم هؤلاء الأمراء يلمع خاصة في أيام محمد الغوري ، وقطب الدين أيبك ، وشمس الدين ألتمش ، وقد كانوا حكاماً على البنغال والأقاليم الشرقية ، ومسؤولين في مناصب رفيعة في الدولة . ينظر : وتاريخ المسلمين في شبه القارة وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٤٨/١ـ ١٤٩.

يتغلب على العواقب التي تواجه الحكم ، ويقضي على المخالفين لسلطانه في بعض الولايات ،كالدَّكَنِ وكَرَهْ[٥٨] وغيرها ، ولم تمض الأيام حتى تمكّن من قتل عمه غيلةً آخر سنة /٦٩٥هـ / ، واستفرد بالحكم[٥٩]، وزحف بجيشه إلى دِهْلي عاصمة البلاد ، واستولى على العرش سنة /٦٩٦ هـ / ونكَّلَ بأسرة عمه تنكيلاً ، ولما استقرت الأمور لعلاء الدين الخَلجيّ المشهور باسم ((إسكندر الثاني))، وساد لسلطنة دِهْلي الأمنُ ، بدأ يتجه لشؤون الدولة الحربية ، وإعادة تنظيمها استعداداً للغزو والفتوحات ، فاتجه أنظاره أولاً إلى بعض الأقاليم ، كالكُجْرات والدَّكن ، واستولى على عددٍ من المدن ، وتحققت له انتصارات ، واتسعت بها رقعة البلاد ، حتى امتدت مملكته من بَنْجَاب إلى البنغال ، ومن جبال هِمالايا إلى تلال الوندهايا .

وكان النصر في كل حروبه التي خاضها جيشه حليفاً له ، ولذلك لُقِّب بإسكندر الثاني ، نظراً لفتوحاته الكثيرة ، وشدة سياسته الداخلية التي اتسمت بالشدة والعنف في سائر البلاد ، ولما تقدّمت به السِّنُ أسند كثيراً من شؤونه إلى قائده كافور الحبشي

---

[٥٨]ـ بفتح الكاف والراء الهندية آخرها هاء ـ وهي مدينة كانت في القديم كبيرة حافلة بالعلماء وأهل الفضل والثراء ، تقع على شاطئ نهر كنك ، بها سور عظيم ، فتحها قطب الدين أيبك ، وكانت قصبة بلاد الشرق في عهد المملوكين ، أما اليوم فهي قرية صغيرة تتبع إله آباد في الهند . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٩٨ـ ٩٩ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ٤٣.

[٥٩]ـ ينظر سياسة جلال الدين فيروز وأعماله في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٥٥ـ ١٥٦ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٤٨/١ـ ١٥٢ ، ورحلة ابن بطوطة ١٢٧/٣ ، وعبد الحي بن أحمد ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، وتخريج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ، ٦١٨/٨ .

وعصبته ، ثم توفي سنة /٧١٦هـ / بعد أنْ مكث في الحكم عشرين سنة[٦٠] ، وما إنْ مات علاء الدين حتى ولي الأمر القائد كافور ، ونصب على العرش أصغر أولاده وهو شهاب الدين عمر خان وسجن بعض إخوته الآخرين لينفرد بالسلطة ولكنه لم يمكث طويلاً حتى قتل ، وتولى الحكم بعده قطب الدين مبارك سنة /٧١٧ هـ /، وانصراف إلى اللهو والشراب ، وانفرط عقد الدولة ، حتى وثب عليه قائده خسرو فقتله سنة /٧٢٠هـ / ، وبموت هذا السلطان انتهى حكم الخَلَجيّين[٦١] .

ومن بعده جلس خَسْرُو على عرش الهند سنة /٧٢٠هـ /، وتلقّب بناصر الدين خسرو خان ، فما لبث أن أطلق أيدي أتباعه في البلاد يعيثون فيها فساداً، ويستهدفون إحياء الهندوكية أمجاداً، وعلى إثر هذه التصرفات الشاذة ، والدعوات المنبوذة استنجد أشراف دهلي وأعيانها بالملك الغازي طُغْلُق نظراً لإفساده في ألأرض وعقيدته الضالة، فبادر بالقضاء عليه وضم قواته إلى جيشه[٦٢] ، وبذلك انتقلت سلطنة دِهْلي إلى أسرة طُغْلُق.

---

[٦٠]- ينظر انتصاراته الحربية وحياته السياسية في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٥٧ وما بعدها ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٥٢/١ وما بعدها ، ورحلة ابن بطوطة ١٧٤/٣ .

[٦١]- ينظر تولية قطب الدين الحكم وحياته السياسية في : تاريخ المسلمين في شبه القارة ١٦٥/١- ١٦٦ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٦٦- ١٦٧.

[٦٢]- ينظر حياة خسرو ناصر الدين السياسية وأعماله في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٦٧- ١٦٨، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٦٥/١- ١٦٨، ورحلة ابن بطوطة ص ١٣٧/٣- ١٣٩، والبداية والنهاية ٢٨٦/١٢.

الدولة التُّغْلُقِيَّةُ[٦٣] (٧٢٠ ـ ٨١٧ هـ ـ ١٣٢٠ ـ ١٤١٤ م)

ارتقى الملك الغازي طُغْلُق عرش دهلي سنة /٧٢٠هـ / باسم : السلطان غياث الدين طُغْلُق عقب انتصاره على خسرو خان ، وتمكّنهِ من قتلهِ[٦٤] .

ولما تولى الحكم في البلاد بذل جُهْده في تدعيم ملكه ، واسترداد سلطنته في الولايات وخاصة في أقاليم الدكن والشرقية التي كانت قد ضاعت من حوزة دهلي وقد قام بتحقيق آماله ؛ إذ سار بنفسه إلى الأقاليم الشرقية حتى بلغ البنغال ، ونجح في السيطرة عليها وأخضع أميرها إلى الطاعة ، وبعدها استقرت له الأمور في البلاد واستطاع تأسيس أسرة حكمت الهند نحو مائة سنة ، حتى لقي حتفه سنة /٧٢٥هـ /[٦٥] بعدما جعل ابنه محمداً ولياً للعهد ، وكان يُسمَّى جَوْنَه وألغ خان من قبل[٦٦].

وتولى العرش بعد وفاته ابنه فخر الدين وتَسمَّى محمد طُغْلُق سنة /٧٢٥هـ / ، فاستهل حكمه ببذل المال والعطايا لرجاله ، وكسب القلوب ، وكان من ذوي الشخصية

---

[٦٣] ـ تكتب تُغْلُق ـ بضم التاء وسكون الغين المعجمة وضم اللام وآخره قاف كذا ضبطه ابن بطوطة ـ ويقال أيضاً طُغْلُق بالطاء ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٦٨ الهامش ١ ، وأخباره السياسية في رحلة ابن بطوطة ١٣٩/٣ .

[٦٤] ـ هكذا حدد تاريخ الاعتلاء على العرش في تاريخ المسلمين في شبه القارة ١٦٩/١ ، وجاء في تاريخ الإسلام في الهند ص ١٦٩ بأنه تولاه سنة /٧٢١ هـ / .

[٦٥] ـ اختلف المؤرِّخون في سبب موته ، فقيل : مات بسبب انهيار أحد قصوره عليه بتدبيرٍ قام به ابنه وولي عهده محمد ، وقيل : بانقضاض صاعقة على البناء فهدمته وهو كان فيه وقتئذٍ فمات ، وقيل: غير ذلك. ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة ١٧١/١ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٧١ـ ١٧٢ .

[٦٦] ـ وسميت مدينة جَوْنَبور ـ بفتح الجيم وسكون الواو وفتح النون ـ المعروفة الآن في الهند باسمه . ينظر: تاريخ الإسلام في الهند ص ١٧٢ الهامش ٣ .

المزدوجة ، ولم يمكث طويلاً حتى تعرَّض السلطان محمد طُغْلُق لثورات وفتن في داخل بلاد الهند ، وسرت اضطراباتها إلى مدنها ، وتأجج نيرانها في أقاليمها ، كما أُصيب بالغزو المغولي ، وظهرت خطورتهم على حدوده مما جعل أيام حياته التي قاربت ثلاثين عاماً تنقضي كلها في متاعب وحروب ولاسيما في أيامه الأخيرة ، حتى وافاه الأجل سنة /٧٥٢ هـ/، وبوفاته انفرط عقد السلطة في دهلي ذات الولايات الثلاث والعشرين إلى عدد من الإمارات المستقلة ، فلم يبق تابعاً لدِهْلي من الولايات الكبيرة إلا كُجْرَات[٦٧]، إلا أن خلفاءه كفيروز شاه الطُغلقي/ت٧٩٠ هـ/ وغيره ممن جاءوا بعده تمكّنوا من قمع الثورات، والخوض في الحروب الواقعة بالبلاد والانشغال بها ، ثم توالت ولاية الخلفاء والأمراء ، وساد حكمهم على البلاد ، وفي وسط هذه الأمواج من الاضطرابات التي قامت في كل مكان ضد السلطان ونبذ سيادته ، والانفصال بما في أيديهم من إمارات هاجم تِيْمُور[٦٨] على الهند سنة /٨٠١هـ / ، واستولى على دهلي دون عناء يُذكر ، ولاذ سلطانها محمود بالفرار ، ثم خرج تِيْمُور من دهلي بعدما مكث فيها خمسة عشر يوماً وقد عاث فيها فساداً وسلباً، ثم توفي سنة /٨٠٧هـ /.

---

[٦٧]ـ وللمزيد عن حياة هذا السلطان وسيرته الحربية ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٧٢ وما بعدها ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٧١/١ وما بعدها ، ورحلة ابن بطوطة ١٤٧/٣، ١٤٩ .

[٦٨]ـ هذا الاسم (تِيْمور) يكتب في الكتب العربية هكذا (تيمورلنك) ، وكلمة (لنك) معناها في اللغة الفارسية : الأعرج ، ونطقُ هذه الكاف الفارسية تشبه نطق الجيم عند أهل القاهرة في مصر . وكان (تِيْمور) ـ بكسر التاء كما ضبطها بعض المؤرخين ـ أعرجَ ، فالتصقت الصفة به وبها سُمِّي وعُرِفَ. ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٨٧ الهامش ١ .

وبخروجه من الهند أتيح للسلطان محمود وحاشيته الرجوع إلى عرش السلطنة ، ثم أدركه الأجل سنة /٨١٥هـ /[٦٩] بعد أن ظل على الحكم قرابة عشرين سنة ، مُلئت حياته السياسية كلها بالفتن والأحداث ، وبموته انتهت أسرة طُغْلُق الحاكمة ، وتولى الحكم بعدها خضر خان نائب تِيْمُور وكان حاكماً للاهَوْر ، وزحف إلى دهلي واستولى على الحكم سنة /٨١٧هـ / ، وقبض على أميرها دولت خان وسجنه حتى مات فيه ، وبه بدأ حكم السادات في دِهْلي[٧٠] .

دولة أسرة السادات (٨١٧ ـ ٨٥٥هـ ـ ١٤١٤ ـ ١٤٥١ م)

وقد جلس على عرش دِهْلي خِضْر خان بعدما قضى على الدولة التُّغْلُقِيَّةِ سنة /٨١٧هـ / مدّعياً النيابة عن التِيْمُوريين في سيادة الحكم ، وإدارة البلاد .

واستطاع هذا الأمير بذلك تأسيس أسرة حاكمة عُرِفت في التاريخ باسم : أسرة السادات[٧١] ، وجلست على عرش دِهْلِي نحو سبعة وثلاثين عاماً ، وكانت في حكمها تعيش حياة مليئة بالفتن والثورات ، وتقلص من خلالها نفوذ دهلي إلى حد كبير ،

---

[٦٩] ـ هكذا حدد تاريخ وفاته الدكتور عبد المنعم النمر في كتابه : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٩٣ وقال : توفي في ذي القعدة سنة /٨١٥هـ ـ ١٤١٢ م / ، والدكتور أحمد الساداتي حدده في كتابه : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٠٨/١ بتاريخ /٨١٤هـ ـ ١٤١٢ م / من شهر ذي القعدة .

[٧٠] ـ ينظر ولاية محمود وصراعه مع تيمور وحروبه في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٨٦ وما بعدها ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٩٢/١ وما بعدها .

[٧١] ـ سميت بهذا الاسم (السادات) لادّعائها بامتداد نسبها إلى النبي الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٢٩/١ .

واستقلت الأطراف من مركزها الرئيسي ، كمملكة جَوْنَبُور[٧٢] في الشرق ، ومَالْوَهْ[٧٣] في الجنوب ، وغيره من المماليك حتى لم يعد لملوك دِهْلي شيء من السلطان عليها .

وقد أدرك السلطان خِضْر خان خطورة الأمر ، وتهديد مملكته بالزوال ، فبادر إلى إعادة تنظيم شؤون الحكومة ، وإعادة هيبتها السابقة، ومازال هكذا حتى تمكّن من استرداد بعض المدن والولايات إلى طاعة دهلي والخضوع لها ، ثم توفي سنة ٨٢٦هـ /[٧٤] ، وبعد وفاته تعقبه على حكم دِهْلي خلفاؤه ، وكانوا ضعفاء ، واستمر الأمر كذلك حتى استنجد أحد الوزراء ببهلول لُودهِي الذي كان قوياً وقتئذٍ ببسطِ نفوذه على بَنْجَاب الشمالية كلها، وبادر الأميرُ اللودهي إلى التلبية الذي طالما كان ينتظر هذه الفرصة للجلوس على عرش دِهْلي ، وزحف إليها بجيشه فلم يلقَ من علاء الدين

---

[٧٢]- وهي قاعدة مديرية باسمها في الولايات المتحدة من بلاد الهند ، وكانت قصبة بلاد الشرق ، ومدينة جَوْنَبور حديثة إسلامية بناها فيروز شاه الدهلوي ، وسماها باسم ابن عمه محمد شاه تغلق جَوْنَه بور ، فتغير على أفواه الرجال بجونبور ، وبها آثار إسلامية قديمة ، وكانت جونبور من أرقى مدن الهند في أيام الدولة الشرقية ، خرج منها خلق من العلماء لا يحصرهم عدد . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٩٨ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ٢٠- ٢١ .

[٧٣]- وهي مقاطعة كبيرة من الهند الوسطى، يحدها من الشرق باندهو ، ومن الغرب كُجْرات وأَجْمير، ومن الشمال برور ، ومن الجنوب بكلانه ، وأرضها مرتفعة ، ومَالوَهْ : تتضمن عدة حكومات محلية أكثر أهلها من الوثنيين ، وأهم بلاد مالوَهْ : أجين ، وبهيلسه ، وآشته ، وديواس . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٨٥ ، ١١٩- ١٢٠ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ٤٩ .

[٧٤]- ينظر تأسيس هذه الدولة وسياسة مؤسسها في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٩٤ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٢٩/١- ٢٣١ .

الملقّب بعلم شاه آخر سلاطين السادات أدنى مقاومة ، وذلك في سنة /٨٥٥هـ /[٧٥]، وبه بدأ حكم اللُّودِيين في دِهْلي .

الدولة اللّوديّة (٨٥٥- ٩٣٠ هـ - ١٤٥١ - ١٥٢٦ م)

ولمّا استولى بهلول اللُّودهِي على عرش دهلي سنة / ٨٥٥هـ / ، وأحكم سيطرته على البلاد بعد القضاء على علاء الدين علم شاهآخر سلاطين السادات ، وشرع في توسيع ملكه من الجنوب وسط الهند ، وبسط نفوذه على مدن أخرى ، حتى أدركته المنيّةُ سنة / ٨٩٣هـ / بعد أن مكث في الحكم نحو سبعة وثلاثين عاماً [٧٦] ، وعقب وفاته تولى الحكمَ في البلاد خلفاؤه ، كاسكندر شاه اللودهي واستطاعوا القضاء على المتمردين والخارجين على الدولة ، وعلى إثر ذلك خضعت مدن كثيرة لطاعته واتسعت مملكته ، واستمر على ذلك ، حتى أدركته الوفاة سنة / ٩٢٣هـ /[٧٧]، ولما تولّى ابنُه إبراهيم اللودهي الحكمَ لم يحسن تدبير ملكه وإدارة شؤونه، فقامت ثورات، وكثرت الفتن والاضطرابات ، وكان من الثائرين عليه في أثناء ذلك دولت خان اللودي حاكم لاهَوْر أحد أفراد أسرته ، ولكن الأمير إبراهيم اللودهي تغلب عليه ، واضطر دولت خان للفرار من دهلي ، والاستنجاد بالحاكم التيموري بابر الذي كان يسيطر على كابُل وما حولها غربي الهند ، فانتهز هذه الفرصة ، فتم له النصر بقتل السلطان

---

[٧٥]- وللوقوف على تعاقب أمراء السادات على الحكم وسياستهم ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٩٤- ١٩٥ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٣١/١- ٢٣٤ .

[٧٦]- ينظر ولاية بهلول وحالته السياسية في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٩٥- ١٩٦ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٣٥/١- ٢٤٠ .

[٧٧]- ينظر خلافة إسكندر شاه اللودهي وحروبه في : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٩٦- ١٩٧، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٤١/١- ٢٤٤.

إبراهيم اللودي في معركة بانِي بَتْ[٧٨] سنة /٩٣٢هـ/، ودَخلَ بَابَر[٧٩] دلهي، واستولى على عرش الهند، وانتقل بذلك الحكمُ من أيدي الأفغان اللودهيين إلى المُغُول[٨٠] .

---

[٧٨]- بباء فارسية ، فألف ، فنون مكسورة ، فياء تحتية ، وباء فارسية مفتوحة آخرها تاء ساكنة - وهي قصبة في مديرية كرنال من بلاد الهند ، وهي مدينة قديمة ومشهورة في التاريخ تقع بقرب دهلي ، كانت بها ثلاث ملاحم كبرى فأُوْلاها : وقعت بين إبراهيم اللودي وبابر سنة /١٥٢٦ م/ ، وثانيها : بين أكبر وهيمو سنة /١٥٥٦ م / ، وثالثها : بين أحمد شاه الابدالي وقبائل المرهته سنة /١٧٦١ م / . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٩٤ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ١٥- ١٦ .

[٧٩]- ويُنْطق أحياناً (بَبَر) - بحذف الألف - ، و(بابُر) - بضم الباء - ، معناه في اللغة الهندية : النمر. ينظر: تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٣٣ الهامش ١ .

[٨٠]- ينظر ولاية إبراهيم اللودي على العرش وأخباره مفصلاً في : تاريخ الإسلام في الهند ص١٩٧- ١٩٨ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١/٢٤٥- ٢٤٩ .

هذا وكانت هناك دول إسلامية أخرى في الهندستان تقوم على أنقاض ضعف سلطان دهلي وتعيش مستقلة ، وتضعف أو تزول متى استردت قوتها ، فتقضي على هذه المماليك وتضمها إلى مملكتها. وكان من أبرز هذه الدول : دولة في كُجْرات ، ودولة في الدَّكَن ، ودولة في البَنْغال ، ودولة في جَوْنَبور ، ودولة في مَالْوَهْ ، وظلت هذه الولايات تابعة لسلطان دلهي ، حتى إذا ضعف - كما سبق - عمل كل حاكم من هؤلاء على الاستقلال بحكم ولايته ، وعلى مر التاريخ لم يفلح سلاطين دهلي في بسط نفوذهم على هذه الولايات وضمها إلى رقعة البلاد إلا في عهد السلطان المغولي أورنكزيب في القرن العاشر الهجري ، ولما ضعفت الدولة المغولية بعد هذا القائد عاد الأمر كما كان من قبل .

وللكلام عن هذه الدول مفصلاً والوقوف عليها ينظر: تاريخ الإسلام في الهند ص ١٩٩ وما بعدها، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١/٢٠٩ وما بعدها ، و٣/١٦٣ وما بعدها ، ٣/١٧٣ وما بعدها ، و٣/١٨٥ وما بعدها، ونظام الدين أحمد بخشى الهروي ، المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني ، المسمّى بـ : طبقات أكبرى ، ترجمه عن الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلي،

الدولة المُغُولية (٩٣٢ ـ ١٢٧٣ هـ ـ ١٥٢٦ ـ ١٨٥٧ م)

وقد جلس على العرش ظهير الدين محمد الملقّب بـ : بَابَر الذي اشتهر به في التاريخ سنة /٩٣٢ هـ /، ويُعَدُّ بذلك مؤسِّساً للدولة المغولية[٨١] العظيمة في شبه القارة الهندية.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، [مصر] . ـ د ط . ـ ١٩٩٥ م ،٧/٣ وما بعدها ، ٦١/٣ وما بعدها .

[٨١] ـ بعض كتب التاريخ تُعَنْوِنُ أيضاً بـ : (الدولة التيمورية) نسبة إلى تيمورلنك . ينظر ـ مثلاً ـ : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٣٣ ، وعبد الحي بن فخر الدين الحسني ، الهند في العهد الإسلامي ، مراجعة وتقديم أبي الحسن علي الحسني الندوي ، دار عرفات ، الهند . ـ د ط . ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م (مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية) ، ص ٣٠٤ .

وكان المغول والتتارمن أتراك وسط آسيا تربطهما قرابة العمومة ، وصلة النسب ، وقد وقعت بينهما حروب كثيرة ، واشتباكات عنيفة تركت آثارها في تاريخ آسيا الوسطى عامة ، وبلاد الشرق الإسلامي خاصة .

والمغول : ينتسبون إلى مغل خان ، والتتار : ينتسبون إلى أخيه تتر خان ، فكانا ابنا عم ولما كانا من نسل واحد فكثيراً ما تذكر كتب التاريخ العربي المغول باسم التتار ، أما كتب التاريخ في الهند فكثيراً ما تتحرى ذكرهم باسم المغول ، وهذا هو الأقرب إلى الصواب لانتمائهم إلى جنكيز خان وهو مغولي .

وهذا يرى الدكتور أحمد الساداتي في كتابه تاريخ المسلمين في شبه القارة ٣٣١/٢ الهامش ٣ بأن التسمية الصحيحة للمغول السابق هي (مَنْغُول) وليس (مُغُول) ، ويعتبر اللفظ الأخير من الأخطاء الشائعة المشهورة ، ولعل النون أهملت لكثرة الاستعمال وللخفة على اللسان . وينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ١٨٨ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٣٣٠/٢ـ ٣٣١.

ومما يذكر هنا أن فريقاً من كتاب الفرس يذهبون إلى التفرقة بين المغول والأتراك ، حيث وصفوا الأولين بالقبح والذم ، وتغنوا بجمال الآخرين ومَدْحهم ، وفريقاً من المؤرخين المسلمين يعدّونهم عِرْقاً واحداً بحجة أن المسلمين الأوائل يطلقون اسم بلاد الترك على كافة المناطق التي تقع بين

ولما تربّع على عرش البلاد كانت سلطة دِهْلي تمتد من بَنْجَاب إلى بِهَار[٨٢] ، وتضم معها إقليم جَوْنَبور ، وكان بالهند وقتئذٍ أربع إمارات إسلامية كبرى ، وأخريان هندوكيتان[٨٣] ما عدا إمارات أخرى صغيرة وهي متناثرة في الأقاليم[٨٤] ، وباستيلاء

آخر حدودهم عند بلاد ما وراء النهر والصين ، وهذا يوافق ما ذهب إليه بعض المؤرخين من العثمانيين الأتراك في القرن العشرين ، فكانوا يقولون بأن الأتراك والمغول جنس واحد ينتهي إلى الأصل التوراني .

أما الرأي الأول فيوافق عليه آخرون من الأتراك المُحْدثين الذين يقولون بالتفرقة بين العرقين . ينظر المزيد في : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٣٤٣/٢ الهامش ٣ .

[٨٢]ـ بكسر الباء وفتحها ـ هي ولاية في الهند يحدها غرباً الولايات الهندية المتحدة ، وشرقاً بنكاله ، وشمالاً نيبال ، وجنوباً أريسه وناكبور الصغرى . وكانت بهار سابقاً منضمة إلى بنكاله ، ثم استقلت عنها ، وهي اليوم قصبة متصرفية تبعد عن مدينة بتنه نحو /٤٠/ ميلاً إلى الشرق ، وأشهر مدنها مدينة بَتْنَه ، ويقال لها :عظيم آباد ، وكانت بلدة بهار سابقاً مشهورة بالعلم والعلماء حيث خرجت كثيراً من العلماء والفضلاء المتعمقين في العلوم الشرعية واللغوية وغيرها . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٨٢ ـ ٨٣ ، ١٠٣ـ ١٠٤ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ١٢ـ ١٣ .

[٨٣]ـ وهذه الإمارات الإسلامية هي كُجْرات التي تُعدُّ باب التجارة الهندية الأكبر ، وثاني الإمارات في الهند بعد دلهي ، وكان يحكمها مُظَفّر خان ، وإمارة بهمني الدكنية، وهي التي يترأسها الأمير علاء الدين كانكوى، وإمارة مالْوَهْ أوماندو وكان عليها أمراء من الخَلَجيين، وإمارة البنغال وقد حكمها حسين شاه وأولاده . ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٠٩/١ وما بعدها ، ٢٥/٢ .

أما الإمارات الهندوكية ، فكان أكبرهما اثنين ، وهما : بيجانكر ، ويحكمها راجا كوشنادوا ، والثانية موار يقوم عليها رانا سنكا أعظم أمراء الراجيوتيين بالهند في وقته وأوسعهم نفوذاً . ينظر: المصدر السابق .

[٨٤]ـ ينظر غزوته للهند وكيفية استيلائه على المدن في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٣٤ـ ٢٣٦ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٠/٢ وما بعدها .

بَابَر[٨٥] على الحكم في الهندستان بدأ الذعر في قلوب ملوك الهندوكيين الذين كانوا ينتهزون فرصة الضعف للدولة الإسلامية ، ويعقدون العزم للهجوم عليها ، وبهذا النصر وغيره من القضاء على الثورات الأفغانية ، وأمراء الإمارات استقامت للسلطان الأمور ، واستسلم له الأمراء ، وانبسط نفوذه على البلاد ، وطار صيته في الأقاليم ، وازدادت هيبته بين المسلمين ، وتوطّد مركزه على العرش ، ثم وافاه الأجل سنة /٩٣٧ هـ ـ ١٥٣٠ م / بعد أن بقي في الحكم /٣٨/ عاماً ، وحكمه في الهند من تلك المدة لم يتعدّ خمس سنوات[٨٦] .

وبعد وفاته جلس على العرش ابنهُنصير الدين محمد هِمَايُون شاه سنة /٩٣٧ هـ / وهو أكبر أولاده الأربعة وأقربهم إلى قلبه ، وبتوليته الحكمَ واجهته مشاكل عديدة ، وصراعات حادة ذاقت مرارتها سلطة الحكم ، وقادة البلاد من عدة جهاتَ، ساهمت في تأجيج النيران ، وزيادة الاضطرابات ، وتأليب الأعداء على السلطان الجديد ، فكان من أبرز هذه المشاكل الصراع مع الهنادكة ، وفضلاً عن هذه المخاطر عداوةُ إخوة هِمايُون له ، وتفرق شملهم ، والصراع فيما بينهم ، وهذه العوامل كلها دفعت بهِمايُون إلى تدبّر موقفه ، وتنظيم أمره من الأعداء ، ولم يمكث السلطان طويلاً حتى قضى

---

[٨٥]ـ وعلى الرغم أن بابر هو حفيد تيمورلنك الذي بدوره أحد أحفاد جغتاي ثاني أبناء جنكيز خان المغولي غير أنه كان ينفر من ذكر المغول نفوراً شديداً ، وقد أثبته في أماكن مما كتبه عن سيرته التي سمّاها بابر نامه بنفسه ، وكان يعتز بتركيته اعتزازاً شديداً ، ومع هذا فقد نسبت دولته التي أسسها في شبه القارة الهندية إلى المغول ، وكان الهنود يطلقون اسم المغول على كل الغزاة الذين وفدوا إليهم من بلاد ما وراء النهر من بعدُ ، وقد صار هذا اللفظ متداولاً لديهم منذ قدوم جنكيز خان إليهم . ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/٢ الهامش ١ .

[٨٦]ـ ينظر مواجهة بابر وحروبه مع الهنادكة والمتحالفين معهم في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٣٤ـ ٢٣٦، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٩/٢ وما بعدها .

على المخالفين ، واستولى على كثير من الأقاليم ومنها بهار التي كان ثوار الأفغان يعلنون فيها العصيان ضدهُ[٨٧] ، غير أن فرحه لم يطل بتلك الانتصارات حتى دارت معركة بين الطرفين، وفقدَ من خلالها مكتساباتها الحربية في تلك المناطق ، ومنها إقليم بِهار والبَنْغال اللذين قداستفرد بهما وقتئذٍ شيرخان السوري الذي كان من أقدر الزعماء الأفغان وأوفرهم شجاعةً وعلماً .

وما إن توجه هِمَايُون إلى البنغال عائداً من أَكْرَا سلطة الحكم ، حتى وجد هزيمة أخرى أمام شيرخان إثر ضربة حاسمة أنزلت به قوات الثائرالأفغاني ، وعقب هزيمته توجّه إلى قندهار ، ولما وصل إليها سمع بخروج أخيه هنال عليه ، فلاذ بالفرار منفرداً ، والتجأ إلى طهماسب شاه الصفوي شاه في إيران ، فنال منه حسن الاستقبال ، وكرم الضيافة ، وخلت البلاد لشيرخان ، فدخل دِهْلي وأَكْرَا وصار هو سلطان الهند ، وعُرِفَ باسم : شيرشاه السوري سنة /٩٤٧ هـ /[٨٨] وبدأ يحكمها بعد هذا النصر ، ثم عاد هِمَايُون إلى الهند من جديد بعد خمسة عشر عاماً قضاها في إيران ، وأراد استرداد ملك أبيه المفقود سنة /٩٦٢هـ / وكان يحكم الهند شيرشاه السوري[٨٩] / ت ٩٥٢ هـ/ وخلفاؤه، وبدأ بأفغانستان حيث كان إخوته يحكمونها، فزحف بجيشه إلى

٨٧ـ ينظر هذه المخاطر والصراعات التي واجهته في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٤٠ـ ٢٤٢ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٧٣/٢ـ ٧٥ .

٨٨ـ ينظر صراعه مع شيرشاه السوري وهروبه إلى إيران في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٥٨ـ ٢٦٢، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٨٦/٢ ـ ٩٠ .

٨٩ـ السوري : نسبة إلى قبيلة سور وهي إحدى القبائل الأفغانية ، ومعنى : (شير) بالفارسية : أسد ، والسبب في تسميته بذلك : أن أسداً ، وقيل نمراً يوماً ما وثب على محمد خان والي بِهار وهو في رحلة للصيد ، فقتله فريد ـ وهو اسمه الحقيقي ـ ، فأعجب به وسمّاه : شير خان . ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٤٤ـ ٢٤٥ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٨٢/٢ .

لَاهَوْر فأخذها، وكذلك قَنْدَهار وكَابُل ، واستطاع القبض على أخويه كمران وعسكري، ولكنه عفا عنهما ، هذا ولم يطل الأجل بهمايون حتى قضى نحبه سنة /٩٦٣ هـ/ ولم يقض على رجوعه إلى الهند سوى ستة أشهر[٩٠] بعد أن انشغل بالنزاعات الداخلية والحروب القائمة بينه وبين الطامعين في ملكه ، وهو بذلك يُعدّ مؤسِّس الدولة المغولية الثاني في الهند بعد أبيه بابر .

ولما توفي هِمَايُون ، أُعْلِنَ في بَنْجاب تولّي أكبر سلطاناً على عرش الهند سنة/ ٩٦٣ هـ/ باسم جلال الدين محمد أكبر ، وعلى الرغم أن الأمر استتبّ له في بعض الأقاليم ، وقوي ملكه، وقامت دولته بفضل قائده الشجاع بيرم خان الذي قد أبلى بلاءً حسناً في تدعيم الملك له ، وقمع الثورات والفتن ، والغارات على دهلي وغيره ، إلا أن السلطان واجه مشاكل عديدة ، وصراعات صعبة في حياته السياسية والعسكرية ، وكان من أبرزها أمراء الأفغانستان وقبائلها والهنادكة[٩١] ، ثم اقتضت سياسته المتبعة إلى توحيد سكان الهند جميعاً تحت مظلة واحدة ، سواء أكانوا مسلمين أم هنادكة ، فشرع في تحقيق ذلك بتقريب الهنادكة ، وتعيين أمرائهم في مناصب الدولة العالية ، وفتح أبواب بلاطه أمامهم ، وإعفائهم عن كثير من الأمور التي كانت تُفرض عليهم من قبلُ ، وغير ذلك مما فيه استمالة قلوبهم ، واسترضاء أحوالهم ، وقد نجحت هذه السياسة في البلاد ، وأوتي ثمارها في النتائج ، ولكن على حســـاب مبادئ الإســـلام ،

---

[٩٠]- ينظر رجوعه إلى الحياة السياسية واستعادة ملك آبائه مفصّلاً في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/٩٢ـ ٩٣ .

[٩١]- وللوقوف على هذه التهديدات الموجهة إلى السلطان أكبر ينظر: تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٦٣ـ ٢٦٤، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/٩٦ـ ٩٨ .

ومُثله العليا[٩٢] .

واقتداءً بنهج سلاطين المغول شرعَ السلطان جلال الدين أَكْبَر في الفتوحات ، وتوسيع أراضيه ، وتدعيم ملكه بالحروب والغزوات على الأقاليم المجاورة ، والقضاء على أمرائها ، بدْءاً بالمناطق الشمالية والوسطى ؛ حيث استطاع الاستيلاء على كثيرٍ من الأقاليم والقلاع الحصينة ، وبذلك اتسعت مملكة السلطان جلال الدين أكبر اتساعاً كبيراً؛ حيث امتدّت من آخر حدود البنغال الشرقية إلى ما وراء الهندكوش، وأفغانستان في الغرب، ومن جبال الهمالايا في الشمال إلى نهر نَرْبَدَا[٩٣] في الجنوب ، فشملت بذلك الهند الشمالية والوسطى .

وحينما استتبّ له الأمر ، وساد سلطانه في تلك المناطق السابقة ، وعظم شأنه ، وأمنت حدوده ، بدأ بالحملة على الجنوب وفتح ممالكه التي كانت تتكون من خمس ممالك إسلامية قامت على أنقاض البهنمية في الدَّكَن[٩٤] ، وكانت هذه الممالك تتصارع فيما بينها على سيادة الحكم وقيادة البلد بالحروب والغارات من جهة ، ومع ممالك الهندوس من جهة أخرى ، وبعد حروب طويلــة مع تلك المناطق تمت له الســيطرة ،

---

[٩٢] ـ ينظر هذه السياسة مع الهندوك في : تاريخ الإسلام في الهند ص٢٧٧ـ ٢٨٢ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ص ١٠٧ـ ١٠٨ .

[٩٣]ـ وهو نهر مشهور، مخرجه بقرب مخرج نهر صون ، وهو يجري إلى الغرب بميله إلى الجنوب ، طوله /٧٥٠/ ميلاً، ويصب في خليج كنبايه ، وبقربه مصب نهر سورت. ينظر: الهند في العهد الإسلامي ص ٤٠.

[٩٤]ـ وهي : دولة بريد شاه في بِيْدَرْ ، وبيرار ، وكُوْلكُنْده ، وبِيْجابُور ، وأحمد نكر .

ولا سيما مملكة بِيْجَانكَرْ[٩٥] التي تقع في أقصى الجنوب من الهند[٩٦] .

وبسيطرة السلطان جلال الدين أكبر على تلك الممالك في الدكن التي استمرت حروبه بها خمس سنوات توسَّعت مملكة الدولة المغولية ، وتعددت ولاياتها ، وانبسط نفوذها في الأقاليم ، حتى شملت الهند كلها[٩٧]ماعدا الطرف الجنوبي الذي كان تحكمه ممالك بِيْجابُور[٩٨]، وكُوْلكُنْده[٩٩] الإسلاميتان؛ حيث بقيتا مستقلتين عن سلطة المغول ،

---

[٩٥] ـ بِيْجَانكَرْ : كانت مدينة كبيرة في جاهلية الهند ، يسكن بها سلطن المعبر ومليبار ، وكانت ذات أسواق وأبنية فاخرة ، بها سبعة حصون حصينة ، وفيها أنهار وجسور ، أغار عليها بعض سلاطين الإمارات مراتٍ حتى تمكنوا من فتحها ، وهدم كنائسها ، وكسر أصنامها وقتل أهلها ، فصارت خراباً سنة /٩٧٢ هـ / ، وهي اليوم قرية في ولاية مِدْراس بالهند لا تعرف ولا تذكر . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ١٢١ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ١٥ .

[٩٦] ـ ينظر هذه الممالك وصراعها في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٧١ـ ٢٧٢، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/ ١٢٤ـ ١٢٥ .

[٩٧] ـ وكانت ولايات الدولة المغولية في عهد السلطان أكبر تتألف من تسع عشرة ولاية ، وهي : كابل ، وقندهار ، والسند ، ومُلْتان ، ولاهور ، وكشمير ، ودهلي ، وأكره ، وأجمير ، وإله آباد ، وأودَهْ ، وبهار ، والبنغال ، وأوريسه ، ومالوَهْ ، وكجرات ، وخانديس ، وبرار ، وأحمد نكر . ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص٢٧٥ـ ٢٧٦ .

[٩٨] ـ وهي ولاية في الهند تكون قصبة مديرية باسمها في ولايةبمبئ كانت في القديم قاعدة ولاية باسمها ، تبعد /١٢٦/ميلاً عن مدينة ستارا إلى الجنوب الشرقي ، و/٣٥٠/ ميلاً عن مدينة بمبئ إلى الجنوب الغربي ، وكانت بيجابور من أرقى مدن الشرق في أيام الدولة البهمنية والعادل شاه، بناها يوسف عادل شاه سنة /٩٠٠هـ/ . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ١٤ـ ١٥ .

[٩٩] ـ وتُسمى محمد نَكَرْ ، وهي بلدة ذات قلعة قديمة في مملكة النظام ، تقع على بُعد خمسة أميال من بلدة حيدر آباد إلى الغرب . ينظر : معجم الأمكنة للندوي ص ٤٧ .

وإمارة بِيْجَانكَرْ الهندوكية في نهاية الجنوب، وصارت الدولة وقتئذٍ من أعظم الدُّولِ عرفها التاريخ ، وأقواها غنىً في البلاد[١٠٠].

ومازال بالحكم قائماً حتى تُوفّي سنة /١٠١٤ هـ/ بعد أنْ جلس ملكاً على الهند نحو خمسين سنة[١٠١].

وجلس على عرش الملك في دار الخلافة جَهَانْكِير سنة /١٠١٤ هـ/ بعد أبيه أكبر باسم : السلطان أبي المظفر نور الدين محمد جَهَانْكِير[١٠٢] ، وكان اسمه محمد سليم .

وهذا السلطان قد ورث عن أبيه ملكاً واسعاً ، وسلطة قوية ، مترامية الأطراف ، متعدّدة المناطق ، وبعد تولّيه الحكم ، واجهته بعض المشاكل والمتاعب في حياته السياسية ، فبدأ بتدبير الأمور ، واستتباب الأمن ، وقمع الثورات التي أثيرت ضد الدولة ، متخذاً منهج أبيه في توحيد الصفوف بين أبناء الهند ، ومتشبثاً بالتسامح المطلق إزاء رعاياه من الهنادكة ، وبعد حروب طاحنة ، ومعارك طويلة[١٠٣] انتهت بانتصاره في كثير من الأقاليم ومنها ضم أقاليم الدكن الشمالية إلى أراضي الدولة المغولية ، وقام بتعيين ابنه خُرَّم نائباً عنه بالدَّكَن ، ولقّبه بـ : شَاهْجَهان[١٠٤] ، كما تمكن من القضاء على التمرد في المناطق الأخرى ، والبت في النزاعات التي أصيب

---

[١٠٠] ـ ينظر هذا التوسع والسيطرة على الدكن في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٧٤ـ ٢٧٦ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٢٧/٢.

[١٠١] ـ ينظر: تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٧٦، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٢٧/٢ .

[١٠٢] ـ ومعنى جَهَانْكِير : آخذ الدنيا أو مالكها ، كما في تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٩٨ الهامش ١.

[١٠٣] ـ ينظر: تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٠١ـ ٣٠٢ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٧٠/٢ـ ١٧١ .

[١٠٤] ـ وهذا اللقب هو الذي اشْتُهِرَ به من بعد ذلك في التاريخ .

السلطان جهانكير بشرارتها في عهده ، ثم وقعت خلافات وصراعات بين الأسرة الحاكمة حول ولاية العهد ، وظل السلطان مشغولاً بالفتن الداخلية حتى وافته المنية عام /١٠٣٧هـ/ بعد أن حكم البلاد اثنتين وعشرين سنةً[١٠٥].

ولمّا تُوفّي جَهَانْكِير ولم يعيّن وريثاً على العرش من بعده ، اختلف أبناء الأسرة الحاكمة حول السلطة، وكان خُرَّم الملقَّب بـ : شاهجهان في أثناء وفاة السلطان بالدكن، ولمّا وصل إليه خبر وفاة أبيه استعجل بالعودة إلى أكره، وكان قد مُهّد له السبيل للوصول إلى الحكمفَنُودِيَ به سلطاناً على العرش المغولي ، وسُمِّيَ باسم : محمد شهاب الدين شَاهْجَهَان ، وذلك في سنة /١٠٣٧ هـ ـ ١٦٢٨م/[١٠٦] .

وكان السلطان الجديدكأبيه وأجداده القدامى لم تصفُ حياته من الغزوات والثورات والمتاعب السياسة ؛ حيث قام بقمعها والقضاء عليها في أطراف مملكته الواسعة على الرغم من توفير أسباب الرخاء للرعية وتأمين الرفاهية لها ، وقد استطاع شاهجهان بعد تلك الحروب من السيطرة على ما بقي من الدول الإسلامية في الجنوب، وأصبحت واقعة تحت نفوذه بالدكن، ولم يرجع منه ، حتى أقام ابنه أُورْنَكْزِيْب نائباً عنه هناك وذلك في سنة /١٠٤٧ هـ / ، وما إن فرغ شاهجَهان في بلاد الدكن من القضاء على الثائرين ضد مملكة المغول ، حتى حاول استعادة قندهار بأفغانستان التي قد خرجت من يدهم إلى يد الفرس أيام حكم جَهَانكِير ، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء عليها والقضاء

---

[١٠٥] ـ ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٠٥ـ ٣٠٦ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٧٤/٢ وما بعدها.

[١٠٦] ـ ينظر هذا الصراع بين الأسرة الحاكمة واستيلاء شاهجهان على العرش في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣١٦ـ ٣١٨ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٨٥/٢ـ ١٨٨ .

على أميرها[١٠٧]، وفضلاً عن هذه الثورات التي قامت في الأقاليم وانشغال السلطان بها، كان هناك استعمار خارجي يطمع في نفوذ الدولة المغولية ، واحتلال أراضيها ، وشاهجهان لم يكن بعيداً عن مخطّطاتهم ، ولا بغافلٍ عن سلوكهم ، وكان في صدارة هؤلاء المستعمرين: البرتغال ، والإنجليز ، وهولندا ، وحينما اشتد مرض السلطان سنة /١٠٦٧ هـ/ رأى أن يعهد بالملك من بعده إلى دارا شَكُوَهأكبر أبنائه الأربعة دون إخوته الآخرين : أُورْنَكْزِيْب، ومُراد ، وشُجاع، وكان لكلّ منهم ولاية يحكمها في البلاد .

وقد أثار نبأ البيعة لدَارَاشَكُوَه غضب إخوته الثلاثة ؛ إذ كان كل واحد منهم يرى في نفسه بأنه أجدر بالولاية من أخيه ، وازداد التنافر ، واشتدّ الكيد فيما بينهم ، وأورنكزيب الذي كان في الدكن نائباً عن السلطانـ وهو القائد الشجاع المحبّب لدى الناس ، الموثوق به ، صاحب الحزم والخلق القويم ـ فقد تحرّك بجيشه ، حتى وصل إلى عاصمة الملك ، وتعسكر أمامها ، وكتب رسالة إلى أبيه شَاهْجهَان معتذراً فيها عما حدث من الصراع والحرب التي أُكْرِهَ عليها وخاض غمارها ، وبدأ يستقبل المهنئين ، والقواد ، والأمراء ، وغيرهم ، وكان من هؤلاء أيضاً أبوه شاهجهان ؛ حيث أهدى له سيفاً مرصّعاً بالجواهر ، ومنقوشاً باسم : عَالَمْكِيْر[١٠٨]، ودعاه للقدوم إليه، غير أن عالمكيرلم يأمن به مخافة أن يوقعه في شِرَاكٍ ليستعيد به دارا شَكُوَه، ويمكنه من الملك، ولذلك وضع أباه في القلعة قسراً تحت الإقامة الجبرية، وأحاطه

---

[١٠٧] ـ ينظر احتلال قندهار واستردادها في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٢٠ـ ٣٢١ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٩٧/٢ـ ١٩٩ .

[١٠٨] ـ أي : آخذ الدنيا وسيد العالم . ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٣٩ .

بالتكريم، حتى قضى في اعتقاله نحو ثماني سنوات، ثم وافاه الأجلُ سنة / ١٠٧٦هـ/[١٠٩] .

وحين بلغ أُورْنَكْزِيْب[١١٠] دِهْلي نُوديَ به سلطاناً على الهند باسم : أبي المظفر محمد محيي الدين أُورْنَكْزِيْب عَالَمْكِيْر خلفاً لأبيه، وذلك في عام/١٠٦٧هـ/، وشرع في تعقّب أخيه دارا شَكُوَهْ الذي فرَّ ، ثم تم القبض عليه وقتل وكان ذلك في سنة /١٠٦٩هـ /[١١١] .

واعتلى عَالَمْكِيْر عرش الهند والدولةُ حينئذٍ يعمها الخراب والدمار والقتل إثر صراع الأسرة الحاكمة على الزعامة من جهة، واجتياح المجاعة والقحط وانتشار الأوبئة بسبب انحباس الأمطار الموسمية واجتياح الجفاف من جهة أخرى ، ولمّا تولّى الحكم في البلاد امتلأت حياته متاعبَ وحروباً ، وتسلسلت حلقاتها مدّاً وجزراً ، وكان قد شارك بنفسه في معظم المعارك للقضاء على الفتن وتأديب الأعداء في الأقاليم ، وضمّ بذلك ممالك جديدة إلى رقعة البلاد[١١٢] .

وبعد انشغال السلطان بالثورات ، والقضاء على الهندوس فترة طويلة في سائر البلاد وهو في كل مرة يخرج منتصراً ، حتى لم يبق في شبه القارة الهندية ما هو

---

[١٠٩]- ينظر انتصاره في المعركة وصراعه مع إخوته واعتقاله لأبيه في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٣٩- ٣٤٠ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٠٣/٢- ٢٠٦ .

[١١٠]- معنى كلمة (أورنكزيب) أو (أورنجزيب) زينة العرش ، فأورنج، معناها : عرش ، وزيب: زينة . ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٤٢ الهامش ١ .

[١١١]- ينظر ملاحقته لدارا شكوه في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٤٠- ٣٤١ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٠٦/٢- ٢٠٧ .

[١١٢]- ينظر توليه عرش الملك والمتاعب التي واجهته في : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢١٣/٢ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

خارج عن أملاكه إلا مملكة هندوسية واحدة تقع في الطرف الجنوبي للهند ، وهي بِيْجَانكَرْ ، واتسعت رقعة البلاد في عهده اتساعاً لم يشهد له مثيل في تاريخ شبه القارة الهندية، وانتهت إلى ذروتها في العهد المغولي. ثم لم يعمر بعد ذلك طويلاً حتى أدركه الأجل في أَحْمَد نَكَرْ[١١٣] بالجنوب سنة/١١١٨هـ/ بعد أن حكم البلاد اثنتين وخمسين سنة[١١٤] .

وبموت عَالَمْكِيْر وقعت الفتن في البلاد، وأكلتها النزاعات ودبت فيها الصراعات على السلطة ، وهدف كل واحد من أولاده إلى استخلاص عرش المغول لنفسه ؛ فبدأ كل ينادي باسمه سلطاناً في الولايات التي تولّوها ، وبدأت الثورات والاضطرابات تتحرك في أرجاء البلاد ، وبذلك أزيلت هيبة الدولة ، وذهبت قوتها ، وساءت أحوال الدولة المالية ، ، وهكذا توالى على الحكم خلافاء ضعفاء واضطربت الأحوال في عهودهم وسقطت الأقاليم بأيدي المتمردين الهندوس والبريطانيين وأحكموا قبضتهم على كثير من المدن في شبه القارة ، حتى أصبح سلاطين المُغُول في كفالة البريطانيين الذين قد سيطروا على معظم شبه القارة الهندية ، وأحكموا قبضتهم على مقاليد الدولة ، وزمام أمورها ، ولم يعد للسلطان هيبة تخوفهم ، ولا سياسة تقلقهم مادام يقضي حياة يغلب عليها الخمول والضعف في ظل الحكم البريطاني ، ويشهد لها تفكك

---

[١١٣]ـ أحمد نَكرْ : وهي مدينة في الهند تبعد عن بونا /٧٠/ ميلاً إلى الشمال الشرقي مصّرها الملك أحمد بن الحسن البحري ، وتوارثها نسله من بعده ، لها أسواق جميلة وبساتين طيبة . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ١٠٨ .

[١١٤]ـ ينظر آخر حياته وهو في ميادين القتال في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٥٧ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٤٣/٢ـ ٢٤٤ .

الدولة ومؤسساتها[١١٥] ، وبذلك انفرد البريطانيون في شبه القارة بأمر الدولة ، وباتوا على يقين من وقوع ذلك كله بأيديهم ،وبذلك لم يبق أي دورٍ للسلاطين في إدارة البلاد سوى العيش في كفالة الإنكليز ، وقبض المرتب من خزانته ، والبقاء تحت حمايته ، وآخرهم بُهَادُوْر شَاهْ الثاني سنة /١٢٥٣هـ/ ، الذي كان يعيش على ما عيّن له الإنكليز من الرزق سنوياً كأبيه من قبلُ دون المشاركة في النشاط السياسي ولا السلطة في قرارات البلاد ، وبهذا أصبح شخصية لا اعتبار لها ، ولا اختيار لآرائه سوى الشكوى من قلّة المعاش ، والحرص على محافظة الأبّهة اللائقة بالسلطان ، والإقامة في دهلي بالقلعة الحمراء ، التي باتت مهدّدة فيما بعدُ إذ وجّه الإنكليز عبر حاكمه إنذاراً لهبأنه آخر سلطانٍ مغولي يسكن القلعة ، وإنها ستكون بعده ثكنة عسكرية ، وأن المخصّصات التي يأخذها منهم ستنتهي بانتهاء حياته.

وهذا التصريح من الإنكليز استنكره المسلمون والهندوس جميعاً على حدٍّ سواء، وقاموا باحتجاجات وإثارة اضطرابات ، حتى أخذ الأحرار الثائرون بقيام ثورة جامحة ضد الاستعمار بقيادة بهادور شاه الثاني ، ولكنها فشلت ، وقبض الإنكليز على السلطان ، ونفوه إلى رانكون[١١٦] في بورما مع زوجته ، وأفراد أسرته ، وبقي هناك حتى مات سنة /١٢٧٩هـ / بعد أن أمضى في منفاه نحو أربع سنوات ، وفي الحكم عشرين سنة، وأعلن الاستعمار البريطاني بعد ذلك ضمَّ شبه القارة الهندية كلها إلى

---

[١١٥]ـ ينظر تولي السلطان محمد أكبر الثاني وسياسته في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٩٥ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/٢٩٠ـ ٢٩١ .

[١١٦]ـ لم أعثر على التعريف بها .

سلطة بريطانيا لتمارس الحكومة حكمها بنفسها باعتبار شبه القارة أصبح جزءاً من مملكتها بعد الاحتلال[١١٧] .

---

[١١٧]- هذا ولم ينته كيد الاستعمار البريطاني وحقدهم على هذه الأسرة المغولية حتى بعد الاحتلال ونفي آخر سلطانها إلى بورما ؛ حيث قام في حياته بمنع أي اتصال مع بهادر وعزله عن الحياة الضرورية والاجتماعية ، وبعد مماته تكفل دفنه ومراسمه طبيبه وأستاذ ابنه دون سواهما ، وظل قبره محروساً ، وزيارته ممنوعة فترة طويلة، وأهمل شأنه تحت أرجل الخيول وحشائش الأرض، لإزالة أثره ، وطمس معالمه ، ولولا مجاورة شجرة سرو لما عرف قبرهُ ، وأُرشد مكانه .

ثم استأنس بهادور بوفاة زوجته سنة /١٣٠٣ هـ / زينب محل ، وابنته رونق زماني بيكم سنة /١٣٤٩ هـ/ ، ودفنتا بجواره ، وفي عام /١٩٤٦ م / تم بناء مقبرة بفضل رئاسة بلدية بورما ، وضمت القبور الثلاثة مسوّرة .

وأمّا ابناه فلا تقلّ مأساتهما عن أبيهما ، فالأول وهو الأمير جوان نجت ، فقد ذهب به الانكليز إلى سجن في بلدة مولمين ببورما ، ومنعوا أي اتصال بينه وبين الأهالي ، ولم يعرف عنه شي فيما بعد وأما الثاني : وهو الأمير جمشيد بخت ، فقد كان صغيراً عند النفي مع أبيه ، وكذلك سجن أمام سجن أبيه ، ثم تزوج من أسرة بورمية سنة /١٩٠٥ م/ فرزق باسكندر بخت ، ولا يعرف عنه شيء أيضاً وإن كان هو الوحيد الذي بقي من هذه الأسرة سوى ما نقله الدكتور عبد المنعم النمر عن مولانا محمد ميان المؤرخ بأنه لما ذهب إلى بورما تقابل مع فرد من ذرية الملك هناك كما أورده تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٩٦ الهامش ١، ولما توفي الأمير سنة /١٩٢١ م/ منعت الحكومة البريطانية دفنه في مقبرة أبيه ، فدفن في مكان آخر .

وأمّا بنته الأخرى كلثوم زماني بيكم ، فقد تزوجت من أمير مسلم صيني ثم طلقت ، وانقطع أخبارها ولا يعرف عنها شيء أيضاً.

وهكذا مصير هذه الأسرة المغولية الملكية التي شاءت حكمة الله أن تكون نهايتها مأساة على يد الاستعمار البريطاني ، فحاول أن يقتلع جذورها ويزيل أثرها حتى بعد الممات ، وهو ما كان .

وللوقوف على تفاصيل هذه المآسي لنهاية الأسرة ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٩٠ وما بعدها .

الفصل الأول

اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية

المبحث الأول

اللغة العربية وانتشارها في شبه القارة الهندية

أولاً ـ انتشار اللغة العربية وازدهارها :

لقد وصلت اللغة العربية إلى الهند قبل الإسلام بزمن بعيد عن طريق التجار ورجال الأعمال ، والملّاحين العرب الذين كانوا يقيمون علاقات تجارية مع الهنود عبر سواحل الهند الغربية ، والموانئ الواقعة عليها من إقليم كُجْرات إلى أقصى الساحل الغربي للهند ، المربوطة بالسواحل العربية في الخليج؛ ولذلك كان العرب يذهبون بسفنهم التجارية إلى السواحل الهندية، ويتبادلون معها البضائع والسلع ، ولهم خبرة كافية في الملاحية البحرية الإقليمية[١١٨] ، وهذا ما أشار إليه الدكتور محيي

[١١٨] ـ ينظر بداية الانتشار للغة العربية في شبه القارة بواسطة التجار والملاحة العربية الهندية في : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤١ـ ٤٣ ، ومحيي الدين الألوائي ، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، دار القلم ، دمشق . ـ ط ١. ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ، ص ١٠٦ـ ١٠٨.

الدين الألوائي بقوله : ((ويظهر من شواهد تطور العلاقات العربية الهندية في المجال التجاري والثقافي أن جنوب غربي الهند أول بقعة ارتبطت ببلاد العرب منذ أقدم العصور بفضل موانئها وموقعها في شواطئ بحر العرب الشرقي المواجه لجزيرة العرب الواقعة في شواطئ بحر العرب الغربي ، وتوافد العرب على تلك الموانئ ، وتبادلوا البضائع التجارية بينها وبين الموانئ العربية ، وكان ساحل مَلِيْبار في جنوب الهند المقصد الرئيسي للتجار العرب ، سواء أكان لغرض التجارة أو لتزويد السفن العربية بما تحتاج إليه من مؤن أثناء رحلاتها التجارية إلى سيلان ، والصين ، وبلاد الشرق الأقصى))[١١٩].

والذي يظهر من روايات المؤرِّخين والجغرافيين والرحالين ،كالمسعودي (ت ٣٤٦هـ)[١٢٠] والبيروني (ت ٤٤٠ هـ)[١٢١] ، وغيرهما ، التي تتحدث عن العرب المهاجرين إلى بلاد الهند ، ولا سيما المناطق الساحلية منها يفيد بأن التجار العرب كانوا يتردّدون إلى أماكن عديدة في السواحل الهندية ، علاوة على مَلِيْبار ، ويستقرُّون في تلك المناطق منذ زمن بعيد بدليل أن أصحاب الروايات السابقة قد شاهدوهم مستوطنين ومتزوّجين مع الهنود ، ومتناسلين ومتكاثرين في الأولاد ، وامتزجوا بالبيئة الهندية ، وتأقلموا مع أجوائها ، وحتى عُيّنَ بعضهم قضاة من قبل الحكام الهنود لتصريف شؤونهم الداخلية في أرض الهند[١٢٢] .

---

[١١٩] ـ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة ص ١٠٨ .

[١٢٠] ـ ينظر: علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مطبعة السعادة، مصر . ـ ط ٢ . ـ ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ، ٨٦/٢ .

[١٢١] ـ ينظر : تحقيق ما للهند للبيروني ١٤٣/١ .

[١٢٢] ـ ينظر : الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة ص ١٠٩ .

ونتيجة لهذا الاختلاط في البلاد بين العرب والهنود ، واحتكاك بعضهم بعضاً اقتضت حقيقة العمل بأن تكون لغة كل منهم معهودة للآخر ، ومفهومة للتخاطب ، ليتمكّنوا من توثيق الصلات ، وعقد الصفقات ، وإبرام العقود ، ولا سيما التجار الذين كانوا لا يزالون يسافرون بين المدن العربية والمناطق الهندية ، سواءٌ أكانوا عرباً أم هنوداً .

وبواسطة هؤلاء دخلت العربية إلى تلك المنطقة من غرب الهند ، وبدأت تنتشر مفرداتها في الأسواق ، وجُمَلها في الأمصار ، وبمرور الأعوام والعهود تم تداولها بشكل جيد في بعض المناطق ، حتى استطاع العربي أن يتفاهم مع الهندي دون مشاكل تعرقل لسان التخاطب ، وأداة التفاهم بين أبناء الوطن مع غيرهم .

وبعد انبثاق فجر الإسلام بدأ التجار المسلمون يتّجهون نحو الموانئ المعهودة للتجارة البحرية العربية في المناطق الساحلية لجنوب شبه القارة الهندية ، وفي السِّنْد ونواحي البَنْجاب وكان من الموانئ المعروفة وقتئذٍ في تلك الأماكن الدَّيْبُلُ[١٢٣] ، وبَهَرُوْج[١٢٤]، وبها أخذت العربية في التطور ، وتوسّع أفقها في مختلف المدن بالساحل، ولا سيما في السِّنْد والمُلْتان ؛ لكونهما مركزين لتجار العرب المسلمين وغيرهم، ومقرَّيْ الإقامة والاستقرار، حتى جاء الفتح الإسلامي لبلادهما بقيادة الشاب المجاهد محمد بن قاسم الثقفي سنة (٩٢ هـ ـ ٧١١ م) في عهد الدولة الأموية ، ومعه أعداد كبيرة من الجيش الإسلامي الفاتح ، وقام بذلك أول دولة عربية إسلامية في شبه القارة الهندية ، وبها بدأت اللغة العربية تتغلب على اللغات الأخرى بشكل ملحوظ ، وتؤثر في كيانها ، وتحتلّ مكانها في البلاد لسرٍّ منحها التغلب والانتشار ، والتأثير

---

[١٢٣] ـ وهي بقرب مدينة كراتشي في باكستان .

[١٢٤] ـ ينظر : الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة ص ١١٠ .

والقوة ، وهو كونها لغة القرآن الكريم ولسان دينه الحنيف ، التي هي في الحقيقة قوة إلهية ، وضعها الله في اللغة العربية ، وجعلها مباركة من بين سائر اللغات بفضل كلامه المنزّل .

غير أن معرفة اللغة العربية في بلاد السِّنْد والمُلْتان كانت متوقفة على الطبقة العالية من الزعماء والأعيان من أهل البلد ، الذين كانوا يتعاونون مع الطبقة الحاكمة من العرب في إدارة شؤون البلاد وتنظيم الحياة لها ، وطبقة المثقفين ، والموظفين ، والإداريين ، فهؤلاء وحدهم كانوا على معرفة جيدة بالعربية دون سائر الشعب، كما قال الدكتور محمد إرشاد[١٢٥].

وبدأ القائد الفاتح محمد بن قاسم الثقفي بتعمير البلاد المفتوحة ، ونشر دعوة التوحيد فيها ، وتشييد المدن في ربوعها ، وذلك ـ كما تقول الروايات التاريخية ـ من خلال إنشاء عدة مساجد ومدن في تلك المناطق ، وتعيين أئمة ودعاة ، وقضاة وولاة لتصريف أمور الحكم والدين ، وتطبيق العدالة ، ومبدأ المساواة بين البشرية وفق الشريعة الإسلامية[١٢٦] .

وبعد هذه التغيرات السياسية ، والأحوال الإصلاحية التي حدثت في المنطقة أصبحت اللغة العربية تفهم في أسواق السِّنْد، ومُلْتان ، والمَنْصُورَة ، والمَحْفُوظَة[١٢٧]

---

[١٢٥] ـ ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤٨ .

[١٢٦] ـ ينظر : المصدر السابق ص ٤١ ، والدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة ص ٢٩٨ ، ٣٥٥ـ ٣٥٨ .

[١٢٧] ـ وقد اختلف المؤرخون ومعرّفو المدن في وجه تسمية هاتين المدينتين ((المنصورة ، المحفوظة)) ، وفي تاريخ إنشائهما على أقوال متباينة ، منها :

ـ أن والي السند الحَكَم بن عوانة الكلبي في عهد هشام بن عبد الملك بنى مدينة جديدة على الشاطئ الشرقي لنهر مهران وسماها المحفوظة ، وصارت هذه المدينة عاصمة لدولة المسلمين فيها ،

وغيرها من المدن ، وذلك نتيجة للتعليم المباشر من القرآن ، والاندماج الاجتماعي ، والاحتكاك المستمر لأهالي البلاد بالعرب الفاتحين، وخاصة الجنود الذين جاءوا للفتح، واستقر معظمهم بعده في بلاد السند ، واتخذوها موطناً لهم .

ويشير إلى ذلك الجغرافي الكبير الأَصْطَخْرِي (ت ٣٤٦هـ) بقوله ـ وهو يتحدث عن انتشـار اللغة العربية آنذاك ـ:((ولسـان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربيـة

وبمناسبة إحراز نصر جديد أيضاً في بعض العمليات الحربية قام بها المسلمون ضد المتمردين من أهل السند أنشئت مدينة أخرى على الجانب الغربي من نهر مهران ، وسميت المنصورة ، وبه قال البلاذري ، وابن الأثير .

ـ وقيل : إن محمد بن القاسم الثقفي هو الذي سمى مدينة ((برهمناباد)) عاصمة السند القديمة باسم المنصورة ، كما سمى مدينة الملتان باسم المعمورة ، قاله ابو الريحان البيروني ، والأصطخري .

ـ وقيل : إن اسم المنصورة إنما هو ترجمة عربية لكلمة((برهمناباد)) في اللغة السندية ، قاله أبو إسحاق الأصطخري .

ـ وقيل : إن الحكام المسلمين على السند قد اتخذوا مدينة ((برهمناباد)) القديمة الواقعة بين الديبل وملتان على نهر مهران ،ويدل إطلاق كلمة المنصورة على المدينة العاصمة لأول دولة إسلامية أقيمت في شبه القارة الهندية على أن المسلمين العرب قد أحرزوا نصراً كبيراً في هذه المنطقة .

وللوقوف على هذه الأقوال بالتفصيل ينظر : فتوح البلدان ص ٤٢٢/١، ٤٢٦ـ ٤٢٧ ، وتحقيق ما للهند ص ١٦ ، والكامل في تاريخ ٢٠/٤ ، ٦٤، ٣٧٨/٦ ، والدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة ص ٣٥٦ـ ٣٥٨ ، وإبراهيم بن محمد الأصطخري ، المسالك والممالك ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، . ـ د ط . ـ د ت، ص ١٠٢ ،وعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي [بيروت] . ـ د ط . ـ ١٩٩٢ م ،٢٧٣/١ ، ومعجم البلدان ٢١١/٥ .

والسندية...))[١٢٨]، وبمثله صرّح ابن حَوْقَل (ت بعد ٣٦٧ هـ)[١٢٩] .

وهكذا تتابع انتشار اللغة العربية في أرض الهندستان ، وتطورت دلالتها ، وادّت إلى نتائج مثمرة ، وأعمال رائعة تجلّت ـ فيما بعدُ ـ في ميادين العلم والثقافة واللغة ، وحلقات التدريس والبحث والمطالعة ، وظلّت تنمو وتزدهر إلى أن أصبحت اللغة العربية لغة الدين والفكر ، والأدب والقضاء ، بل ولغة التخاطب في بعض الأماكن ، فضلاً عن كونها لغة الكتابة ، والإدارة الحكومية في معظم مناطقها إلى جانب اللغة المحلية .

ومما يُضاف إلى الاهتمام بالعربية ، وتسبَّبَ في نشرها إقامة دويلات إسلامية في تلك البقعة من شبه القارة الهندية ، واتخاذ العربية لغة رسمية لها ، وخاصّة في دواوين الحكومة ، وتدوين وثائقها ما جعل سكان البلاد أن يبادروا إلى تعلمها ، ويتخذوها لغة التصنيف ، والإنتاج العلمي والأدبي ، حتى أصبح لها حظ كبير لدى أبناء هذه البلاد ، ورغبةٌ شديدة في دراستها وفهمها ، وكما تيسّر للعلماء العرب وأدبائهم بذلك التوافد إلى الهند أيضاً ، والاختلاط بأهلها ، والتأثير فيهم من الناحية الثقافية والأدبية[١٣٠] .

وفي عهد الدولة العباسية بعد ما انتظمت الأمور الإدارية للدولة العربية الإسلامية، وشيّدت مدن جديدة ، ومساجد كبيرة في بلاد السِّنْد والمُلْتان، ازداد اهتمام أهلهما باللغة

---

[١٢٨]ـ المسالك والممالك للأصطخري ص ١٠٥ ، وينظر: إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤٢.

[١٢٩]ـ ينظر : محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ، صورة الأرض ، دار صادر ، أفست ليدن ، بيروت . ـ د ط . ـ ١٩٣٨ م ، ٣٢٥/٢ .

[١٣٠]ـ ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤١ـ ٤٢، وأحمد أمين ، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة النهضة المصرية [القاهرة] . ـ ط ٧. ـ د ت ، ٢٤٩/١ وما بعدها .

العربية، وكثر عدد العلماء العرب فيهما ، وبدأ أبناء المنطقة يرغبون في العربية ، ويدرسون قواعدها ، ويعتنون بمعرفتها ، ولا سيما بعد دراستهم للعلوم الإسلامية ، ودخول الكثيرين منهم إلى الإسلام ، حتى تخرّج عددٌ من العلماء العارفين للغة ، المتمكنين من فهمها ، وذلك بفضل بعض المفكرين العرب وعونهم الذين كانوا يسعون إلى نشر العربية في تلك البلاد ، ويبذلون جهدهم لتعميمها ؛ لكونها أداةً للعلوم الإسلامية ، ووسيلة لنشرها .

وكان ممن اهتم بهذا العمل الجليل علماء الشريعة ، واللغة العربية ، ورجال القضاء ، وحتى المترجمون العارفون باللغتين العربية والسندية ، فقد كانت لهم مجالس علمية ، ومراكز ثقافية لتدريس العربية ، والعلوم الإسلامية ، كما قال الدكتور محمد إرشاد[١٣١] .

ولمّا قامت النهضة العلمية في عهد الخلافة العباسية ، ونشطت حركة التأليف والتدوين عند العرب ، وتقدَّم التطور الفكري والثقافي في القرن الثالث الهجري أي بعد قرن ونصف من فتح بلاد السِّنْد ، شرع المؤرِّخون العرب وكتّابهم ، وأدباؤهم ، وسيّاحهم في العناية بأمور السِّنْد والمُلْتان من بعيد، ودراسة أوضاعهما الثقافية ، وجمع أخبارهما وتدوينها في مصنفاتهم، وكان لهما حضور ثقافي في ميادين المعرفة، وأثر في أقلام المصنفين وإن كان يسيراً .

هذا ولم يمضِ القرن الرابع الهجري ، حتى بدأ كثير من هؤلاء المؤرِّخين ، والجغرافيين ، والكتّاب، والرُّحّل العرب يرحلون إلى بلاد السِّنْد والمُلْتان للاطلاع على أخبار البلاد، واكتشاف أجوائها ، ومقابلة علمائها وحكمائها ، وبذلك تمكنوا من جمع معلومات مفيدة ، وأخبار مختلفة ، ومقابلات عديدة مع العلماء المشهورين ، والحكماء

---

[١٣١] ـ ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤٨ـ ٤٩ .

البارعين ، وقاموا بتسجيلها في مصنفاتهم ومذكراتهم بعناية دقيقة ، وموضوعية تامة في الأخبار عامَّة ، وفي اللغة العربية وكيفية انتشارها بالتدريج في بلاد السِّند والمُلْتان خاصَّةً[١٣٢] .

وكان من جملة أولئك العلماء الذين زاروا تلك المنطقة ، وأشاروا إلى اللغة العربية وجهود العلماء اللغويين وغيرهم في نشرها ، وإقبال المسلمين عليها بالدراسة والتعليم المسعودي المؤرِّخ الشهير (ت ٣٤٦ هـ) ، الذي زار بلاد السِّنْد عام (٣٠٣ هـ) ، وأشار إلى وجود عدد كبير من العلماء العرب ، والقضاة ، والخطباء المتفوقين ، والأئمة الكبار يقومون بخدمة اللغة العربية ونشرها ، وهي تجد عند الناس في تلك البلاد مكانة في القلوب ، وتقديساً في النظر ، وكثير منهم يتحدثون بها ، وخاصة الطبقة الحاكمة ، والأعيان من أهل السند[١٣٣] .

وكذلك العالم الجغرافي الكبير الأَصْطَخْرِي(ت ٣٤٦ هـ) ، فقد أشار إلى انتشار اللغة العربية في عاصمة السِّنْد المَنْصُورَة ، وما يحيط بها من المدن الكبيرة ، فيتكلم أهلها بالعربية واللغة المحلّية ، كما أن أهل الملتان وأكثرهم من العرب والمسلمين فيتحدثون بالعربية إلى جانب لغتهم البنجابية المحلّية ، وحتى الأقلية غير المسلمة فإنهم يتكلمون بها ، وأيضاً أهل الديبل وقراها البالغ عددها نحو مائة قرية ، فإن كلامهم سندي وعربي مشترك على الرغم أن المسلمين هم الأقلية في تلك المناطق[١٣٤] .

---

[١٣٢] ـ ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤٩ .

[١٣٣] ـ ينظر : مروج الذهب ٣٧٨/١ ، وإسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤٩ .

[١٣٤] ـ ينظر : المسالك والممالك ص ١٠٥ ، وإسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤٩ ـ ٥٠ .

والرحَّالة الشهير ابن حَوْقَل (ت بعد ٣٦٧هـ) الذي زار بلاد السند والملتان سنة (٣٤٠ هـ)، فقد قال : إن اللغة العربية حتى منتصف القرن الرابع الهجري كانت لا تزال مستعملة في الدوائر الحكومية ، ومكاتب القضاء والقضاة ، والأسواق التجارية ، كما كانت هي اللغة المفضلة عند الخواص ، فيهتمُّون بها في تلك المواضع ، ويحبّون التعامل معها[١٣٥].

وهكذا ظلت اللغة العربية في تلك البلاد قائمة ، واُتُّخِذتْ لغة رسمية مستعملة في الوظائف الحكومية ودوائرها، ودور القضاء ومحاكمها ، والمدارس الدينية ومعاهدها، والأسواق التجارية ومراكزها ، وجُعِلت لغة الطبقة العالية من الحكَّام والولاة ، والعلماء والخواص ، والأدباء والفضلاء ، فهؤلاء جميعاً كانوا ذوي خبرة جيدة في العربية ، ومهارة عالية بها بالإضافة إلى الاهتمام باللغة العربية من قبل أهالي المدن الأخرى وقراها ، واستعدادهم لدراستها وتعلّمها ، وكذا بقي وضع اللغة ، واستمر ازدهارها حتى القرن الخامس الهجري الذي قدَّم من خلالها علماء العرب والسند خدمة كبيرة للإسلام بنشر لغته العظيمة ، وعلومه المقدسة ، وأحكامه الربانية.

ولمّا انتقل حكم بلاد السِّنْد والمُلْتان إلى الغَزْنويين الأفغانيين[١٣٦] في القرن الخامس الهجري ، وذلك في سنة (٤١٦ هـ) بدأت اللغة الفارسية تحُلُّ محلَّ العربية في تلك البلاد ، وأخذ حكامهم يروِّجون للغة الجديدة ، ويُؤْثِرون على غيرها من اللغات؛ لكونها لغة الدولة الغزنوية ، ولسان آدابها ، وبذلك أصبحت الفارسية منذ ذلك العهد لغة الثقافة والآدب ، والتعليم والدراسة لقرون عديدة في بلاد السند والملتان ،

---

[١٣٥]- ينظر : صورة الأرض ٣٢٥/٢ ، وإسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٤٩.

[١٣٦]- وللوقوف على تاريخهم السياسي وفتوحاتهم المجيدة في الهند ينظر التمهيد في هذه الرسالة .

وأيضاً في أجزاء من مدن الهندستان ، وكُتب بها عديد من المؤلفات الأدبية والإسلامية.

وبالرغم من سيطرة اللغة الفارسية على شعوب المنطقة ، وجعلها لغة المسلمين السائدة وقتئذٍ ، إلا أن العربية لم تفقد أهميتها العلمية ، ولا قداستها الروحية بين المسلمين ومحبي العربية ، بل استمرت العناية بها والرعاية لها من قبل العلماء والمثقّفين الكبار ، الذين ألّفوا كتباً قيمة في العلوم المختلفة بالعربية إيماناً منهم بقدر هذه اللغة وعظمتها عند المسلمين ؛ لكونها لغة القرآن والدين الحنيف ، الذي لا تُستوعبُ دلالته ، ولا تُفهم أسراره إلا باللغة العربية وإدراك حقائقها ، كما أنها لم تتأثر بالفارسية إلا قليلاً ، وإنما أثر فيها وفي غيرها من اللغات المحلية الأخرى ، وتركت فيها آثاراً ملموسة تبين ذلك في مفرداتها اللغوية ، وأصولها البيانية، وبنيتها الصرفية ، وكان من نتائج ذلك أنْ أصبح كثير من اللغات الشرقية تكتب بالحروف العربية فيما بعدُ[١٣٧] .

وبهذه المكانة العالية تمَّ تداولها في حقل التدريس والتأليف ، ومجالس البحث والمناظرة ردحاً من الزمن ، واعْتُمِدَ عليها في نشر العلوم الإسلامية وتبليغ دعوتها إلى أرجاء البلاد ، فحيثما انتشر الإسلام انتشرت اللغة العربية وعلومها ، ولم يُسْتغنَ عنها في مجال الدعوة إلى الله ، ولا التأليف بها ، حتى أصبح في المفهوم العرفي أن العالم المتمكن ، والبارع المتفنِّن مهما يكن متضلِّعاً في دراسة المنقول ما دام غير متقن

---

[١٣٧]- ولتأثير اللغة العربية وحل محلّها الفارسية في البلاد ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٥٠- ٥١ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٦٠ - ٦١ .

للغة العربية ، فلا يستحقّ ذاك اللقب ، ولا يُوصف بتلك الصفة لظهور عجزٍ فيه ، وهو جهله بالعربية ، وتقصيره فيها[١٣٨] .

وذلك كله كان يتم بفضل رعاية الأمراء الغزنويين وعلى رأسهم القائد المجاهد محمود الغزنوي (ت ٤٢١ هـ) وابنه مسعود (ت ٤٣٢ هـ) اللذان عُرِفا برعايتهما للعلوم والآداب ، حتى قصد بلاطهما عدد كبير من العلماء الكبار ، والمؤرخين ، والشعراء من مختلف الأقاليم الإسلامية، وكَثُرَ التصنيف في العلوم ، وتعدّدت المدارس، وازداد الإقبال على الثقافة الإسلامية والعلوم العربية، حتى أصبحت فتوحات الدولة الغزنوية فيما بعد بإنجازاته العلمية ، وآدابه الرائعة تشكل بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية كلها[١٣٩] .

وفي ظل الدولة الغزنوية جُعِلت العربية في المدارس الدينية المنتشرة في ربوع البلاد أحد العناصر الرئيسة الثلاثة ضمن مناهجها التعليمية ومقرّراتها الدراسية ؛ حيث كانت المواد تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، فالأول : هو المنقول الذي كان يتضمّن دراسة القرآن وعلومه والسنة وأحكامها ، واستخراج المسائل الشرعية منهما ومن آثار الصحابة ، فهذه الدراسات الدينية قد وجدت خلال ذاك العصر ازدهاراً في البلاد، وإقبالاً من المشتغلين بها ، وذلك بالعربية في معظمها ، والثاني : هو اللغة العربية وآدابها ، فكانت تشكّل جزءاً مهماً من النصاب التدريسي ؛ لارتباطها بالعلوم الإسلامية وأداة لفهم أسرارها وأحكامها ، والثالث : المعقول ، وهو العلوم النظرية والعقلية من المنطق والفلسفة والرياضيات وغيرها ، فكان نصيبها أقلّ من أخواتها ، وبهذه

---

[١٣٨] ـ ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٥٤ .

[١٣٩] ـ وللوقوف على هذه الثقافة العربية والإسلامية في العهد الغزنوي ومدى انتشارها في البلاد ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة ٩٩/١، ١٠٥ ، ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

العناصر الثلاثة من المنقول ، والأدب العربي ، والمعقول ، ومفرداتها المقرّرة وصل الغزنويون إلى لَاهَوْر[١٤٠] ، واشتمل التعليم التدريسي عليها ، وكان الشيخ محمد إسماعيل اللاهوري (ت ٤٤٨ هـ) مشتغلاً بتدريس تفسير القرآن والحديث الشريف قبل قدوم الغزنويين، وقد أشاع المنقول بشكل واسع في لاهَوْر ، وكذلك غيره من العلماء الأفاضل الذين قاموا بنشر العلوم الدينية والعربية في تلك البلاد، والتأليف فيها، كالشيخ سعد بن مسعود بن سلمان اللاهوري (ت ٥١٥هـ) وهو أول من برع في العلوم العربية من أهل الهند، وأكثر في الشعر، وله ديوان في الشعر العربي ، إلا أن معظم الكتابة والتصنيف عند علماء المسلمين بالهند خلال العهد الغزنوي كانت بالفارسية[١٤١] .

وفي عهد الغُوريين ، ومن بعدهم من المماليك ، والخَلَجيين ، والطُّغْلُقيين ، ونحوهم من السلاطين والأمراء الذين حكموا بلاد الهند ، والأفغانستان ، وغيرها ،

---

[١٤٠]- وهي إقليم يحدها من الشرق دهلي ، ومن الغرب ملتان ، ومن الشمال كشمير ، ومن الجنوب ديبالبور ، وأشهر مدنها لاهَوْر ، وهي عاصمة بلاد بنجاب في الهند ، وتقع على نهر راوي ، وتعد من أقدم مدن الهند، وقد فتحها السلطان محمد الغزنوي سنة /١٠٠٨ م / ، وضمها إلى مملكته الهندية في شرق نهر السند ، ثم فتحها السلطان شهاب الدين الغوري سنة /١١٨٦م/ كانت مقام بعض ملوك الهند وبها آثار قديمة وقلعة حصينة ، ويقال لها : الأهوان وهي مدينة عظيمة في بلاد الهند قديماً ، ، والآن تقع في جمهورية باكستان . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ١١٢ ، ومعجم الأمكنة للندوي ص ٤٨ ،والعقد الثمين ص ٩٢.

[١٤١]- ينظر: إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٥٢ ، وعبد الحي بن فخر الدين الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند ، المسمّى بـ : معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة - مصر . - د ط . - ٢٠١٢ م ، ص ٤٦ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٣٧- ٢٣٨ ، ٤٤٣.

ظلت العربية وآدابها حاضرة في المراكز العلمية ، والمدارس الدينية ، ومخصوصة في النصاب التعليمي ، وحصص التدريس ، وخلال تلك الفترة الطويلة من الحكم الإسلامي في الهند اشتغل العلماء بنشر العلوم الإسلامية والعربية ، واعتنَوا بفنونهما ، وحقَّقوا مسائلهما، وأبدعوا في شروحمها، وأتقنوا التأليف في دراستهما ، حتى أصبح معظم العلماء المشتغلين بتلك العلوم والمتحصِّلين عليها بارعين في الفهم ، ماهرين في الاستنباط ، مجيدين في التحليل .

ومن الجدير بالذكر هنا أن معظم أولئك السلاطين والأمراء كانوا يراعون العلم والعلماء ، ويعتنون بنشر الثقافة ، ولغة الأدباء ، ويسبغون رعايتهم على نبلاء الزمان وشعراء البلاد ، وفضلاً عن ذاك أن طائفة منهم كانوا يشتغلون بالعلوم والفنون والآداب العربية ، ولم يكونوا رعاة لها فحسب ، فها هو السلطان محمد طُغْلُق (ت ٧٥٢ هـ) ـ مثلاً ـ كان أحد الضليعين في العلوم السابقة والدارسين لها ، فمنثوراته ومنظوماته الفارسية والعربية على السواء تشهد له بالذوق الأدبي الرفيع مع حسن السبك ، وجمال الصورة ، وترابط الأفكار[١٤٢] .

كما غُصَّت بلادهم بالكثير من المدارس الشرعية ، والزوايا الصوفية ، والمجالس العلمية ، والمساجد العامرة بالدروس الإسلامية والعربية ، وطلابها ، وأساتذتها ، وإفادتها وبيانها ، وكان من أبرز تلك المراكز التي أصبحت مأوى للطلاب ، ومرتعاً للفكر، ومأخذاً للمعارف، ومصدراً للإعطاء ما أُقيمَ في عهد فيروز تُغْلُق (ت ٧٩٠ هـ) من الدُّور الثقافية ، وكان من بينها ثلاثون مدرسة جامعة لدراسة العلوم الشرعية والعربية ، وأدّى شغف هذا السلطان بالعلم إلى قدوم طائفة من علماء المسلمين بلاده

---

[١٤٢] ـ ينظر رعاية السلاطين للعلماء وانشغالهم بالعلم في : تاريخ المسلمين في شبه القارة ١/١٧١ـ ١٧٢ .

ليدرّسوا في مدارسه ، ويأدّبوا طلابها، وكان من بينهم مولانا جلال الدين الرومي العالم الصوفي المشهور[١٤٣] .

وكذلك ما ذكره ابن بطوطة (ت ٧٧٧ هـ)[١٤٤] عن مدارس الهند بقوله : إنه رأى بمدينة

هِنَّوْرْ[١٤٥] ثلاث عشرة مدرسة للبنات ، وثلاثاً وعشرين مدرسة للصِّبْية ، وهي تقوم بتدريس المواد الشرعية ، واللغة العربية ، وغيرها مما يدلُّ على عناية الدولة بتنشئة أولادها وتثقيفهم ، ـ سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً ـ بتلك الفنون والآداب .

وبهذه المدارس الدينية وغيرها ـ والعربية تُعدُّ إحدى روافدها العلمية ـ ، قامت النهضة الثقافية والأدبية والفنية خلال عهود طويلة ، واستمر حالها في تلك المناطق وِفْقَ نصابها التعليمي المعتاد الذي كانت العلوم الإسلامية واللغة العربية فيها تمثِّل الحيّز الأكبر من مقرَّراتها التعليمية ، ومناهجها الدراسية ، ولعل خير من أفصح القول عن هذه المناهج ، وأجاد في سردها التاريخي هو السيد عبد الحي الحسني[١٤٦] ؛ حيث قام بتقسيم نظام الدرس التعليمي في المدارس الدينية إلى طبقات بحسب التغييرات الزمانية ، وبدأ بالطبقة الأولى اعتباراً من أوائل القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري ، فامتدت إلى مائتي سنة تقريباً ، وكان معيار الفضيلة في هذه الأزمنة من الفنون اللغوية : النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والفقه وأصوله ، والمنطق ، والكلام ،

---

[١٤٣] ـ ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية١٨٧/١ .

[١٤٤] ـ نقلاً عن تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ٢٥٥/١ ولم أجد في رحلته .

[١٤٥] ـ ـ بكسر الهاء وفتح النون المشددة وسكون الواو والراء ـ وهي مدينة في الهند . ينظر : رحلة ابن بطوطة ٤٣٠/٢ .

[١٤٦] ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٥ـ ١٧ .

والتصوف ، والتفسير ، وقد شرع السيد عبد الحي في ذكر أسماء الكتب المقررة في المدارس ، والحديث عن الطبقات مفصّلاً ، وسأكتفي بالقول عن الجانب اللغوي ـ وهو ما يتعلق ببحثنا ـ وأقتصر عليه خوفاً من الاستطراد ، وإليك مجمل المفردات للغة العربية وآدابها في تلك المدارس ، فكان في النحو كتاب : المصباح ، والكافية لابن الحاجب ، ولب الألباب للقاضي ناصر الدين البيضاوي ، ثم الإرشاد للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي ، ثم حواشي الكافية له ولبعض تلامذته ، وفي الأدب : كتاب مقامات الحريري .

وفي الطبقة الثانية أُدْخِل إلى مناهج الدراسة كتاب : مفتاح العلوم للسكاكيفي البلاغة ، وشرح الكافية للجامي ، وذلك في آخر القرن التاسع الهجري ، فتلقى طلاب العلم والعلماء تلك الكتب اللغوية جميعاً بالقبول الحسن ، والمطالعة المفيدة ، والدراسة الدقيقة ، حتى صارت متداولة بين علماء زمانها ، وكبار أساتذتها في تلك المناطق، ومشهورة في مدارسها التعليمية ، ودُوْرها العلمية[١٤٧] .

وبعد هذا الإجمال الذي أورده السيد عبد الحي الحسني لمفردات اللغة العربية في مناهج التعليم ، وتداولها في الهند أتعرّج قليلاً إلى تفاصيل تلك العلوم العربية وآدابها نظراً لتطورها في البلاد ، وازدهارها في الفنون وفق ما أبدعه علماء الهند في المجال اللغوي ، وما أنتجته عقولهم في الأدب العربي ؛ حيث جاءت مساهمتهم في هذ الموضوع تحت عناوين كثيرة ، وكان من أبرزها : علم النحو، والمعاجم ، والبلاغة ، والأدب بنوعيه الشعر والنثر .

ففي النحو صُنِّفت مجموعة من الكتب بأقلام أبناء الهندستان ، وكان من أشهرها كتاب : الإرشاد ، أو إرشاد النحو للقاضي شهاب الدين بن شمس الدين عمر الزاولي

---

[١٤٧] ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٦ـ ١٧ .

الدولة آبادي (ت ٨٤٩ هـ) ، الملقّب بملك العلماء ، وهو متن متين في تركيب الجمل العربية ، ويُعدُّ في نظر علماء الهند أرفع منزلةً من الكافية لابن الحاجب ، كما قال الدكتور زبيد أحمد[١٤٨] ، وقد شرح كتاب الإرشاد المذكور عدد كبير من العلماء الكبار ، والنحويين الباحثين ، وعلّقوا عليه بشروحٍ دقيقةٍ ، وحواشٍ مفيدةٍ .

كما قامت شروح عديدة حول كتاب : الكافية ، وكتبت بأقلام العلماء الهنود ، فتميزت بالدقة في المناقشة ، والضبط في التقييد ، والجودة في التوضيح ، وكان من أحسن شروحها شرح للقاضي شهاب الدين السابق ، المسمّى بـ : الشرح الهندي شرح الكافية ، وقد شرحه أيضاً عدد من العلماء ومنهم شرح صفي بن نصير بن نظام الدينوهو من علماء القرن التاسع الهجري ، وتلميذ للقاضي شهاب الدين وسمّاه: غاية التحقيق ، وشرح سعد الدين الخير آبادي (ت٨٨٢هـ)، وغير ذلك من الشروح والحواشي الأخرى، وبالإضافة إلى هذه الكتب هناك كثير من المؤلفات النحوية الهندية بحواشيها وتعليقاتها الأنيقة، وقد بُذلت في سبيلها جهود طائلة ، ودراسات رائعة خدمةً للنحو العربي ، وتشريفاً لقدره ؛ لكونه لسان القرآن[١٤٩] .

وفي المعاجم العربية ، أو فقه اللغة كان لعلماء الهند باع واسع في دلالة معانيها ، وإدراك أسرارها ، وقدرة فائقة في الإحاطة بمفرداتها وتركيب صياغتها، وقد جاء في مقدمتها : كتاب: العُباب الزاخر واللُّباب الفاخر لرضي الدين ، الحسن بن محمد ابن الحسن الصغاني الهندي (ت ٦٥٠هـ)، وهو أحد المعاجم الكبيرة ، ويُعدُّ من أعظم كتب

---

[١٤٨]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٠٥ .

[١٤٩]ـ وللوقوف على هذه الكتب النحوية وشروحها وجهود علماء شبه القارة فيها مفصّلاً ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٠٤ـ ٢٠٨ ، ٤٢٢ ـ ٤٢٤، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٤ـ ٢٥.

اللغة في العالم العربي والإسلامي، وصاحبه أوّل من صنّف فيها ـ على ما قاله عبد الحي الحسني ـ في أرض الهند[١٥٠].

وعلاوةً على هذا أن هناك جماعة أخرى من العلماء الهنود لهم أفق واسع ، وخبرة كافية في علم اللغة ودراسته الدلالية ، فأسهموا في ذاك الفنّ بطلاقة العبارة ، وجزالة الألفاظ ، وإيضاح المعاني[١٥١] .

وفي الأدب من الشعر والنثر قد أسهم علماء الهند بنصيب عظيم من الشعر العربي، والنثر الفني ، وهما لا يقلّان عما شاركوا فيه من العلوم الأخرى ، وأبلوا فيهما بلاءً حسناً بالصور الخيالية ، والإبداع الفني ، والعاطفة الصادقة ، وكان من أشهر أدباء الهند في الشعر العربي حينئذٍ الأمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي (ت ٧٢٥ هـ) وهو ممن تفرد في العلوم الأدبية ، وقرض الشعر ، وله خمسة دواوين في الشعر، وخمس مزدوجات عارض بها خمسة النظام الكنجوي ، وله مزدوجات غيرها، وعدد أبيات الخمسة لخسرو ثمانية عشر ألف بيت ، وكل أبياته تربو على أربعمائة ألف بيت بالعربي والفارسي ، فإنه مع براعته في لغة الفرس كان ماهراً بالعلوم العربية من النحو ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض والقافية ، وغيرها .

وكذا القاضي عبد المقتدر بن رُكن الدين الدهلوي (ت ٧٩١ هـ) كان من الشعراء المُفْلِقين أنشأ بالعربية قصائد رائعة ، وله تعمق في الأدب العربي ، والشيخ أحمد بن محمد التهانيسري، توفي في أوائل القرن التاسع الهجري ، كان من الأدباء المشهورين في عصره ، وشاعراً مجيداً وله قصائد شعرية ، والشيخ نصير الدين ، الملقّب

---

[١٥٠] ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٥ .

[١٥١] ـ ينظر الحديث عن المعاجم اللغوية وازدهارها في الهند مفصّلاً في : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٥ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٠٩، ٢١١، ٤٢١ .

بمصباح دلهيكان شاعراً وعالماً ، وباحثاً دقيقاً في العربية ، وله قصائد في الشعر ، والشاعر أحمد شرعي (ت ٩٢٨ هـ) ، له أشعار بالعربية[١٥٢] .

وأما في النثر الفني ، فكان من مساهمة أبناء الهند الكثيرة ، ونشاطاتهم فيه : خطبة الجمعة للشيخ نظام الدين ، محمد بن أحمد بن علي البخاري (ت ٧٢٥ هـ) الملقّب بسلطان الأولياء ، صوفي الهند الكبير وأحد أوليائها العظام ، وقد كان لخطبه منزلة سامية في البلاد ؛ حيث وُصِفت بأناقة الأسلوب ، وصدق التعبير ، وإثارة حماسة المحبّ في الحبّ الإلهي ، وسمو الغرض ، وهي مازالت تقرأ على الطلاب في مساجد الهند الكثيرة ، ومصدق الفضل شرح قصيدة بانت سعاد للقاضي شهاب الدين بن شمس الدين الدولة آبادي (ت ٨٤٩ هـ)[١٥٣] .

وفي البلاغة ، قد أسهم فيها علماء الهند بالدراسة ، وفيها أجادوا وأفادوا ، وصنّفوا وبحثوا، واخترعوا واستخرجوا أنواعاً من البديع في فنّ البلاغة ، ودراسة أقسامها من المعاني والبيان ، وكان من أشهر علمائها : الأمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي (ت ٧٢٥ هـ)؛ حيث استطاع بمهارته الفائقة ، وقدرته القوية في العلوم العربية أن يستخرج نوعاً جديداً من البديع ، ووضع له آزاد غلام علي البلكرامي (ت ١٢٠٠ هـ)

---

[١٥٢]- وللوقوف على هؤلاء الشعراء ومقتطفات من شعرهم مفصّلاً ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٤٦- ٤٧ ، ٢٨٥ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤٤- ٤٤٥ ، ٢٣٩- ٢٤٢ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ١٦٤- ١٦٥ .

[١٥٣]- ينظر النثر الفني في الهند مفصلاً في : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢١- ٢٢٢، ٤٣٦- ٤٣٧ .

اسم : أبو قلمون[١٥٤] ، وعلماء الهند حواشٍ ، وشروح كثيرة تدل على اقتدارهم في العربية، وحسن فهمهم لبلاغتها ، ودقة بحثهم في دلالتها[١٥٥] .

وبهذا السرد التاريخي للغة العربية وآدابها في تلك المناطق عبر العصور المختلفة تجلّى ازدهارها ، وتقدم فنونها بفضل رعاية أولئك السلاطين والأمراء ، واهتمامهم بها ، وفضلاً عن هذا أن هناك علماء بارزين في العلوم الإسلامية قاموا بخدمة طيبة لهذه اللغة ، وبذلوا جهوداً كثيرة في سبيلها تعلماً وتعليماً ، وتأليفاً ونشراً ؛ لكونها شعار المسلمين ولغة المثقفين الحامين للدين الإسلامي ، وإليه أشار الدكتور محيي الدين الألوائي بقوله : ((ويبدو أثر هذا الانتشار في حركة التأليف والنشر باللغة العربية التي قام بها هؤلاء العلماء في فترات التاريخ ، وفي شتى فروع العلوم الإسلامية والعربية ، كان شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول الاعتناء باللغة العربية ، والتمسك بها لكونها لغة القرآن الكريم ، وعلوم الدين الحنيف))[١٥٦] .

وكما يظهر أثره في إقامة المراكز للثقافة الإسلامية والعربية في أرجاء الهند ، وتشييد الدور والمدارس الدينية التي كانت تتدفق حماساً ونشاطاً حينئذٍ للمحافظة على تلك العلوم ونشرها في البلاد .

---

[١٥٤]- ((وهو يتألف من استخدام كلمة شائعة بين أكثر من لغة بحيث تكرر الكلمة مختلفة المعنى في كل ، ولكنها مناسبة في الجملة الصغيرة من الآية الكريمة : (ويأتينا فرداً) ، [الآية ٨٠ سورة ١٩] ، فكلمة (فرداً) بمعنى : وحيداً ، أي : أن الكافر سيأتي إلى الله وحيداً ، و(فرداً) في الفارسية بمعنى : غداً ، وأيضاً بمعنى يوم القيامة، وهذان المعنيان يناسبان أيضاً في الآية)) الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢١٨.

[١٥٥]- وللوقوف على البلاغة في شبه القارة ، وجهود العلماء فيها ، ومصنفاتهم مفصلاً ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٤٠- ٤١ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢١٧- ٢١٩ .

[١٥٦]- الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة ص ٣٠٢ .

وأمّا في العصر المغولي الذي بلغ الازدهار الثقافي والحضاري في شبه القارة الهندية ذروته ، فقد استمرّت أهمية اللغة العربية في سائر البلاد ، وبدأت العناية بها واضحة في ظل السلطة المغولية وسلاطينها ، فألّف بها كثير من المصنّفات العلمية ، والبحوث الثقافية في كافة الفنون ، وباتت تشكّل جزءاً مهماً في المناهج الدراسية ومقرراتها التعليمية ، وظهرت في ميادينها أعداد كبيرة من أعلام اللغة ، وفحول الأدب ، ونبغاء البلاغة على الرغم أن البيئة التي اختلطت بها العربية ، وانتشرت في أرجائها ، وامتزجت في عروقها غير العربية ، فالفارسية والهندية كانتا اللغة المحلية ولغة الفاتحين الذين جاءوا بعد الفتح الغزنوي للهند ، فكانوا بهما يتحدثون ويكتبون ، ويصنِّفون ويترجمون ، حتى أصبحت الفارسية لغة البلاط والإدارة ، وأداة التوظيف والعمل ، وكذا الأوردية التي وُلدت ـ فيما بعد ـ من رحم اللغات الثلاث العربية ، والفارسية ، والهندية المحلية ، وانتشرت في شبه القارة الهندية ، وتحوّلت إلى لغة الأدب والثقافة ، والتصنيف خلال سلطة المغول على البلاد .

ومع ذلك كله ظلت العربية راسخة أمام تلك اللغات الثلاثة ، ومزدهرة بفنونها الأدبية والعلمية ، ومؤثرة فيها بمفرداتها وحروفها دون أن تتأثر بها في مجالات الفكر والبحث إلا قليلاً .

ولعل من أهم العوامل التي أدّت إلى ازدهار اللغة العربية ، وانتشارها في شبه القارة خلال سلطة المغول دون أن تتأثر بغيرها من اللغات ما يلي :

ـ سموّ اللغة العربية ومكانتها المقدسة في نظر مسلمي شبه القارة ، وشدة الاعتناء بها ، والرغبة فيها ؛ لكونها لغة القرآن والدين الإسلامي ، وهو ما جعلهم أن يتحمّسوا لخدمتها ، ويتمسّكوا بجذورها لفهم الإسلام وإدراك أسراره ؛وليتمكّنوا من تبليغ الرسالة ، ونشر الدعوة وإيصالها إلى جميع المناطق ، بعيدين في ذلك عن المآرب

السياسية ، أو السلطة العسكرية ، أو الأطماع الدنيوية ، مبتغين في ذلك رضى الله ، وامتثال أوامره .

ـ غِيرة المسلمين على العقيدة الإسلامية ، والدفاع عنها ، وتخليصها من الشبهات والأفكار الباطلة التي كانت في عهد جلال الدين أكبر المغولي الذي انحرف عن سبيل الحق والدين ، وبدأ يحاول توحيد الأديان والمذاهب تحت مسمّىً واحدٍ وهو: وحدة الأديان أو المذهب الإلهي ، فعمل العلماء على مخاصمته ، وسد طريقه ، ولم تكن هذه المخاصمة ممكنة إلا بالقرآن والسنة ولغة كل منهما عربية ، ومن ثم أصبحت هذه المخاصمة وسيلة لانتشار اللغة العربية ، وكان من أشهر هؤلاء العلماء المخلصين الذين سدّوا طريق إشاعة عقائد أكبر ، ودافعوا عن العقيدة الصحيحة ، وجابهوا هذه الأفكار الهدّامة بالحجج القوية ، والبراهين القاطعة الشيخ عبد الحق المحدِّث الدهلوي (ت ٩٥٨ هـ)، والشيخ أحمد السرهندي (ت ١٠٣٤ هـ) .

ـ قوة الأدب العربي وشيوعه في شبه القارة الهندية، وتأثيره على غيره من الآداب؛ إذ كان شائعاً في ذاك الوقت ، ومواكباً للعلوم الدينية ، والحضارية الإسلامية التي استقرت في الهند من القرن الأول الهجري إلى القرن الذي كان ينافس الأدب الفارسي والسنسكريتي الهندي، واستطاع الأدب العربي بفنه الأدبي ، وقوته الدلالية أن يسع آداب الهند والفرس وثقافتهما ، ويبسط سيطرته في كثير من الأماكن ما جعل اللغة العربية أن تنال مكانة عظيمة بين الأوساط العلمية ، وتستهوي أفئدة الأدباء نحوها في المحافل الأدبية[١٥٧] .

[١٥٧] ـ ينظر الفقرة الثانية والثالثة من عوامل نشر اللغة العربية في : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص ٥٣ـ ٥٤ .

ـ قيام النهضة الثقافية ، وازدهار العلوم في كافة الفنون ، وكثرة التأليف ، وزيادة الوعي الفكري ، وخاصة في عهد عالمكير وجدّه أكبر وتعدّد المدارس الدينية ، والعربية جزءٌ من تلك الصحوة العلمية ، فبها كانت تصنّف الكتب ، وتعقد المجالس ، ويقرض الشعر، ويصاغ النثر ، وتُساق الخطب ، وغير ذلك مما يندرج تحت الجوانب الأدبية ، والأعمال اللغوية ، والحياة الفكرية التي تساعد على نشر اللغة العربية وعلومها ، وتقتضي شغف كثير من العلماء والأدباء والفضلاء بآدابها وبلاغتها ، وهذه المجموعة من العوامل كان لها أثر واضح في نشر اللغة العربية ، وتطورها في البلاد.

ونظراً لنشاط اللغة العربية وفنونها في العصر المغولي ، وأهمية دورها الثقافي ، وانتعاشها في أرجاء البلاد أذكر بعضاً من جوانبها العلمية ـ وإن كان الحديث عنها سيأتي لاحقاً ـ لترابط الأفكار ، وحسن الترتيب في عرض المادة ، ودراسة عناصرها على الشكل التالي مختصراً : النحو والصرف فقد كانا من العلوم العربية التي وجدت إقبال العلماء عليها ، ودراسة مسائلها ، ونالت قسطاً كبيراً من جهود علماء شبه القارة في تلك البلاد ، وكان في قائمة الكتب الكثيرة والمشهورة التي ظهرت في الهند خلال العصر المغولي كتابان في النحو صنّفهما المُلّا عبد الرشيد الجونبوري (ت ١٠٨٣هـ) أحدهما : تذكرة النحو ، وثانيهما : بداية النحو ، وينفرد الأخير بخاصية أن كل أمثلته مأخوذة من الفقه الإسلامي ، كما كتبت شروح وحواشٍ عديدة على شرح الجامي من أشهرها : شرحان شاملان لعبد الحكيم السيالكوتي (ت ١٠٦٧هـ) أحدهما : إكمال لشرح ناقص لعبد الغفور تلميذ الجامي على شرح الجامي ، والثاني : حاشية على حاشية عبد الغفور أيضاً .

وبالإضافة إلى هذه الكتب هناك كثير من المؤلفات النحوية والصرفية كتبت بأقلام أبناء شبه القارة الهندية ، كحاشية نور الحق بن عبد الحق حقي الدهلوي (ت ١٠٧٣ هـ) ، وخلاصة الكافية لمحمد حسين الملقّب بـ : إمام المدرّسين (ت ١١٠٨هـ) ،

وحاشية على شرح الجامي لوجيه الدين الكجراتي (ت ٩٩٨هـ) ، وكفاية المفرطين شرح الشافية للشيخ جمال الدين محمد بن طاهر الفاروقي التبني (ت ٩٨٦ هـ) ، ومفتاح الصرف لعبد الوهاب القنُّوجي ، الملقّب بـ : منعم خان (ت ١١٢٦ هـ)[١٥٨] .

وفي المعاجم العربية لا تقل مساهمة العلماء الهنود عن الجهود السابقة ؛ حيث جاءت مثمرةً بتوضيح المعاني ، ودلالة الكلمات، وشرح المفردات بالبيانات الفصيحة، والإرشادات السليمة للكلمة ، ويأتي في طليعة هؤلاء العلماء اللغويين أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد ، المعروف بالسيد مرتضى الحسيني الزبيدي الهندي (ت ١٢٠٥هـ) وقد كتب شرحاً شاملاً على القاموس المحيط للفيروزآبادي في اللغة العربية وسمّاه: تاج العروس شرح القاموس، وهو عمل فريد لم يُسبق إليه في بابه ـ على ما قاله السيد عبد الحي الحسني[١٥٩] ـ ، وعبد الرشيد التهتوري ، عاش في عهد شاهجهان ، وقد صنّف معجماً للكلمات العربية ، وسمّاه : منتخب اللغة ، مستعملاً فيه الفارسية أداة شرح له ، وهو ما اسْتُعْمِلَ كثيراً في الهند لدى ذوي الشأن والاختصاص ، والشيخ عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفي بوري ألّف معجماً ضخماً يُسمّى : منتهى الأرب ، وقد استعمل كثيراً في الهند أيضاً وحلّ محلَّ كثيرٍ من المعجمات الأخرى ، ولكنه كتب باللغة الفارسية ، والمفتي سعد الله بن نظام الدين المراد آبادي وكتابه : القول المأنوس في صفات القاموس ، وهو وصف وتقويم للقاموس المحيط للفيروزآبادي ، وهو كتاب يستحق كثيراً من العناية .

---

[١٥٨] ـ ينظر هذه الكتب النحوية والصرفية وغيرها ، والاطلاع على حواشيها وشروحها مع مصنّفيها مفصلاً في : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢٦ وما بعدها ، وص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٤ وما بعدها .

[١٥٩] ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٦ .

وهناك معجمان آخران لهما أهمية عظيمة في البحث العلمي ، أُلِّفا في المصطلحات العلمية والتعريف بها ، أحدهما : كشّاف اصطلاحات الفنون لمحمد أعلى الفاروقي التَّهانْوي، عاش في القرن الثاني عشر الهجري تقريباً ، وقد صنّف كتابه عام (١١٥٨ هـ)، اعتنى فيه بكل اصطلاحات الفنون والعلوم العربية، وهو كتاب فريد في بابه، كما قال أبو الحسن الندوي[١٦٠] ، والآخر : دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لملا عبد النبي بن القاضي عبد الرسول الأحمد نَكَري صنفه في سنة (١١٧٣ هـ)، وهو أيضا في المصطلحات العلمية من اللغة ، والأدب ، والشعر، والفقه ، وغيره[١٦١] .

وفي الأدب العربي من الشعر والنثر كان لعلماء الهند مشاركة ملحوظة ، ونصيب وافر في الشعر وقصائده وأرجوزته ، وفي النثر الفني وأقسامه وصوره ؛ حيث قاموا بتأليف كتب ودواوين في الأدب ، ودراسات نقدية وإبداعات رائعة في البحث ، تخطَّت شُهرة تلكالمصنّفات والأبحاث حدود الهند ، واحتفى بها العلماء في سائر العالم العربي والإسلامي ، واعترفوا لها بدقة الموضوع ، وإتقان العمل ، وغزارة المادة ، وعميم النفع ، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء الضالعين في العلوم العربية والمحيطين بأسرارها ، والمتقنين لصياغة الأشعار وسوق القصائد الشاعر غلام علي آزاد البلكرامي (ت ١٢٠٠ هـ)، الملقّب بحسّان الهند ، وهو أعظم شعراء العربية في الهند،

---

[١٦٠]ـ ينظر : رجال الفكر والدعوة في الإسلام ٤٣٤/٤ .

[١٦١]ـ وللوقوف على هذه المعاجم وغيرها ، والحديث عنها مع مؤلّفيها مفصلاً ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٦ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص٢١١ـ ٢١٣ ، ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

له دواوين وأشعار كثيرة ، وأنشأ قصائد عديدة في المدائح النبوية[١٦٢] ، وكان آزاد شاعراً مفطوراً له ذوق أدبي رفيع ، وقدرة فائقة على الشعر ، والسيد عبد الجليل البلكرامي (ت١١٣٨ هـ) كان أحد الأدباء المشهورين ، والشعراء المجيدين ، والشيخ باقر بن مرتضى المدراسي (ت ١٢٢٠ هـ)، له العشرة الكاملة وفيها عشرة قصائد على منهج المعلقات ، وديوان الشعر العربي ، والمقامات على نهج الحريري ، ورسائل جمعها في شمائم الشمائل في نظام الرسائل ، والمفتي عباس التستري اللكهنوي (ت ١٣٠٦ هـ) من مصنفاته : رطب العرب ديوان الشعر العربي ، ورسائل جمعها في كتاب سمّاه: الظل الممدود، ومولانا علي عباس الجِرَيَّاكوتي ، وله ديوان الشعر العربي، ومكاتيب ، وتقاريظ ، وغيرهم كثيرون ممن خاضوا في العلوم الأدبية، ولهم مصنفات في دراساتها ، وقصائد شعرية ودواوين متعددة[١٦٣] .

وفي البلاغة وأنواعها من المعاني ، والبيان ، والبديع تعدّدت نشاطات علماء الهند ما بين اختراعات وابتكارات ، وحواشٍ وشروح ، ومطولات ومختصرات ، وجميعها أُوتي أكلها على مائدة البحث وأبواب المعرفة في تلك البلاد ، وكان من أبرز أولئك البلغاء المشهورين ، والفضلاء المتعمقين في فهمها ودلالتها العلامّة غلام علي آزاد البلكرامي (ت ١٢٠٠ هـ) ، الملقّب بحسّان الهند ، وشاعر العربية فيها ، فقد كان

---

[١٦٢]- وللوقوف على بعض أشعاره وخصائصه ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢، وغلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي ، سبحة المرجان في آثار هندستان ؛ تقديم وتحقيق محمد سعيد الطريحي ، دار الرافدين ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١. ـ ٢٠١٥ م ، ص ٢٣٠ وما بعدها ، والثقافة الإسلامية في الهند ص٤٧ ـ ٤٨ .

[١٦٣]- وللوقوف على هؤلاء الأدباء والشعراء وغيرهم ، والاطلاع على مصنفاتهم بالتفصيل ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٤٧ ـ ٥١ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٤٤ وما بعدها ، وص ٤٣٧ وما بعدها ، وص ٤٤٦ـ ٤٤٩ .

عالماً ومولعاً بالابتكارات البديعية ، وصاحب أوجه الجمال الأدبي ، والصور البلاغية الرائعة، فقد اخترع بعض الأنواع البديعية ، وأدخل إلى الأدب العربي بعض محسناتها من اللغة السَّنْسكْريتية الهندية[١٦٤] .

والشارح الأعظم عبد الحكيم السيالكوتي (ت ١٠٦٧هـ)، وهو مِنْ ذوي المهارات البلاغية ، والخبرات الواسعة الذين أخرجتهم الهند إلى عالم المعرفة في فن البلاغة وغيرها ، وقد كتب حاشية شاملة غزيرة على المُطَوَّل لسعد الدين التفتازاني ، وقد تمتَّعت هذه الحاشية بشهرة عالية ، وسمعة حسنة في العالم الإسلامي ، وصدر الدين علي بن أحمد ، المعروف باسم : ابن المعصوم المدني (ت ١١١٧هـ) ومن كتبه المتعددة : أنوار الربيع في أنواع البديع ، وهو يتألف من قصيدة بديعية أنشأها وكتب عليها شرحاً مفيداً.

وبالإضافة إلى هؤلاء البلاغيين ، والكتب السابقة هناك مجموعة أخرى من الحواشي والشروح والكتب المستقلة في البلاغة، وذلك كحاشية الحكيم الميرهاشم الجيلاني (ت١٠٦١هـ) على المُطوَّل ، وحاشية الملا محمد محسن الكشميري (ت ١١١٩هـ) عليه ، وحاشية السيد محمد القنوجي الذي عاش في عصر أُورْنَكْزِيْب عام (١٠٦٩ ـ ١١١٩ هـ) ، وكتاب : ملحمة بديع وبهجة البديع لأحمد بن أبي الغيث المغلطائي ألف في سنة (١١١٦هـ) ، وغيرهم كثيرون[١٦٥] من علماء شبه القارة الذين

---

[١٦٤] ـ ينظر هذه الصور البديعية ، والأنواع التي اخترعها بالتفصيل في : سبحة المرجان ص ٢٢٨ وما بعدها ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢١٧ـ ٢٢٠ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٤٠ ـ ٤١ .

[١٦٥] ـ ينظر فن البلاغة ، وجهود هؤلاء وغيرهم في شبه القارة مفصّلاً في : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٤١ـ ٤٢ ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢١٦ ـ ٢٢٠ ، وص ٤٢٧ وما بعدها .

ظهروا خلال العصر المغولي في مقدمة المؤلِّفين البارعين في العلوم الدينية والعربية، وانتهت إليهم رئاسة التدريس والتأليف في كثير من الفنون[١٦٦] .

وبهذا الاستعراض العلمي نلاحظ في تاريخ سلطة المغول وحكمهم أنواعاً من العلوم العربية قد انتشرت في سائر البلاد ، ونمت أغصانها واستطاعت العقول الهندية أن تنتج نخبة من كبار العلماء من الأدباء ، والشعراء ، وعلماء اللغة ، والبلغاء ، والنحويين ، وغيرهم ، فبسطوا في أرجاء شبه القارة الهندية مراكز علمية ، ودُوْراً ثقافية انبثق منها الرقي الفكري ، والتطور اللغوي ، والإنتاج العلمي ، وبذلك استطاعوا المحافظة على أصول اللغة العربية وبيان دلالتها ، وصون قواعدها من أيدي العابثين بها ، وطغيان اللهجات عليها .

ثانياً ـ الأدب العربي ومفهومه :

أ ـ تعريفه اللغوي وتطور دلالته :

أصلُ الأَدَبِ في معناه اللغوي : هو الدعوة إلى الطعام ، وهو مصدر مِنْ قولك: أَدَبَه يأَدِبُه: إذا صَنَع صنيعاً ودعا الناس إليه ، ومنه قيل للوليمة : مَأْدُبَة : بمعنى الطعام الذي يُدْعى إليه الناس .

والآدِبُ على وزن فاعِل : هو الداعي إليه ، وقد جاء على لسان طَرْفَة بن العَبْد :

نحنُ في المَشْتاة ندعو الجَفَلَى لا تَرى الآدِبَ فيْنا يَنْتَقِرْ[١٦٧]

---

[١٦٦] ـ أما النصاب التعليمي في تلك المدارس ومناهجها المقررة خلال العهد المغولي . ينظر : اللغة العربية ودورها في المدارس الدينية من هذه الرسالة .

أي : لا ترى الداعي يدعو بعضاً دون بعض ، بل يعم بدعواه في زمان القلة ، وذلك غاية الكرم .

والأَدَبُ : حسن التناول للأمور والتصرف في الحياة ، يقال : أَدُبَ فلانٌ : وهو مصدر من: أَدُبَ يأدُب أَدَباً ، فهو أديبٌ ، ويُجْمع على آداب: إذا ظرُف وحَسُن تناولُه ، ويقال : أَدَّبْتُه تأديباً ، فتَأَدَّبَ واسْتَأدَبَ : إذا علّمْتُه رياضة النفس ومحاسن الأخلاق فتعلّم ، ومنه قيل : أدّبْتُه تأديباً : إذا عاقبته على إساءته ؛ لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب .

وقال أبو زيد الأنصاري : ((الأَدَبُ : يقع على كل رياضة محمودة يتخرَّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل))[١٦٨]، وهذه الرياضة كما تكون بالفعل وحسن النظر

---

[١٦٧] ـ طرفة بن العبد ، ديوانه ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١ . ـ ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م ، ص ٥١ ، والمَشْتاة : الشتاء ، الدعوة الجَفَلى : العامة ، الآدِب: الداعي إلى الطعام ، لا ينتقِر : لا يختار أناساً دون آخرين . ولشرح الكلمات ينظر : عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، . ـ ط ٤ . ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ،١٩٠/٨ـ ١٩١، ومحمد بن يزيد المبرّد ، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة . ـ ط ٣ . ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م ، ٤٦/٣ .

[١٦٨] ـ كما نقل عنه محمد بن محمد ، أبو الفيض مرتضى الزبيدي البلكرامي في تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، الكويت . ـ د ط . ـ د ت ، ١٢/٢ مادة (أدب) ، وأحمد بن محمد بن علي الفيّومي في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (معجم عربي ـ عربي) ، مكتبة لبنان ، بيروت ـ لبنان . ـ د ط . ـ ١٩٨٧ م ، ص ٤ المادة نفسها.

والمحاكاة، تكون بالأقوال الحكيمة التي تضمنتها لغة أي أمة[١٦٩]، وبمعناه صرح به الزبيدي في تاج العروس قائلاً : الأَدَبُ ـ محرّكة ـ الذي يتأدّب به الأديبُ من الناس ، سُمّي به ، لأنه يؤدِّب الناس على المحامد ، وينهاهم عن المقابح))[١٧٠] .

وفي المصباح المنير : ((هو تعلُّم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق))[١٧١] .

وقال الجواليقي : ((الأدبُ في اللغة هو: حسن الأخلاق ، وفعل المكارم))[١٧٢].
وهذا ما ذكره أهل اللغة لدلالة كلمة الأدب اللغوية واستعمالاتها[١٧٣].

وبعد هذا الاستعراض اللغوي للأدب نجد بأن معناه قد تطور بتطور الأمة ، وتوسّع مفهومه باستعمال الكلمة ، وتحول شأنه من دور البداوة إلى طور الحضارة ؛ حيث انتقل من معنى مادي وهو الدعوة إلى الطعام إلى معنى معنوي، وهو تهذيب النفس، والتحلي بمكارم الأخلاق، والاتصاف بالخلال الحميدة، وحسن الشيم والسلوك،

---

[١٦٩] ـ ينظر : أحمد الإسكندري وآخرون ، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ، مطبعة المعارف ، مصر . ـ ط ١ . ـ ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩م ، ص ٣ .

[١٧٠] ـ تاج العروس ١٢/٢ مادة (أدب) وينظر : محمد بن أحمد الأزهري الهروي ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ٢٠٠١ م ، ١٤٧/١٤ .

[١٧١] ـ ص ٤ مادة (أدب) .

[١٧٢] ـ موهوب بن أحمد بن محمد ، أبو منصور ابن الجواليقي ، شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، تقديم مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت . ـ د ط . ـ د ت ، ١٩/١ .

[١٧٣] ـ وللمزيد من الدلالة اللغوية للكلمة ينظر: محمد بن مكرم بن علي ، ابن منظور الأنصاري ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت . ـ ط ٣ . ـ ١٤١٤ هـ ، ٢٠٦/١ـ ٢٠٧ مادة (أدب) ، وتاج العروس ١٢/٢ـ ١٣ ، وترتيب القاموس المحيط ١٢٢/١ ، والمصباح المنير ص ٤ ، وتهذيب اللغة ١٤٦/١٤ـ ١٤٧المادة نفسها.

والتأنق في الكلام والحياة ، ثم توسّع استعماله ، فاستخدم في الكلام الجيد المهذَّب ، ومنه قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :((أدَّبني ربّي فأحسنَ تأديبي))[١٧٤] ، وبهذا الشكل فأن الأدب كلام يهذّب النفس ، ويرقق الحسّ ، ويثقِّفُ اللسان.

هذا ولم يمض العصر الأموي حتى وجدنا كلمة الأدب قد تجاوزت عن المعنى الخلقيّ التهذيبي إلى المعنى التعليمي ؛ حيث كانت تطلق على طائفة من المعلِّمين ، وسُمّوا باسم المؤدِّبين الذين كانوا يعلّمون أبناء الخلفاء والأمراء أصول الثقافة العربية من شعر ، وحكم ، وخطب ، ونوادر، وأنساب العرب ، وأيامها في الجاهلية والإسلام، وهكذا بدأت الكلمة تتسع مادتها ، وتفشو جذورها ، وتنتشر عناصرها حتى أصبح لفظ الأدب يُطلق على كل ما أنتجته القريحة الإنسانية .

وفي العصر العباسي ضيّق العلماء مدلول كلمة الأدب وقصروها على علوم العربية الثمانية ، وهي : النحو ، واللغة ، والصرف ، والعَروض ، والقوافي ، وصنعة

---

[١٧٤] ـ نقله أحمد بن علي ، ابن حجر العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م ص ٩٧ وقال : أخرجه العسكري ، ومحمد بن أحمد ، شمس الدين ابن عقيلة في الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد رضا ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت. ـ ط ١ . ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م ، ص ١٠١ ، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ، ص ٧٣، وقال رواه العسكري من جهة السدي عن أبي عمارة عن علي ـ رضي الله عنه ـ بقريب منه ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، نشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود، الرياض ـ السعودية . ـ د ط . ـ د ت، ص ٤٥ نقله عن السمعاني من حديث ابن مسعود .

الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، وهكذا توالى تطور هذا المفهوم حتى أصبح علماً على هذا الفن[١٧٥] ؛ وفي هذا السياق يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : ((هذا العلم لا موضوع له يُنْظَر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود به عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به المَلَكةُ من شعر عالي الطبقة ، وسجع متساوٍ في الإجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك ، متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم له ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة ، والأخبار العامة ، والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفَّحَه ... ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفنّ ، قالوا : الأدب هو حفظ لأشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف))[١٧٦] .

---

[١٧٥] ـ وللحديث عن تطور الأدب ومفهومه عبر التاريخ ينظر : واضح رشيد الندوي ، تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، لكهنؤ ـ الهند. ـ د ط . ـ ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م ، ص ٨١ـ ٨٢ ، وشوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول ، دار المعارف [القاهرة] ، . ـ ط ١٦ . ـ ٢٠٠٤ م ، ص ٧ وما بعدها ، ومصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، راجعه وضبطه عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري ، مكتبة الإيمان ، القاهرة . ـ د ط . ـ ١٩٩٧ م ، ص ٢٣ وما بعدها ، وماهر شعبان عبد الباري ، التذوق الأدبي (طبيعته ـ نظرياته ـ مقوماته ـ معاييره ـ قياسه) ، دار الفكر ناشرون وموزعون ، عمان ـ الأردن . ـ ط ٣. ـ ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م ، ص ١٦ وما بعدها ، وعمر فروّخ ، تاريخ الأدب العربي ـ الأعصر العباسية ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ٤. ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ٤٢/١ .

[١٧٦] ـ تاريخ ابن خلدون ٧٦٣/١ .

وبناءً على ما سبق يمكن استخلاص خمسة مفاهيم دارت حولها كلمة الأدب عبر التاريخ، وهي :

ـ المعنى الحسي ، وهو إعداد الطعام للضيوف ، والدعوة إليه .

ـ المعنى الخلقي التهذيبي ، ويدخل تحته المعنى التعليمي الذي كان يسعى من ورائه المؤدِّبون إلى تهذيب الطلاب بالكلام الجيد من المنظوم أو المنثور ، وأحياناً بهما معاً.

ـ الطريقة أو المنهج الذي ينبغي أن يتحلّى به الفرد في مواقف معينة نحو : أدب المأكل والمشرب ، وأدب الحديث والاستماع ، وأدب الملبس ، وغير ذلك .

ـ أن الأدب يتضمن مجموعة من علوم العربية ، كالشعر ، والنحو ، وغيرهما من العلوم ، وهي تنحصر في ثمانية أصناف .

وأما الأدب في العصر الحديث من حيث مدلول الأدب ومفهومه ، فقد اتجه اتجاهين أولهما: سلكه بعض الأدباء المحدثين ، كطه حسين وآخرين؛ حيث ذهبوا إلى تقسيم مدلوله إلى قسمين ، أحدهما: الأدب بمعناه العام ، والآخر: بمعناه الخاص، وأشاروا إلى أن لكل منهما معنىً يختلف تماماً عن الآخر ، فيقولون : الخاص : هو الكلام الجيد الذي يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية ، سواء أكان هذا الكلام شعراً أم نثراً ، والعام : هو الإنتاج العقلي الذي يصور في الكلام ، ويكتب في الكتب ، فالقصيدة الرائعة ، والمقالة البارعة ، والخطبة المؤثرة، والقصة الممتازة ، كل هذا أدب بالمعنى الخاص[١٧٧] .

[١٧٧] ـ ينظر : التذوق الأدبي ص ١٧ـ ١٩ .

وعقّب عليه ماهر شعبان قائلاً :((الأدب بمعناه العام ، ويقصد به كل ما أنتجته القريحة الإنسانية من علم ، وفن ، وأدبٍ في كل المجالات ، والأدب بمعناه الخاص : هو الكلام البليغ من الشعر والنثر المؤثر في نفس السامع والقارئ))[١٧٨] .

وكذا انتهجه أحمد الهاشمي ولكن بتسمية أخرى ، حيث قال : ((الأدب عبارة عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ ، وهو قسمان : طبعيٌّ ، وكسبيٌّ ، فالطبعي: ما فُطر عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة ، والصفات المحمودة ، كالكَرَم والحلم، والكسبي: ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنّظر ، وهو المقصود ... فحينئذٍ يعرّف بأنه علم صناعي تُعرف به أساليب الكلام في كلّ حالٍ من أحواله ، وهو المدعوّ بعلم الأدب))[١٧٩].

وثانيهما : لم ينهجوا هذا المنهج ، وإنما اكتفوا بإيراد تعريف للأدب ، وارتضوه به حدّاً ، وذلك كشوقي ضيف ، والرافعي ، وواضح رشيد الندوي وغيرهم .

ب ـ **تعريفه الاصطلاحي** :

فالأدب بمعناه الاصطلاحي قد عُرّفَ بتعريفات عدة ، وألفاظ متباينة ، ولكن في مجملها هي متحدة في المطالب، ومتفقة في الغايات وإن تباينت في الموضوع ، واختلفت في الأسلوب، فمن تلك الحدود الكثيرة ما قام بتحديده واضح رشيد الندوي بقوله: ((الأدب: هو الكلام المتضمّن للأخيلة الدقيقة ، والمعاني الرقيقة ، أو الكلام

---

[١٧٨] ـ التذوق الأدبي ص ٢٠ .

[١٧٩] ـ أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، طبعة جديدة محققة ومنقحة بإشراف لجنة من الجامعيين ، د ت ، ١٤/١ .

الذي[١٨٠] يؤثر على النفوس ، ويثير العواطف ، ويهذب النفس ، ويرقق الحسّ والخيال ، ويثقف اللسان))[١٨١] .

وحدّده عمر فروّخ بقوله : ((فالأدب إذن هو المعنى المبتكر في اللفظ الفصيح ، والتعبير المتين ، والأسلوب البارع ، والخيال الواسع))[١٨٢] .

ويرى أحمد حسن الزيات أن أدب اللغة هو : ((ما أُثِرَ عن شعرائها وكُتّابها من بدائع القول المشتمل على تصور الأخيلة الدقيقة، وتصوير المعاني الرقيقة ، مما يهذّب النفس ويرقّق الحسّ والخيال ، ويثقف اللسان، وقد يطلق الأدب على جميع ما صُنِّفَ في كل لغة من البحوث العلمية والفنون الأدبية، فيشتمل كل ما أنتجته خواطر العلماء ، وقرائح الكتّاب والشعراء))[١٨٣].

وهذه بعض الحدود للأدب قام به ذوو الشأن والخبرة بالموضوع أوردتها ههنا للقارئ تمثيلاً لا حصراً ، ويلاحظ فيها الأمور التالية : ـ

ـ أن الإنتاج الأدبي يرتكز على الوجدان والشعور، والقدرة على التعبير عنه ، ولا

---

[١٨٠] ـ في الأصل المطبوع (الذين) لعل ما أثبته هو الصحيح لاستقامة العبارة والمعنى .

[١٨١] ـ تاريخ الأدب العربي ص ٧٩ ، وينظر : علي بن محمد بن علي ، السيد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، تعليق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان .ـ ط ٢.ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ،ص ١٩.

[١٨٢] ـ تاريخ الأدب العربي ص ٤٤/١ .

[١٨٣] ـ تاريخ الأدب العربي ص ٧ .

يُقْتصر فيه على رقي العقل ، ولا سمو الفكر والعلم[١٨٤] .

ـ أن الأدب يتّسم بالكلام الأنيق ، واللفظ الجيد، والبراعة في الأسلوب ، والدقة في التعبير، ومن ثَمّ كل من لا يكون كذلك فهو ليس بأديب .

ـ لابدّ في الأدب مِنْ عمق في الفكر، وبلاغة في القول ، وحِكْمة من الكلام ما ينطوي على موعظة حسنة، أو قول صائب ، أو طُرْفة نادرة ، فإذا خلا الأدب من هذه السمات في المعنى ، والخصائص في الصياغة فحينئذٍ لا يكون أدباً ، وإنما يكون سخافة وهراءً .

ـ أن الأدب هو تعبير عن الحياة ، وانعكاس للبيئة والمجتمع ، والأديب هو الذي يعبّر عن شعوره ، ويظهر أحاسيسه عن طريق الألفاظ ، ويصوِّر التجارب الإنسانية باللغة ، فاللغة إذنْ هي وسيلته وأداته ، فيها يتذّوق الأدب المسبوك لذةً وجزلةً ، ويسرد الكلام الجيد المروّي نثراً وشعراً.

---

[١٨٤] ـ ولذلك فإن الأدب يعتمد في ظهوره على أربعة عناصر ـ كما قال الندوي ـ وهي : العاطفة ، والخيال ، والفكرة ، والصورة اللفظية . ينظر : تاريخ الأدب العربي للمؤلف السابق ص ٨٥ .
ـ وأمّا أقسامه باعتبار الصورة اللفظية : فينقسم إلى قسمين ، وهما : النظم ، والنثر . ينظر المصدر السابق .

ثالثاً ـ اللغة العربية ودورها في المدارس الدينية :

لقد ازدهرت المدارس الدينية في الدولة المغولية ، وازداد عددها في شبه القارة الهندية ، وتعددت أماكنها ، واختلفت أسماؤها في أقاليم البلاد وتفاوتت أحجامها في البناء ، فأسهمت في صياغة الذهن ، وإعداد النشء ، وإبداع العقل ، فظهرت بصماتها في أفكار العلماء ، وأقلام المبدعين ، وأسلوب اللغويين والأدباء ، وتركت آثارها في حركة التأليف والنشر باللغة العربية في شتى فروع العلوم الإسلامية والعربية خلال فترات التاريخ المتعاقبة بتلك الأراضي مترامية الأطراف .

وكانت تلك المراكز العلمية للثقافة الإسلامية والعلوم العربية في سائر أرجاء الدولة تتدفق حماساً ونشاطاً للمحافظة على مكانة العربية ، وأهمية دورها في الحياة العلمية والدينية ، وهي التي قد ورثوها منذُ أن استنارت الهند بنورها عقب انبثاق فجرها بالرسالة النبوية ، وتحمّسوا لِخدْمتها ، والاعتناء بشأنها ، ودراسة قواعدها ، وشاركوا في نهضة العلوم العربية وآدابها ؛ لكونها لغة القرآن ، وعلوم الدين الحنيف[١٨٥] ولهذا الحماس الشديد للغة العربية ، والحب البالغ فيها ، والتأثر العجيب بها جاءت العناية بإقامة المراكز الثقافية ، والدور العلمية ، التي كانت تشكل جانباً مهماً للحفاظ على العربية ونشر الدعوة الإسلامية عن طريقها في تلك المناطق ؛ ولذلك ((كان للمدارس الدينية والكتاتيب دور بارز في مجال نشر العلوم الدينية والثقافة الإسلامية عبر العصور ؛ حيث كانت هذه المدارس والكتاتيب سبباً هاماً في

---

[١٨٥] ـ ينظر هذه الأهمية للغة العربية في الهند والاعتناء بمراكزها في : الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة ص٣٠٢ .

بقاء اللغة العربية وانتشارها في أرجاء الهند))[١٨٦] ، وفي هذا السياق يقول السيد أبو الحسن الندوي ـ متحدثاً عن مدرسة شبه القارة الهندية العربية والأدبية ـ : ((من سمات علماء الهند البارزة أنهم قادوا الحركة الأدبية الإنشائية في شبه القارة الهندية ، وكانوا من الدعائم القوية السامقة التي قام عليها قصر الأدب الرفيع ، والنثر الفني ... ، وكان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة لا يزال لها أنصار وأتباع ومقلدون ، وكان كثير منهم رائدَ نشاطٍ جديدٍ في الإنشاء والتحرير ، والنقد ، وتاريخ الأدب ، والشعر ، ولاتزال مؤلفاتهم هي المرجع الأصيل ، والعمدة في هذا الموضوع))[١٨٧] .

وهكذا ظل إنشاء المدارس العربية منتشرة في العصر المغولي بجهود العلماء ، واستمرت حركة اللغة العربية وفنونها في التوسّع بتشجيع السلاطين والأمراء ، وتجلّى آثارها في تأليف الكتب بالعربية ، وتدوين العلوم بصياغتها في تلك الفترة ، حتى جاءت مصنفاتها بالدقة في الأفكار ، والإتقان في العرض ، والغزارة في المادة ، والجودة في التصنيف مما جعل مؤلّفيها موضع احتفاء من العلماء ، ونظرة احترام من الباحثين في شتى أصقاع العالم .

ونتيجة لتشجيع سلاطين المغول على إنشاء المدارس ، والتنافس في تعميرها ، واحترام ذويها ، والإغداق على روادها ، والأمر ببذل منافع الأوقاف على متعلميها ، ومنح العطايا لعلمائها جاءت كثرة المدارس الإسلامية والعربية وتشييد بنيانها في شبه القارة الهندية عامة ، والاهتمام بشأنها من قبل الدولة كثرةً حتى لفتت أنظار الرحّاليين والسائحين الذين زاروا تلك المناطق إلى تلك المدارس ، والكتابة عنها في أثناء

---

[١٨٦] ـ كتاب : العلامة محمد أنور شاه الكشميري ص ٤٠ .

[١٨٧] ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، نظرات في الأدب ، دار البشير ، عمّان ـ الأردن . ـ ط ٢. ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م . (رابطة الأدب الإسلامي العالمية ٢) ، ص ٧٤ـ ٧٥ .

رحلاتهم بقولهم ـ على ما صرح به الدكتور محمد إرشاد ـ : إن في عهد السلطان عالَمْكِير المُغُولي (ت ١١١٨ هـ) كانت في السِّنْد في بلدة تَتَهْ أربعمائة مدرسة للعلوم الإسلامية والعربية والفنون المتنوعة[١٨٨] ، وهو ما أكده عبد المنعم النمر ـ مشيراً إلى كثرة المدارس في عهد السلطان السابق ـ بقوله :((إنها كانت كثيرة لم يُسْبقْ لها مثيل بسبب ازدهار التعليم ، ومحبته للعلم والعلماء وتضلّعه فيه))[١٨٩].

وكانت وظيفة تلك المدارس القيام بنشر العلوم الإسلامية والعربية ، وتثقيف المجتمع الإسلامي بالثقافة الدينية والمعارف الفكرية ، وتبصيره بالجوانب اللغوية والفنون الأدبية خدمة لهذا الدين ، وتبليغاً لرسالته في ذاك العصر ، التي طالما تقتضي مفاهيمها مع مراعاة اللغة العربية ، والحفاظ على علومها تعلّماً وتعليماً ، دراسةً وتطبيقاً في سائر الفنون العلمية .

هذا ولم تكن الدولة المغولية مبتدعة في إنشاء المدارس بأرض الهند ، ولا فريدة باستحداث الفكرة في أرجائها ، وإنما كان لها تاريخ مجيد ، وسجل حافل بالأمجاد الخالدة والآثارالرائعة منذ الغزو الإسلامي لديارها؛ حيث قام سلاطين المسلمين من الغَزْنويين، والتُّغْلُقيين ، والمماليك ، والغُوْريين ، والخَلَجيين ، وغيرهم بعمارة المساجد، وإنشاء المدارس ، والتكيات الصوفية، والزوايا العلمية ، والحلقات التربوية لنشر العلوم الإسلامية والعربية وبسط ثقافتها في ربوع البلاد ، وقد أصاب الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حينما عبّر عن الموضوعبقوله : ((إن تاريخ المدارس في الهند يرجع إلى الملك شهاب الدين الغُوري الذي فتح أَجْمير ، وأنشأ فيها مدارس

---

[١٨٨] ـ ينظر : إسهامات علماء شبه القارة ص ٥٤ـ ٥٥ .

[١٨٩] ـ ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٦٦ ، وينظر هذه المدارس في شبه القارة الهندية ومن بناها بالتفصيل في : الهند في العهد الإسلامي ص ٣٥٧ وما بعدها .

عديدة ، ثم وسع نطاقها قُطب الدين أَيْبَك عام / ٥٨٩ هـ / ، فأسَّس مدرسة عظيمة بمدينة دهلي ، وخلفه شمس الدين ألْتَمِش ، فبنى مدرسة سمّاها : المدرسة الناصرية ، ثم أُنْشِئت مدارس ومعاهد في مدن متعددة في الهند أمثال : دِهْلي ، وبَنْجَاب ، وأكرا ، وأدوَهْ ، وبِهار ، وبَنْغَال ، ودَكَن ، ومالْوَهْ ، ومُلْتان ، وكشْمِير ، وكُجْرات ، وسُورتْ ، وغيرها من المدن بأسماء وعناوين مختلفة ، حتى انتشرت شبكة المدارس الإسلامية في أرجاء الهند))[١٩٠] .

كما ((كتب مصنِّف من مصنّفي مصر أن السائحين المصريين قد رأوا في عصر محمد تُغْلق (ت ٧٨٢ هـ)[١٩١] ألف مدرسة دينية في دلهي ، واحدة منها كانت للشوافع، والباقية كانت للأحناف))[١٩٢] .

وعلى هذا المنهج سلك سلاطين المغول كغيرهم من أمراء المسلمين في العصور السابقة ، فقاموا بنشر العلوم الإسلامية والعربية ، وتبليغ الدعوة بلغة النبوة ولسان العربية عبر تلك المدارس المنتشرة في أصقاع البلاد ، التي كان يتم بناء معظمها بجانب المساجد ، والحجرات الموجودة حول صحنها القديم ، والزوايا الصوفية ، كما في المسجد الجامع الفتح فوري ، والمسجد الجامع أكبر آبادي في دهلي، وغيرهما[١٩٣]؛ حيث كان يؤخذ من تلك المنابع العلوم الإسلامية والفنون العقلية ،

---

[١٩٠]- سعيد الأعظمي الندوي وآخرون ، اللغة العربية في الهند ، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، [السعودية - الرياض] . - ط ١ . - ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤ م ، ص ٢١ ، وينظر ص ٣٠- ٣١ ، وإسهامات علماء شبه القارة ص ٥٥- ٥٦ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٥- ٤٦ ، والهند في العهد الإسلامي ص ٣٥٦ وما بعدها .

[١٩١]- في المصدر المنقول عنه كذا حُدِّدَ تاريخ الوفاة للسلطان محمد تُغْلق ، والصحيح توفي سنة ٧٥٢/ هـ /.

[١٩٢]- إسهامات علماء شبه القارة ص ٥٤ .

[١٩٣]- ينظر : إسهامات علماء شبه القارة ص ٥٥ .

ويُتْقن فيها العلوم العربية وآدابها ، وتنطلق منها الدعوة الإسلامية بلغتها الأصيلة ، وتعبيرها السليم ، وطلاقتها الفصيحة إلى مملكة شبه القارة الهندية الواسعة ، وأطرافها الشاسعة .

وبهذه العناية البالغة للمدارس الدينية ، والاهتمام بشأنها نالت حظاً وافراً ، وإقبالاً شديداً من الرّواد والمتعلمين ، والعلماء المبدعين ، فاغترفوا من معينها الصافي ، وخاضوا في ميدانها الواسع، حتى تخرّج منها عدد كبير من الأئمة المتمكنين، والفحول البارعين، والسادة البارزين، فاستحقُّوا بذلك ضرب المثل في الابتكارات الرائعة، وتخطّوا حدود الشهرة في العلوم الفكرية بما في ذلك العلوم العربية وآدابها التي تُعدُّ دراسة فنونها وأسرارها ودلالاتها غصناًمن أغصانها ، وشعراؤها وأدباؤها وأصحاب معاجمها فرعاً من فروعها.

وكانت العربية في التعليم الدراسي ومناهجه المقررة بتلك المدارس الدينية من أهمِّ موادها ، وأكثرها اعتناءً ، وأشدها رغبة ؛ إذ ((لم يكد يتصوّر استغناء العلوم الدينية عن اللغة العربية ، فكلما انتشر الإسلام انتشر الأدب العربي، حتى شيوخ التصوف صنّفوا وألّفوا في اللغة العربية، ولم يأت حين من الأحيان في هذه العصور الطويلة أن يلقب الرجل بلقب العالم المثقف بدون دراسة المنقول والأدب العربي))[١٩٤] ؛ ولذلك كان ما بين الدراسات الإسلامية والعربية صلة قوية ، وتجانس متقارب ، وتداخل متجاذب في الشعور والتفكير والدراسة ، حتى إذا ما ذكرت طرق نشر العلوم العربية وآدابها لا يتم ذكر هذه الطرق إلا بذكر المدارس الدينية، نظراً لارتباطهما في الأداء ،

ومازال هذان المسجدان الكبيران بحجراتهما يشكلان مقراً لإقامة طلاب العلم ومعيشهم ، ويتلقون منهما دروساً في العلوم الإسلامية والعربية من قبل كبار العلماء الأفاضل إلى الآن . ينظر المصدر السابق .

[١٩٤] ـ إسهامات علماء شبه القارة ص ٥٤ .

وأهميتهما في البناء ، وبذلك بلغت العربية بفنونها المتعددة في شبه القارة الهندية، وازدهارها عبر العصور الإسلامية أوجهها في الإبداع ، وذاع صيتها في البلاد، وتخطّت شهرتها إلى العالم ، وتميز أصحابها باتساع الأفق ، وعمق الفهم ، وبراعة النظر ، ومتانة العبارة .

وظلت هذه المدارس العلمية مستمرةً في الإنتاج ، ومواظبة في الإعطاء ، حتى أن وصل الأمر إلى آخر عهد الدولة المغولية ، وانتشرت في شبه القارة الهندية مدرستان علميتان أخذتا مجدهما ، وبلغتا ذروتهما في العلوم ، وشاع خبرهما في أصقاع البلاد وكان لهما شأن كبير ، وأثر عظيم في تخريج الأجيال ، وترسيخ المعارف بأنواعها ، وتصفية الأذهان لدى الجيل الجديد ، وتنشئة الشباب[١٩٥] .

فإحداهما : مدرسة الشيخ ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦ هـ) المسمّاة بالمدرسة الرحيمية ، قد أنشأها والد الإمام الدهلوي ، الشيخ عبد الرحيم في دِهْلي ، ودَرَّسَ فيها الإمام ولي الله الدهلوي ، ثم واصل التدريس فيها بعده ابنُه الشيخ عبد العزيز الدهلوي (ت١٢٤٩ هـ) ، ثم تولاه من بعده الشيخ محمد إسحاق (ت ١٢٦٢ هـ).

وهؤلاء الشيوخ كانوا من عمداء هذه المدرسة ومديريها ، وكانت تعتمد عليهم في دروس العربية وفنونها إلى جانب العلوم الإسلامية ، غير أن أبعد هؤلاء ذكراً ، وأخلدهم صيتاً حجة الله الدهلوي .

وهذه المدرسة قد اتسمت بالصبغة الدينية والاهتمام بشأنها ، والتركيز على العلوم الشرعية والدعوية ، وإعطاء الأولوية لموادها وترجيح مفرداتها دون إهمال العربية ، والتقليل من أهميتها في سائر الدروس المقررة .

---

[١٩٥] ـ ينظر مناهج تعليم اللغة العربية في شبه القارة الهندية في : اللغة العربية في الهند ص ٢٩ـ ٣١ .

والثانية : مدرسة الملا نظام الدين، وقد قام بإنشائها الملا نظام الدين (ت ٧٢٥هـ)، وتميزت بالفنون العقلية، والشغف بمفرداتها ، كالرياضيات، وعلوم الطب ، والفلسفة، وغيرها، وطغى عليها الجانب العقلي، وجُعلت العلوم العقلية موضع البحث والدراسة، وهذه المدرسة لا تتناول الأنشطة الأدبية ولا العلوم العربية ، ولذلك تكون خارجة عن الموضوع ، فنتركها لحينها[١٩٦] .

أمّا مناهج التعليم في هذه المدارس الدينية وطرقها للغة العربية وآدابها ، فكانت تأتي في المرحلة الثانية بعد تعلّم القرآن وإتقان تجويده ، فالطالب كان يتعلم مبادئ العربية تعبيراً وإنشاءً وكتابةً ، وبذلك تتكون لديه فكرة عامة حولها ، ويحيط بمبادئها الأساسية ، ثم تأتي المرحلة الثانية ، وهي أعلى شأناً ، وأوسع عمقاً من السابق ، فمن خلالها يقرأ كتب النحو والصرف والبلاغة بالعربية، وبعد تجاوز تلك الكتب وتعلّمها ودراستها يبلغ درجة عالية من فهم القواعد، وإحاطة دقيقة بدلالة العربية ، إعراباً ومعنىً ، قراءةً وكتابةً ، بلاغةً وبياناً في سائر العلوم العربية .

وبهذه المراحل في الدراسة ، والمناهج في التعليم ، والتطبيق في المفردات تترسخ اللغة العربية في الذاكرة ، ويزداد الرصيد اللغوي للمراجعة ، وتتوسع آفاق البحث في المطالعة .

وعلى الرغم أن النظام التعليمي في تلك المدارس كان منظّماً جيداً ، ووضع الخطة للمفردات المقرّرة كان محكماً مفيداًإلا أننا لم نجد من خاضَ في بيان مناهج التعليم الدراسية في المدارس الدينية والعربية في شبه القارة الهندية وتطوراتها عبر القرون القديمة والعصر المغولي، وطرق بابها بالشرحوالتفصيل، والاستطراد والتحليل سوى السيد عبد الحي الحسني؛ حيث قام بتقسيم المناهج التعليمية إلى أربعة أدوار مختلفة ،

---

[١٩٦] ـ ينظر هاتان المدرستان ودورهما العلمي واتجاههما في : اللغة العربية في الهند ص ٢١ـ٢٢ .

فكان نصيب الدولة المغولية منها هو الدور الثالث والرابع ، ففي الثالث الذي يبدأ من القرن العاشر الهجري ، كان من مقررات المواد اللازم دراستها ضمن الفنون العلمية واللغة العربية : المطوّلُ والمختصرُ في البلاغة ، وشرح ملّا جامي في النحو ، والصرف ، ومقامات الحريري في الأدب العربي ، ويُراد بهذه المفردات اللغوية رفع مستوى الطالب إلى أعلى منه شأناً وأكثر تقدماً في التعليم ، وكان لقدوم فتح الله الشيرازي سبب كبير في التغيير للتقدم التعليمي ، وأثر ملموس في إجراء التعديلات بالمنهج الدراسي ، التي نالت قبول العلماء بها ، ورضاهم عنها .

وفي الدور الرابع الذي يبدأ من القرن الثاني عشر الهجري إلى سقوط سلطة المغول والاحتلال البريطاني عام /١٢٧٣ هـ ـ ١٨٥٧ م / فقد أعدَّ منهجه الدراسي ، ومفرادته اللازمة للتدريس في المدارس السابقة الشيخُ نظام الدين السهالوي (ت ١٠٦٧ هـ) الشارح الكبير بهمة عالية ، وعزم قوي ، ودراسة علمية ، فهو الذيـ كما قال السيد عبد الحي الحسني ـ : ((أودع في نظامه هذا إمعان النظر وقوة المطالعة؛ ولذلك يحصل للطلبة بعد مدارستهم ..قوة المطالعة، ودقة النظر ، والاستعداد لتحصيل الكمالات العلمية وإن كانوا لا يكملون بالفعل))[١٩٧].

وكان من المفردات المقرّرة في مناهج التعليم للعربية في هذا الدور : نحو مير ، وشرح المائة ، وهداية النحو، والكافية ، وشرح الكافية للجامي إلى ((مبحث الحال)) في النحو ، والميزان ، والمنشعب ، وصرف مير، والفصول الأكبرية ، والشافية ، وغيرها في الصرف ، ومختصر المعاني ، والمطوَّل إلى ((ما أنا قلت)) في البلاغة ، ومقامات الحريري في الأدب العربي .

---

[١٩٧] ـ الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٩ .

وبهذا المنهج التعليمي وطرقه أحدث الشيخ نظام الدين السهالوي في دُروس شبه القارة الهندية نظاماً جديداً تلقاه العلماء بالقبول ، وحُسنِ المحافظة عليه دون زيادة ولا نقصان ، ولم يزل كذلك حتى آخر عهد الملوك المُغولية[١٩٨] .

وبالإضافة إلى المدرستين السابقتين كانت هناك مدارس أخرى ، وهي كثيرة ومنتشرة في ربوع البلاد وأقاليمها المتعددة خلال العصر المغولي ، وذلك كبلاد كشْمِير، وبَنْجَاب ، ودِهْلي ، وأَكْرا ، وجَوْنَبور ، وكُجْرات ، وأَوْدَهْ ، وبلاد الدَّكَن ، وغيرها من المدن الواسعة ، وكان من أشهر تلك المدارس ما يلي : ـ

١ ـ مدرسة ملّا حيدر : وهي التي أُنشِئتْ في عهد جَهَانْكِير بمدينة سَرِيْنَكَرْ[١٩٩] ، أسَّس بنيانها ملا حيدر بإقليم كشمير .

٢ ـ مدرسة خواجكان نقشبند : أنشأها خواجه أخوند محمود في سَريْ نَكَر بعهد شاهْجَهان ، ولكنها أغلقت هذه المدرسة مع الانهيار السياسي ، والتقلّص العلمي في كشمير .

---

[١٩٨] ـ ينظر هذه الأدوار الأربعة في المناهج الدراسية في شبه القارة الهندية وتطوراتها ولاسيما الدور الثالث والرابع مفصّلاً في : الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٥ـ ٢٠ ، واللغة العربية في الهند ص ٣١ـ ٣٣ .

وبعد الاحتلال البريطاني وسقوط الدولة المغولية قامت ندوة العلماء بتغيير المناهج الدراسية ، وأخذت المدارس الدينية تعيد النظر في مقرراتها التعليمية مما أدّى إلى إجراء تعديلات في المفردات المنهجية في كافة العلوم الإسلامية والعربية والفنية ، فتكللت جهود العلماء القائمين بها بالنجاح ، وأثمرت نشاطاتهم بالازدهار . ينظر المزيد في : اللغة العربية في الهند ص ٣٣ وما بعدها .

[١٩٩] ـ ويقال : سرينغر ، وهي مدينة تقع في إقليم كشْمِير ، وتُعدُّ من أشهر مدنها ، وهي قصبة بلادها ، وقد اشتهرت بجودة المصنوعات . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ١١٤ .

٣ ـ مدرسة السيد منصور : وبعد إنشائها ترأَّسها عناية الله خان حاكم ولاية كشمير في بداية أمرها[٢٠٠] .

٤ـ مدرسة بناها نجم الدين محمد رفيع السِّنْدي (ت ١١٦٠ هـ) في بلاد السِّنْد .

٥ـ مدرسة أنشأها العلامة محمد فاضل البدَخْشي في مدينة لاهَوْر ، وكان متولياً بديوان العدل في معسكر جَهَانْكِير وولده شَاهْجَهَان، واعتزله سنة /١٠٤٤ هـ / ببلاد بَنْجَاب .

٦ـ المدرسة العظيمة للعلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي بمدينة سيالكوت ، وقد منحه شَاهْجَهَان قرى عديدة ببلاد بَنْجاب .

٧ـ المدرسة الكبيرة ، نسب بناؤها إلى الشيخ فريد الدين ابن مسعود الأجودهني تأسست عام / ٩٤١ / في أيام هِمايُون شاه التيموري بمدينة دِهْلي .

٨ ـ المدرسة العظيمة المباركة للشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي المحدث ، وقف عليها جهانكير مزارع من الأرض بمدينة دِهْلي .

٩ـ دار البقاء ، وهي مدرسة كبيرة بناهاشَاهْجَهَان فيما بين سنة /١٠٦٠ـ ١٠٧٠ هـ/ بمدينة جهان آباد .

١٠ـ مدرسة أنشأتها فتحبوري بيكم زوجة شَاهْجَهَان سنة /١٠٦٠ هـ / بدِهْلي .

---

[٢٠٠]ـ ينظر هذه المدارس في ولاية كشمير بالتفصيل في : طاهر أسلم ، وضع اللغة العربية في كشمير ودور المدارس في نشر اللغة العربية في كشمير الحرة ، إسلام آباد ـ باكستان ، ٢٠٠٤ م، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة)، ص ١٥٤ـ ١٥٥، والهند في العهد الإسلامي ص ٣٥٧.

١١ـ المدرسة الكبيرة ، بناها ميرجملة كانت بدهلي ، وانقرضت ، واشتهر مكانها بمدرسة ميرجملة واليوم لا يعلم للمدرسة عين ولا أثر .

١٢ـ مدرسة مولانا فخر الدين الدهلوي ، وهي مدرسة كبيرة لأم غازي الدين خان الوزير بمدينة دهلي .

١٣ـ مدرسة بناها نواب رَوْشَن الدولة في عهد محمد شاه الدهلوي المغولي سنة /١١٣٤هـ/ وهي كبيرة ، وكانت عامرة إلى آخر عهد الملوك المغوليين ، ثم جعلها الإنجليز للشرطة سنة /١٨٥٧ م/ بمدينة دهلي .

١٤ـ مدرسة إرادتمند خان ، بناها نواب شرف الدولة إرادتمند خان بمدينة دهلي سنة /١١٣٥ هـ / في عهد السلطان محمد شاه المغولي .

١٥ـ مدرسة شاه حسين ، بناهاشاه حسين سنة /١١٤٨ هـ / .

١٦ـ مدرسة وهي كبيرة ، بُنيت بأكبر آباد في عهد جلال الدين أكبر شاه .

١٧ـ مدرسة خس ، بناها مولانا علاء الدين اللاري سنة /٩٦٩ هـ / في عهد جلال الدين أكبر شاه بمدينة أكبر آباد .

١٨ـ المدرسة العظيمة في الجامع الكبير بنتها جهان آرابيكم بنت شَاهْجَهَان بمدينة أكبر آباد تجاه القلعة .

١٩ـ مشعر ، وهي مدرسة عظيمة ، بناها المفتي ولي الله الفرَج آبادي بمدينة فرَج آباد سنة /١٢٢٤ هـ / .

٢٠ـ المدرسة العظيمة ، بناها نواب سيف الدين خان سنة /١٠٦٧ هـ / ببلدة عظيم آباد .

٢١ـ المدرسة الكبيرة بناها نواب آصف خان بدانابور بقرب من بلدة عظيم آباد .

٢٢ـ مدرسة الشيخ محمد بن طاهر الفتني المحدِّث ببلاد كُجْرات .

٢٣ـ مدرسة العلامة وجيه الدين العلوي الكجراتي ببلاد كُجْرات .

٢٤ـ المدرسة العظيمة ، بناها نواب سيف خان الجهانكيري سنة /١٠٣٢ هـ / بمدينة أحمد آباد .

٢٥ـ المدرسة الكبيرة، أسسها أكرم الدين الكجراتي المشهور بشيخ خان ما بين عامي / ١١٠٩ـ ١١١١ هـ / .

٢٦ـ المدرسة الكبيرة للشيخ محمد بن أبي البقاء اللكهنوي المشهور بمحمد الأعظم، ببلدة لكهنؤ .

٢٧ـ مدرسة الشيخ نظام الدين السهالوي ، بُنيت في عهد عالَمْكِير ببلدة لكهنؤ .

٢٨ـ المدرسة المنصورية ، بناها حمد الله بن شكر الله السنديلوي سنة /١١٤٦هـ/ ببلدة سنديلة بأَودَهْ .

٢٩ـ مدرسة العلامة عبد الجليل البلكرامي ، بُنيت ببلْكَرام في بلاد أودَهْ .

٣٠ـ المدرسة الولاجاجية ، أنشأها محمد علي خان الكوباموي أمير ناحية مِدْراس سنة /١٢٠٠ هـ / ببلدة كوبامئو .

٣١ـ المدرسة السلطانية ، بناها الحكيم مهدي بن صفي الشيعي في عهد السلطان نصير الدين حيدر ببلدة لكهنؤ .

٣٢ـ المدرسة العظيمة ، أُنشِئت بمدينة سَلْون برائي بريلي أجرى عليها ملوك المغول أوقافاً من العطايا .

٣٣ـ المدرسة العالية، بناها على عادل شاه البيجابوري بمدينة بيجابور ببلاد الدكن.

٣٤ـ مدرسة بناها محمد قلي قطب شاه سنة /١٠٠٦ هـ / بمدينة حيدر آباد ببلاد الدكن .

٣٥ـ مدرسة بناها محمد غياث خان (١١٤٨ هـ) بمدينة أورْنَك آباد بالدكن .

٣٦ـ المدرسة الكبيرة بناها نواب محمد علي خان الكوباموي بمدينة مِدْراس في الدكن[٢٠١].

وهذ هو مجمل القول في المدارس الدينية العربية التي استمرت عبر العصور في نشر العلوم الدينية والعربية ، وبثّ ثقافتهما ، وعرض أسسهما في ربوع البلاد بشبه القارة الهندية.

وعلى الرغم من كثرة تلك المدارس العلمية ، وانتشارها في الأقاليم ، فإنني لم أقف على مصدر تاريخي ، ولا على كتاب علمي يشير إلى أسمائها وأماكنها مفصَّلاً سوى كتاب : الهند في العهد الإسلامي لعبد الحي الحسني ؛ حيث ذكر سرداً تاريخياً عن المدارس في شبه القارة ومؤسِّسيها بحسب الأقاليم والمدن .

---

[٢٠١]ـ وللوقوف على هذه المدارس وغيرها في شبه القارة الهندية ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٣٥٧ وما بعدها .

المبحث الثاني

نهضة الثقافة العربية وتأثر سلاطين المغول بها

أولاً ـ الحركة اللغوية والأدبية :

نشطت الحركة العلمية في العهد المغولي ، وازدهرت فنونها في أرجاء شبه القارة الهندية، وارْتقت أطوارها في الحياة الفكرية من الدينية ، واللغوية، والفلكية ، والطبية، والهندسة ، والفلسفة ، والفنية ، والتاريخية ، وغيرها من العلوم العقلية والنقلية .

وهذا الرقي في الفكر ، والتطور في الإبداع كان ملحوظاً في ميادين المعرفة ، ومجالس العلماء ، ومرئياً في بلاط السلاطين وأقاليم البلاد ، وليس ذلك غريباً ؛ إذ كان سلاطين المُغُول ذوي ميول جذابة إلى الأدب والثقافة ، وشغف شديد بالعلم والعلماء، وتوقير متزايد للمبدعين والأدباء ؛ ولذلك نبضت الروح بالفكر ، وتحرك العقل بالإنتاج ، وتنوعت الثقافة في القراءة ، وكثرت المصنفات في الفنون بكافة فروعها العلمية عبر الأدوار التاريخية للدولة المغولية .

ونتيجة لهذا الاهتمام البالغ بالنواحي العلمية والثقافة الأدبية من قبل السلاطين ، والعناية الكافية بالعلماء المتخصّصين والبارعين المتفننين ، والإكرام النادر لهم شهد شبه القارة الهندية تطوراً في العلوم ، ونماءً في الأفكار ، ونشاطاً في الدراسات ، وإقبالاً من العلماء ، حتى أصبح بلاد المسلمين في تلك المناطق من أزهر العصور في التاريخ البشري ، وأرقى البلاد في العالم ، ومازالت آثارها العلمية وفنونها المعمارية قائمة إلى اليوم تشهد بأعمالهم الجليلة ، وحضارتهم الرائعة ، وثقافتهم الفنية المبدعة.

كما تجلّت براعة شبه القارة الهندية خلال ذلك العصر في ترجمة الكتب من اللغات الفارسية والسَنْسَكْرِيتية إلى العربية وبالعكس، فظهرت فيها دقة الإبداع ، وفنّ المهارة، وقدرة الإحاطة بالمادة العلمية ومصطلحات علومها ، سواء أكانت الترجمة في العلوم الشرعية ، أم اللغوية ، أم غيرها من كتب الفلك ، والفلسفة، والموسيقى ، والجغرافية ، والهندسة ، وهكذا اتصلت حلقات بعضها ببعض في ظل الرعاية المغولية وسلاطينها الذين كانوا يُطلّون عليها بالمراقبة والإشراف لتسيير الحركة العلمية بفنونها المتعددة تصنيفاً وترجمةً بشكل مُبدعٍ ، وفكر مُنْتجٍ ، وباعٍ طويلٍ في مملكة بلادهم.

ولا يخفى في ذلك كله دور المدارس الدينية ، والمراكز العلمية ، والمساجد العامة، والزوايا الصوفية التي كانت تقوم بنشر العلوم وفنونها ، وتشحذ الأذهان ، وتبصر القلوب ، وتوسّع الأفق في كافّة المجالات العلمية والأدبية ، التي يعود فضلها إلى تلك الأماكن العامرة ، وكانت لغاتها المتداولة فيها هي: الفارسية ، والعربية، والأوردية[٢٠٢] وإن كانت الأولى هي السائدة في البلاد ، والثانية غالبة في الدين ، والثالثة متأخرة في الرتبة .

وبعد هذا الاستعراض الموجز عن الصَّرْح الحضاري والازدهار العلمي الذي برز في الوجود خلال العصر المغولي أتَعَرَّجُ إلى دراسة الحركة اللغوية والأدبية فقط وبيان أثرها الملموس في النتاج الذهني الإسلامي ، والنبوغ الفكري الذي ظهر في عهد كل واحد من السلاطين عبر العصور المختلفة وفق الترتيب الزمني ، وإليك بيانَها.

---

[٢٠٢]- اللغة الأوردية : هي التي ظهرت بسبب احتكاك المسلمين الفاتحين للهند مع أهالي البلاد من الهنود . وكلمة (أورد) تعني المعسكر ، حيث ظهرت اللغة حول معسكر الجيش الإسلامي الفاتح، والأوردية خليط من اللغة الفارسية والعربية والهندية المحلية ، وهي تكتب بالخط العربي ، وتتكون من اثنين وخمسين حرفاً .

بَابَر :

بعد قدوم ظهير الدين بابر إلى الهند وتولّيه عرشَ السلطة المغولية فيها سنة /٩٣٢هـ/بدأت الحركة اللغوية تنتشر، والثقافة الأدبية تزداد في البلاد بفنونها المختلفة ، وقد أسهم فيها علماء الهند بأفكارهم النيرة، وآرائهم الوجيهة ، وآثارهم القيمة تشهد لهم بسعة الأفق ، وعمق التفكير، وغزارة المادة في الأعمال الأدبية ، والأنشطة العلمية في المجالات العربية كلها ، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً طائلة ، وأوقاتاً ثمينة ، خدمةً للبحث العلمي ، ورغبةً في التقدم الفكري .

وهذا العصر قد شهد عدداً كبيراً من العلماء الأفاضل ، وانعطافاًلافتاً من المتخصّصين الفطاحل ، إلى بلاط السلطان بابر لما وجدوا منه كرمَ الضيافة ، وحسن الحفاوة ، وزيادة الاحترام، وجلالة القدر، وتوافدوا إليه من داخل الهندستان وخارجها، وأسهموا في بناء الفكر، وصياغة التعبير ، وتصنيف الكتب ، ولعل كتاب طبقات شاهجهاني من أبرز الكتب التي اعتنت بهؤلاء العلماء وذكر اسمائهم في محتواه التاريخي وسرده العلمي .

والسلطان بابر نفسه كان أحد هؤلاء المفكّرين ؛ إذ عُرِفَ بسعته الفكرية ، وأدبه الرفيع ، وآثاره القيمة ، وذوقه السامي ، وتمكّنه من دراسة الثقافة الإسلامية ، والآداب العربية ، والفارسية ، بالإضافة إلى شغفه العميق بالمكتبات العلمية ، واقتنائه الواسع للكتب النادرة، وميله الواضح إلى المطالعة المستمرة، وحبّ الاستطلاع والمعرفة[٢٠٣].

---

[٢٠٣]ـ ينظر وفود العلماء إلى بلاط القصر وموقف بابر منهم ، وثقافته العلمية في : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ٢/ ٦٤ـ ٦٦ ، ٦٩، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٥ـ ٥٦ .

هِمَايُون :

وكذلك في عهد هِمَايُون لم تنقطع أواصر اليقظة الفكرية ، ولم تنضب الصناعة الأدبية ، ففي البلاد انتشرت العلوم الإسلامية ، والفنون العلمية الأخرى باللغتين الفارسية والعربية وإن كانت الأخيرة قليلة في كتابة المسائل ، وتأليف المصنّفات ، وتنوعت مواهب العلماء الاجتهادية ، واختلفت اتجاهاتهم الفكرية في كثير من المجالات ، وكان من بين تلك العلوم التي أسهم فيها علماء الهند وأبدعوا في موضوعاتها العلوم الإسلامية وفنونها العامة ـ وإن ابتعد عنها سلطانهم همايون وعن الدراسات الأدبية ـ ، وكذلك أدْلوا بدلُوهم في الدراسات التاريخية ، والجغرافية ، وعلم الفلك ، والطب ، وغيره من العلوم العقلية ، غير أن الانشغال بهذه الصناعات الأدبية ، والفنون النظرية والثقافات الإسلامية عند علماء الهند كان متفاوتاً فيما بينها من حيث الإفراط والتفريط ، والإقبال والإحجام ، ومتبايناًمن حيث الانتشار بين المناطق الجغرافية ، والاهتمام بالعربية بحسب قربها من العالم العربي والتواصل معه .

وهكذا لم يخلُ عصر هِمَايُون من الفنون الثقافية و العلوم النقلية بأنواعها المتعددة ؛ حيث كان النشاط قائماً في ربوع البلاد ، ومجالس العلم مزدحمة ، ومراكز التدريس مزدهرة بتعليم العلماء ، وقراءة الطلاب ، ورواد الفكر ، وذلك كله بفضل تكريم سلطان المُغُول العلماء ، وإكرام مثواهم ، والحثّ على القراءة ، وتشجيع الطلاب على العلم ؛ ولذلك شهد عصره هجرة واسعة من العلماء الكبار، والأدباء البارعين، والفنانين المشهورين إلى الهند، وقام هؤلاء المهاجرون المفكرون بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية والعربية ، والعلوم العقلية الأخرى في البلاد وقتئذٍ ، وكان من أبرزهم الشيخ زين الدين محمود كمان كربهدائيتلميذ مولانا عبد الرحمن الجامي، ومولانا عبد الغفور اللّاري،وليس ببعيد عن الأنظار كتاب طبقات شاهجهاني الذي يتضمن قائمة بأسماء العلماء الذين اشتهروا بين الأوساط العلمية بآرائهم الدقيقة ،

ومؤلفاتهم الجليلة ، وواكبوا سير الحياة الثقافية في الدولة المغولية ، والسلطان همايون بفكره العميق ، واطلاعه الواسع، وقربه من العلماء ، وشغفه بمكتبته العلمية الخاصة ، كان أحد هؤلاء المثقفين ، وشديد الصلة بالمبدعين[٢٠٤] .

جلال الدين أَكبر :

وأمّا في عهد جلال الدين أكبر ، فلم تكن الحياة العلمية ، والثقافة الفكرية العربية بأقلَّ من عصر آبائه ؛ حيث شهدت سوق العلم رواجاً ، ومراكز البحث نشاطاً ، والازدهار المعرفي تطوراً في كافة الجوانب اللغوية ، والأدبية .

وكان لهذا التنوع في العلوم ، والاتساع في الفنون آثار واضحة في حركة التأليف ، وزيادة الوعي ، ونموّ المعرفة ، ومناهج الدراسة ، وأسلوب التدريس لدى الأوساط العلمية ، وخبراء فنونها في عصر هذا السلطان المغولي وأراضيه الواسعة ، الذي قد استطاع بفكره النابغ ، وعقله المتفّتح ، وذكائه الحادّ أن ينشر بين أبناء شبه القارة الهندية العلوم اللغوية ، ويهيئ أمامهم سبل القراءة في فنونها ، ويترك لهم حرية البحث ، وإدارة الاختيار ، ويكون هو نفسه مشاركاً للمفكرين في مجالس العلم ، وعقد الندوات ، وإبداء الرأي ، ويرتقي بهم نحو التقدم والازدهار في كافة الفنون على الرغم أنه كان جاهلاً بالحروف ، ـ كما قال عنه مؤرخوه ـ ولم يُتحْ له التعلم منذ الصغر كما يتعلم أمثاله في الأسر الحاكمة ؛ ولكنه مع ذلك كان على قدرٍ كبيرٍ من الذكاء والنبوغ ، والرغبة في الاستماع إلى العلماء ، والاستفادة من علومهم ،

---

[٢٠٤] ـ ينظر هذه الحركة الثقافية وعلماؤها خلال عصر همايون في : رجال الفكر والدعوة ٤٦/٣ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٩٣/٢ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٧٠ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ٤٠٢ .

والاحتفال بمجالسهم[٢٠٥] ، ونتيجة لذلك ظهر عدد كبير من العلماء ، والأدباء ، وغيرهم في البلاد ، وتعدّدت مواهبهم في الاختصاصات ، وذاع صيتهم في المراكز ، وازدحم بهم أركان البلاط ، وهذا ما دفع بالمؤرِّخ الكبير عبد القادر البدايوني في كتابه ((منتخب التواريخ))[٢٠٦]أن يذكر فيه قائمة بأسماء العلماء الكبار في كافة العلوم الذين قد عاصرهم جلال الدين أكبر، واختلط بهم ، فكان عددهم يتجاوز ثلاثمائة عالم ، وهم من أشهر علماء عصره، وأجلّهم قدراً ، وهؤلاء جميعاً قد حازوا ثقة الملك بهم ، ونالوا حظوته لهم ، وتوقيره لمثواهم[٢٠٧] ((والواقع ـ كما قال أحمد الساداتي ـ أن الهند لم تعرف من قبل أكبر سلطاناً مثله، اجتمع حوله هذا العدد الكبير من رجال العلم والأدب، واتصلت ندواتهم عنده ، ولقوا منه كل إجلال وتوقير وتقدير))[٢٠٨] وبهذا النشاط الثقافي ، والازدهار العلمي في النهضة الفكرية ، وبتلك الجهود المبذولة من العلماء الفطاحل ، ودورهم الرائد في الحركة العلمية أينعت ثمار كثير من الفنون الإسلامية والعربية ، وغيرها من المعارف التي برزت فيها مساهمة علماء شبه القارة الهندية ، وبراعتهم في بنائها ، وقدرتهم في تطويرها ، والاجتهاد في موضوعاتها .

وكان من بين تلك العلوم التي تجلّى فيها إبداع علماء شبه القارة في عصر جلال الدين أكبراللغة العربية وفنونها، فقد ظهرت فيها جهود العلماء، وأسهموا في علومها من النحو، والصرف ، والبلاغة ، والمعاجم ، والأدب الفني ، والشعر ، والعروض

---

[٢٠٥] ـ ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٩٢ـ ٢٩٣ .

[٢٠٦] ـ وهو كتاب في التاريخ أُلِّفَ باللغة الفارسية ، يقع في ثلاث مجلدات له قيمته العلمية والوثائقية، ولم أقف ـ بعد البحث ـ على ترجمته بالعربية .

[٢٠٧] ـ وللوقوف على هذا الكتاب والحديث عن أسماء العلماء فيه إجمالاً ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٣٢٠/٢ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٦٥ .

[٢٠٨] ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة ١٥٦/٢ .

والقافية ، وغيرها من النشاطات اللغوية ، والدراسات الأدبية وقاموا بتدوين قواعدها ، ودراسة أسرارها ، والوقوف على بلاغتها ، والتأليف في فروعها ، وبذلك أثبتوا براعتهم العجيبة ، وإبداعهم الرائع ، وقدرتهم الفائقة ، وإحاطتهم الغريبة باللغة العربية وآدابها ، ولا يخفى ذلك على كل قارئ يمعن النظر في مؤلفاتهم الدقيقة ، وآثارهم الطيبة التي قد تركوها للمكتبة العلمية ، ومراكز البحث في كافة المجالات .

وكان من ضمن تلك النشاطات الحية ، والحركة الثقافية المزدهرة تأليف المعاجم اللغوية الفذّة ، ودراسة فقه اللغة الدقيقة التي لم يكن لها نظير في البلاد العربية نفسها ـ كما قال الباحث إسماعيل العربي ـ[٢٠٩]، وكان من أشهر تلك المعاجم التي أُلّفت في عصر جلال الدين أكبر جامع العلوم لعبد النبي بن عبد الرسول (ت٩٩٠ هـ) الذي نبغ في بلاط السلطان فبالغ في إكرامه ، وولّاه منصب صدر الصدور ـ أي رئيس الرؤساء ـ الذي هو أعظم منصب علمي في الهند وقتئذٍ ، وكذلك العناية بالمعارف الأدبية ، والقصائد الشعرية ، فكان من هؤلاء الأدباء المشهورين ، والشعراء المُفْلِقين في عصر جلال الدين أكبر الشيخ أبو الفضل بن المبارك الناكوري (ت ١٠٠٤ هـ) ، شاعر بلاط السلطان ، الذي لم يكن له نظير في عصره في قرض الشعر ، ـ كما قال عبد الحي الحسني[٢١٠] ـ حتى كتب في المثنوي ديوانه أكثر من عشرين ألف بيت بالعربية والفارسية مما يدل على براعته في العربية ، واقتداره في فنونها ، وتمكّنه من صناعتها ، وإحاطته بجوانبها اللغوية والأدبية، ومحمد بن عبد العزيز المعبري من علماء القرن العاشر الهجري ، والشيخ فضيل بن الشيخ جلال الواصل الكالبي من

---

[٢٠٩]ـ ينظر : الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٩ .

[٢١٠]ـ الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٩٠ .

علماء القرن العاشر الهجري أيضاً[٢١١].

والخطيب أبو الفضل الكازروني (ت ٩٥٩ هـ) ، والمفتي جمال خان بن نصير الدين الدهلوي (ت ٩٨٤هـ)، والشيخ جمال الدين ، محمد بن طاهر الفاروقي التبني (ت ٩٨٦هـ)، وقطب الدبن محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهروالي المكي الحنفي (ت ٩٩٠ هـ) ، ومخدوم الملك عبد الله السلطانبوري (ت ٩٩٠ هـ)، ووجيه الدين العلوي الكجراتي (ت ٩٩٨ هـ) ، وإله داد اللكنوي من علماء القرن العاشر الهجري ، والقاضي نور الله شوستري (ت ١٠١٩ هـ)، وعماد الدين محمد عارف العثماني ، المعروف بـ : عبد النبي الشطاري (ت بعد سنة ١٠٢٠هـ)، وهؤلاء العلماء جاءوا في الطليعة لخدمة اللغة العربية وعلومها، وكانت لهم مصنفات كثيرة في الباب، وأيدٍ بيضاء في مسائلها[٢١٢] .

وكما شهدت الترجمة في هذا العصر نشاطاً مزدهراً ، وتقدّماً ملحوظاً في مملكة البلاد، وبها اختلطت الثقافات العربية والفارسية والهندية وتمازجت أفكارها، وتلاقحت مسائلها مما أدّى إلى تنوّع الحركة اللغوية ، والنهضة الأدبية في كافة مجالاتها ، وظهور نموذج خاص للثقافة ، وهي الثقافة الإسلامية الهندية التي تم فيها استعمال اللغات الثلاثة السابقة ، ثم تولّدت منها لغة جديدة في شبه القارة الهندية نتيجة

---

[٢١١]- وللوقوف على هذه الفنون العربية وجهود علماء شبه القارة الهندية فيها مفصّلاً ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٣- ٤٤، ٤٤٥ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٤- ٢٥ ، ٣٥، ٣٨، ٤٧ ، ٢٩٠ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٩ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٥٧/٢- ١٥٨ .

[٢١٢]- وللوقوف على جهود هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم في اللغة العربية مفصّلاً ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢٤- ٤٢٧ .

لاحتكاك بعضها ببعض ، وتداخل مفرداتها ، وهي اللغة الأُوردية التي عمت البلاد ، وأصبحت لغة أبناء القارة جميعاً فيما بعد [٢١٣].

ومما ((يُذكر أنّ أول عناية بالعلوم العربية بدأت منذ عصر أكبر ثالث ملوك المغول الذي أمر بترجمة أمهات الكتب السَّنْسكْريتية والعربية إلى اللغة الفارسية الرسمية، فأمر بترجمة))[٢١٤] أمهات الكتب العربية ، وفي مقدمتها ترجمة : وفيات الأعيان لابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، وحياة الحيوان للدميري (ت ٨٠٨هـ) ، وتاريخ الحكماء للقاضي شمس الدين للشهرزوي (توفي بعد عام ٦٨٧هـ) في التاريخ ، والشفاء للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) ، كما أمر بترجمة القصص العربية ، مثل : ليلى ومجنون ، وبلقيس وسليمان ، وكذا معجم المصطلحات العربية للعلوم والفنون ، وهو جامع العلوم ، الملّقب بـ : دستور العلماء للشيخ للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكريالمتوفّى في القرن الثاني عشر الهجري ، وهذه كلها ترجمت من العربية وإليها[٢١٥] .

---

[٢١٣]- ينظر دور الترجمة في هذا العصر وأهميتها في : الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٨ ، ٦٣ .

[٢١٤]- سمير عبد الحميد إبراهيم ، الأدب الأردي الإسلامي ، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وزارة التعليم العالي ، السعودية - [الرياض] . - د ط . - د ت . [سلسلة آداب الشعوب الإسلامية ٢] ، ص ٢٦ .

[٢١٥]- وللوقوف على هذه الكتب المترجمة ، والاطلاع على مترجميها بالتفصيل ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٩٩- ٣٠٠، ٣٠٣ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص٢٩٣- ٢٩٦، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٨، والأدب الأردي الإسلامي ص ٢٥- ٢٦ ، ورجال الفكر والدعوة ٩٣/٣، ٣٠٠ .

ومن الجدير بالقول : إن هذا العصر المُغُولي وقبله قد شهد هجرة واسعة من العلماء والفنانين ، والأدباء النبلاء باتجاه أراضي الهند ، وقام هؤلاء المهاجرون بدور كبير ، وتأثير واضح في مسار الحركة الأدبية ، ونشر الثقافة الإسلامية والعربية ، وتركوا لذلك آثاراً عظيمة في المراكز العلمية ، والمدارس الدينية في البلاد، وذلك بفضل تسامح السلطان أَكْبَر مع العلماء وتشجيعه لهم، واختلاط الأفكار بعضها ببعض، وكان من أولئك العلماء المهاجرين المفكرين الذين توجَّهوا إلى أكبر شاه في عهده الحكيم أبو الفتح الكيلاني ، والطبيب همايون ، المعروف بحكيم هُمَام ، ونور الدين قراري، وهم الإخوة الثلاثة ، وحازوا ثقة الملك بهم ، ونالوا إكرامه والحظوة لديه، وكذا العلامة محمد اليزدي الذي جاء بعد فترة من إيران، والأمير فتح الله الشيرازي ونزل ببلاط السلطان، ثم تولّى منصب الرئاسة للعلماء سنة (٩٩٣هـ) ، وقد جلب معه مؤلّفات علماء إيران ، وترك آثاراً بعيدة المدى على المناهج الدراسية ، وأسلوب التدريس في الهند[٢١٦] ، كما صرّح بذلك أبو الحسن الندوي[٢١٧] .

كما وُجِدَ أسماء عدد وجيه من العلماء والأدباء المنسوبين إلى المدن الفارسية وغيرها ممن كانوا يقيمون في ظل الدولة المغولية ، ولاسـيما في جنوب الهند ، وكان

---

[٢١٦]ـ حتى كان من نتائج هذا التأثير وضع المنهج الدراسي النظامي ـ نسبة إلى نظام الدين بن قطب الدين اللكنوي (ت ١١٦١ هـ) الذي تناوله بالتهذيب والكمال ـ الذي قرّر على المدارس الدينية ، وكان السائد على الأوساط العلمية والتدريسية ، ويسيطر عليها في مناهجها التعليمية ، وهذا هو المنهج المقبول للدراسة والمقياس العلمي للتحصيل والكمال في شبه القارة الهندية ، وتركستان أخيراً ، ولا يزال هو المنهج المقرر ، والمطبّق تطبيقاً حرفياً في مدارس الهند القديمة على غرار الأزهر القديم ، كما قال أبو الحسن الندوي في رجال الفكر والدعوة ٤٦/٣ـ ٤٧ الهامش ٢ .

[٢١٧]ـ ينظر : رجال الفكر والدعوة ٤٦/٣، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٧٠ .

لهم تأثير على الأمراء ومكانة محترمة في مملكة البلاد[٢١٨] .

جَهَانْكِير :

وبهذا النمط استمرت الحركة العلمية العربية في عهد السلطان جَهَانْكِير، وظلت البلاد مزدهرة في العلوم ،ومتقدمة في الأفكار على كافة المجالات اللغوية والأدبية ، والعلوم الإسلاميةبالعربية.

كما شهد هذا العصر عدداً من النجباء الكبار، والعلماء الأفاضل في مملكة المغول، فقاموا ببذل جهود كثيرةٍ، ونشاطات واسعة في سبيل البحث العلمي ، والإبداع العقلي ، وظهر أثر ذلك في تأليف الكتب ، ومناقشة المسائل ، وتدقيق الموضوعات ، وتحليل الآراء في كثير من القضايا العلمية ، وساعدهم على ذلك الجو العلمي، والصفاء الذهني الذي كان سائداً في البلاد ، وخبرة السلطان ، وفكره المتعلّم ، واحترامه الزائد للعلماء، وتشجيعه لهم ؛ إذ ((كان جَهَانْكِير حاكم دولة عظيمة ، يمتاز بسلامة الفطرة ، والذكاء والنبوغ ، وسَنَحتْ له فُرصة الخبرة بكثير من الأمراء والعلماء والمشايخ ، وأبناء الدنيا، وعُبّاد المادة ، والصالحين المتديِّنين من عهد والده أكبر إلى عهد حُكمه ، نشأت فيه مَلكةُ التعرّف على طبائع الناس وخصائصهم ، التي لا يتمتّع بها من لم تحصلُ له هذه الفرصة الكثيرة للخبرة والنقد، وتمييز الزيف من الصحيح))[٢١٩].

والسلطان جَهَانْكِير لم يكن بمعزلٍ عن الثقافة الأدبية ، ومجالسة العلماء، ومسامرة الأدباء؛ إذ كان أديباً وشاعراً ، ومطلعاً ومؤلِّفاً ، وهو ما جعل ميدان المعرفة واسعة ، ومداخلها مفتوحة لكلِّ مَنْ يطرق بالبحث أبوابها ، ويفتح بالدراسة مسائلها ، ولذلك جاء تصنيف بعض الكتب التي تحصي أسماء العلماء البارزين في عصره ، وتبين

[٢١٨]- ينظر : رجال الفكر والدعوة ٤٧/٣ .

[٢١٩]- رجال الفكر والدعوة ٣٢٥/٣ .

منزلتهم السامية في العلم والمنصب ، سواء أكانوا من العلماء والمشايخ الذين يتردّدون إلى بلاط القصر أم بعيدون عنه ويعيشون في كنف الدولة المغولية ، وكان من تلك المصنفات التي ذكرت أسماءهم كتاب : إقبال نامه لمعتمد خان محمد شريف بن دوست محمد الإيراني، وطبقات جَهَانْكِيري .

كما كان لأبناء شبه القارة أيدٍ بيضاء، وصفحات مشرقة في اللغة العربية وعلومها، حيث تواصلت جهودهم في التأليف ، وازدهرت مهاراتهم في الآداب ، وازداد عمقهم في فقه اللغة من مفردات الألفاظ ، ودلالة المعاني ، وإيجاد القواعد ، وبنية الصرف ، وإتقان البلاغة ، والبحث عن أحوال الأوزان المعتبرة للشعر، والعارضة للألفاظ والتراكيب ، وحسن صياغتها، وبهذا لا يقلّ هذا العهد عن العهود السابقة ، ولم تفتر الهِمَمُ فيه ، فجاءت نشاطاتهم مكلّلةً بالتنويع في الأفكار ، والتحقيق في المسائل ، والابتكار في الفنون ، ومثمرةً بتخريج العلماء المتضلعين في علوم العربية ذوي المهارات البلاغية العالية ، والشهرة الواسعة واستحقوا المكانة العظيمة من بين رجال اللغة والأدب في العالم العربي والإسلامي ، وكان من أشهر هؤلاء العلماء القاضي نور الله شوستري (ت ١٠١٩ هـ) ، وعبد القادر العيدروسي الأحمد آبادي (ت ١٠٣٥ هـ) ، وعماد الدين محمد عارف العثماني ، المعروف بـ : عبد النبي الشطاري (ت بعد سنة ١٠٢٠ هـ)[٢٢٠].

واقتداءً بسنة السلاطين في العصر المُغُولي ، وموقفهم الحسن من العلماء ، وإكرامهم بالفضائل ، وتقريبهم من القصور سلك جَهَانْكِير هذا المسلك مع العلماء

---

[٢٢٠]- وللوقوف على اللغة العربية وآدابها في هذا العصر مفصّلاً ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٤، ٢٨٣ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢٦- ٤٢٧ .

الأفاضل، فشجّعهم على العلم ، وأكرم مثواهم ، وتأثر بهم ، وأفاد منهم ، وبسط أكبر قدر من الرعاية والاحترام لهم .

وكان من أبرز هؤلاء العلماء الكبار الذين تأثر بهم جَهَانْكِير في أثناء سلطته الإمام أحمد السرهندي الإمام الرباني مجدَّد الألف الثاني؛ حيث مكث معه في المعسكر سنين، واستصحبه فيه وجالسه ، وذاكره في المسائل الدينية ، واطلع على زهده وتقشفه ، واستفاد من طاعته وورعه وهو ما يدلُّ على سلامة قلب السلطان ، وحسن سيرته ورسوخ عقيدته وإن كان منصرفاً أحياناً إلى الترف والبذخ، وحياة اللهو والفرح[٢٢١] .

شَاهْجَهَان :

وأمَّا في عهد شَاهْجَهَان، فلم تكن الحركة اللغويةبأقلَّ ازدهاراً من العهود السابقة في انتشار العلم ، واتساع الفهم ، وكثرة التصنيف في كافة الفنون العربية ، والدراسات الأدبية ، والعلوم الإسلامية بالعربية ؛ حيث بدأت تلك الشعلة العلمية النيّرة تنتقل من جيل إلى جيل ، فتُلهب النفوس ، وتُضيء القوب بجوانبها الواسعة ، وثمارها اليانعة في شبه القارة الهندية برعاية ذاك السلطان ، وعمله الإصلاحي ، وانعطافه نحو التقوى والورع ، وتشجيعه للفنون وإكرامه للعلماء ، وهو ما جعل العلوم أن تتقدم نحو الأمام ـ ولاسيما الشرعية ـ وأن يشتهر في عصره عدد كبير من رجال العلم، وتكتظ المجالس بالحلقات ، وتمتد المنتديات بالمناقشات ، وذلك لأنَّ شَاهْجَهَان باتفاق المؤرِّخين ـ على ما قال أبو الحسن الندوي ـ ((كان طيِّب النفس ، معظِّماً للشريعة الإسلامية ، وشغوفاً ببناء المساجد ، مُلْتزِماً في ذات نفسه بالفرائض الشرعية ، يُدني إليه العلماء والصالحين ، ويُقرِّبهم إلى المجالس ، ويعتمدُ عليهم ، وكان وزيره المدبِّر

---

[٢٢١] ـ ينظر تأثره بالعلماء وتوقيره لهم في : رجال الفكر والدعوة ١٦٢/٣ـ ١٦٣، ٣٢٤ـ ٣٢٥ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤ .

الحصيف جُملة المُلك سَعد اللهِ خان العلّامي (ت ١٠٦٦هـ) من نوابغ العلماء والمدرِّسين في عصره))[٢٢٢].

وبناءً على هذا التعظيم لشعائر الدين ، والاحترام لمقدساته ، والإجلال لعلمائه ، جاءت النهضة اللغوية ، والصحوة العلمية الحضارية ، واليقظة الاجتماعية بالسيطرة على الأوساط التعليمية والعلمية في كثير من الفنون ، وأخذ فطاحل العلماء يخوضون في المسائل ، وينصرفون إلى التدريس والإفادة ، ويقبلون على التأليف والتصنيف ، وينشغلون بالبحث والتحقيق والتنقيب .

وكان من تلك العلوم التي نالت قدراً من الحظوة والرعاية في مملكة المغول اللغة العربية وفنونها ، فقد استمرت مساهمة علماء الهند في المشاركة في الإنتاج العلمي ، وكتابة المباحث ، وتأليف المصنفات في كافة النواحي اللغوية ، فاتسمت تلك الجهود المبذولة بقيمة علمية عالية ، وذات دلالة لغوية رائعة في المكتبة العربية الإسلامية بتلك البلاد خاصة ، والعالم الإسلامي عامة ، وذلك تحت رعاية السلطة المغولية ، وبهذا الإسهام من هؤلاء العلماء بكتبهم الكثيرة ، وحواشيهم الدقيقة ، وشروحهم المستفيضة التي أفرزتها عقول رجال الهند وأفكارهم ظهرت قدرتهم على الابتكار والتطوير في كثير من الجوانب اللغوية ، وهذا لا يخفى على كل باحث يتأمّل في دراساتهم الأدبية ، وقواعدهم النحوية ، ومهاراتهم البلاغية ، ومعاجمهم اللغوية ، ويتطلع على منتوجاتهم العربية بأبوابها الواسعة وخفاياها الدقيقة ، وكان من أشهر هؤلاء الأجلّاء الذين خدموا العربية وآدابها : الحكيم المير هاشم الجيلاني (ت ١٠٦١ هـ) ، والملا محمود الفاروقي الجَوْنَبوري (ت ١٠٦٢هـ) صاحب المعارف الأدبية،

---

[٢٢٢]- رجال الفكر والدعوة ٣٢٧/٣ ، وينظر احترام العلماء لدى السلطان وتعظيمه لشعائر الإسلام في : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤ .

وعبد الحكيم السيالكوتي (ت ١٠٦٧هـ) الشارح العظيم ذو المهارات البلاغية ، وعبد الرشيد الجونبوري الملقّب بشمس الحق بن الشيخ مصطفى بن عبد الحكيم (ت ١٠٨٣ هـ) صاحب كتابَيْ : تذكرة النحو ، وبداية النحو الذي انفرد الأخير بخاصية أن كل أمثلته مأخوذة من الفقه الإسلامي ، وهو الذي ألّف بأمر شَاهْجَهَان معجماً للكلمات العربية ، وسُمِّي بـ : منتخب اللغة ، وقد استعمل فيه الفارسية أداةَ شرحٍ ، وهذا المعجم أُسْتُعمل كثيراً في الهند ، كما كان شاعراً ناظماً ، ونور الحق بن عبد الحق سيف الدين الدهلوي (ت ١٠٧٣هـ) ، ولطف الله المهندس ابن الأستاذ أحمد المعمار (ت بعد سنة ١٠٩٢ هـ) ، وكان شاعراً في الفارسية أيضاً ، واسمه الشعري : مهندس[٢٢٣] .

وكذلك العلوم الإسلامية بفروعها تجلّت آثارها في ربوع البلاد ، وبُذلت جهود طائلة في بطون الكتب ، فحاز بها علماء الهند الفضل والإبداع ، والنبوغ والذكاء في كثير من الجوانب العلمية يشهد لهم بذلك كل باحث محقّق ، ومفكّر مدقّق ، وأديب معمّق.

أُورنَكْزِيب عَالَمْكِير :

وكذلك شهد عصر عالَمْكِير تطوراً في الثقافة العربية ، وازدهاراً في التأليف ، ونشاطاً في البحث ، ونشراً في العلوم العقلية والنقلية ، واللغوية والأدبية بكافة فنونها في ربوع البلاد ، كما وُجِدَ في عهده طائفة من العلماء ، ونخبة من المفكِّرين الراسخين الذين عُرِفوا بسعة العلم ، والذكاء الباهر، وقوة التدريس ، وحسن التصنيف، وعمق التفكير .

---

[٢٢٣]ـ وللوقوف على هؤلاء اللغويين ومصنفاتهم بالتفصيل ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٥، ٤١، ٤٧، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٠٨، ٢١١، ٢١٦، ٣١٥ ، ٤٠٣ ، ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

وبهذه الحياة العلمية والفكرية في مملكة البلاد ، ونشاطات العلماء البارزة ، وإبداعاتهم الأدبية الرائعة في مجالات العلم والبحث والتصنيف تنوّعت الثقافة والفنون، وتعدّدت جوانب الوعي الحضاري والثقافي ، واتسعت مجالات التعليم من المدارس الدينية ، والمراكز العلمية ، وتشعّبت مناهجه لدى أساتذة المواد وأرباب الفنون ، وانعقدت المحافل الفكرية والمجالس الأدبية ، وذلك كله بفضل رعاية السلطان عالمكير، وهو ((ذاك الزاهد الغيور ، والفارس الجسور ، الذي اجتباه الله ـ عزَّ وجلّ ـ لإحياء الدين ، وتجديد الإيمان واليقين ، فحرقتْ صواعق سيوفه المهنّدة بيادر الكفر والزندقة ، وأضاءت شموعُ الدين في محافل المسلمين ، وتخرَّص المتخرِّصون من قِصار النظر ، وضعاف النفوس ، فحكموا عليه بأحكام قاسية ، وقاسُوه بمقاييسهمُ الزائفة ، ولم يعرفوا عُمقَ مداركه ، وأبعاد تفكيره ..))[٢٢٤] .

وهذا السلطان كان أكبر سلاطين شبه القارة الهندية ، وحكومته هي أوسع الحكومات التي قامت في الهند ، ولم تقُمْ فيها من العهد القديم إلى عهد سيطرة الإنكليز مثل حكومته ـ كما يقول المؤرخون ـ الواسعة الأرجاء ، الطويلة الأبعاد[٢٢٥] ، وفي أثناء حكمه كان يوجّه عناية خاصة إلى العلوم العربية والإسلامية ، ويولي اهتماماً بالغاً بفروعهما ، وذلك بدافع حميّته الدينية وحمايته للإسلام ، وزهده عن الدنيا وتقواه من الله ، وحبّه للعلم وتشجيعه للعلماء ، وبذله للتعليم ومشاركته للدروس؛ ولذلك تقدّمت حضارة الدولة الفكرية في عهده ، وتطورت ساحتها العلمية، وشيّد بنيانها في كافة العلوم .

---

[٢٢٤]ـ رجال الفكر والدعوة ٣٤١/٣ .

[٢٢٥]ـ ينظر : المصدر السابق ٤١٧/٣ .

وقد ازدهرت في هذا العصر اللغة العربية وعلومها من النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والعروض ، والآداب ، والمعاجم ، وغيرها بمملكة المغول ، وأسهم فيها علماء اللغة بمؤلفات كثيرة، وشروح طويلة، وحواشٍ مفيدة اتّصفت بدقة النظر، وحسن الصياغة، وروعة الأسلوب، وجمال الفن في كافة الفنون اللغوية، كما تميزت بلطافة الجمع والترتيب ، والتسهيل والتلخيص ، والإبداع والنبوغ ، ولعل جولة استطلاعية ، ونظرة خاطفة فيما خلّفوه لنا من الآثار العظيمة ، والمؤلفات الضخمة كفيلة بما يذهب إليه القلم ، وما يدّعيه الفكر .

وكان من هؤلاء النوابغ في العربية وأساتذتها : أحمد بن أبي الغيث المغلطائي ، ومحمد حسين ، الملقّب بـ : بإمام المدرّسين (ت ١١٠٨ هـ) ، وقد عيّنه أُورْنَك زيب رئيساً للمدرسة المسمّاة بمدرسة محمود كاوان في بيدار بالدكن مما يشهد على علمه وإمامته للمعلمين ، و صدر الدين علي بن أحمد بن محمد معصوم ، المعروف بـ : سيد علي خان ، أو ابن معصوم (ت ١١١٧ هـ) ، والملا محمد محسن الكشميري (ت ١١١٩ هـ) ،والسيد محمد القنوجي ، عاش في عصر أورْنَكزيب ما بين عامي (١٠٦٩ ـ ١١١٩هـ) وكان أحد معلمي أورنكزيب ، وعبد الوهاب القنوجي ، الملقّب بـ : منعم خان (ت ١١٢٦ هـ) ، وغلام نقشبند بن عطاء الله الشافعي اللكنوي (ت ١١٢٦ هـ) ، وبهاء الدين محمد بن تاج الدين حسن الأصفهاني ، المعروف بفاضل الهندي (ت ١١٣٧ هـ) ، والسيد أبو بكر بن محسن باعبود العلوي وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري ، والسيد عبد الجليل البلكراميين السيد أحمد الحسيني الواسطي (ت ١١٣٨هـ) ، وكان مشهوراً في عصر أورنكزيب بشعره ؛ وقد مدح أورْنَكْزِيب في بعض أشعاره ، كانتصاره في فتح قلعة ستاره سنة /١١١١ هـ/ ، وزار

مقر أورنكزيب في بَيْجَابور ، ودخل في خدمته سنة / ١١١١ هـ / ، وقد عينه في وظيفة كاتب الوقائع في كُجْرات ثم السِّنْد ، وعبد الله بن جمعة اللاهَوري الهندي[٢٢٦].

وكذلك نالت العلوم الإسلامية وفروعها قسطاً كبيراً من الرعاية في هذا العهد ، وحظاً وافراً من جهود العلماء وانشغالهم بها ، وذلك لنشر الدعوة الإسلامية في جميع المناطق ، والدفاع عن عقيدتها في ربوع البلاد ، والعودة بالمسلمين إلى عقيدة التوحيد الصحيحة التي أُصِيبت بشيء من الشوائب في عهد أكبر، وتعرّضت لأفكاره الشاذة ، وعقيدته الممزوجة بالمتناقضات .

كما شهد هذا العصر هجرة من صفوة العلماء ، وخيرة المفكرين من العرب والفرس وغيرهم من علماء العالم الكبار إلى أرض الهندستان ، وأسهموا بجهودهم الفكرية ، ونشاطاتهم اللغوية في بناء الحضارة الإسلامية الهندية في تلك الديار، وكان هؤلاء العلماء أنفسهمفي مملكة المغول برعاية السلطان عالمكير لهم يرون غاية التكريم ، وصدق المحبة، وعزّة النفس، وحرية الاجتهاد ، وحسن التعبير وكان من أولئك الوافدين إلى بلاد الهند القاضي محمد أسلم الهَروي (ت ١٠٦١ هـ) ؛ فقدم من هُرَات التي كانت مركزاً للعلوم العقلية ، ونجله النابغة المعروف بالشيخ محمد زاهد ـ الذي يعرف في أوساط المدارس الدينية في الهند بـ : مِيْر زاهد ـ في العلوم العقلية ، وغيره كثيرون من العلماء والأدباء المشهورين فكانوا ينسبون إلى بلدانهم، واستقروا

---

[٢٢٦] ـ ينظر هؤلاء العلماء في العربية بفنونها ، والوقوف على مؤلفاتهم بالتفصيل في : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٤، ٢٨ ، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٦ ، ٥٨ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص٢١٦ـ ٢١٧،٢١٩ ، ٢٢٩، ٢٤٣ـ ٢٤٦ ،٣٨٤، ٤٣٠ـ ٤٣٢، ٤٣٧ـ ٤٣٨ ، ٤٤٦ .

في أرض الهند ، وطاب بهم المقام، وشعروا بالاستقرار والسعادة ، وأفلحوا في التدريس والإفادة[٢٢٧] .

ومما يلاحظ هنا أن من المظاهر اللغوية التي ارتقت هي اللغة الأوردية التي هي في أصلها وُجدت منذ زمن جلال الدين أكبر نتيجة اتصال اللغات الثلاثة العربية والفارسية والهندية المحلية بعضها ببعض ، وتمازجها المتداخل ، واحتكاكها المباشر، فتطورت الأوردية بمفهومها الدلالي ، وقواعدها النحوية في شبه القارة الهندية ، وانتشر استعمالها انتشاراً واسعاً في تلك المنطقة حتى أصبحت أوسع لغاتها لدى المسلمين وغيرهم على السواء، وكان من سمات تقدّمها أن تُرجِم إليها كثير من الكتب العربية والفارسية في كافة العلوم خلال هذا العهد، وألّف بها عدد من المصنفات التي لا تزال قائمة إلى اليوم ، وتحتفظ بقيمتها العلمية في الأوساطالفكرية[٢٢٨] .

خلفاء عَالَمْكِير :

وبعد وفاة السلطان عَالَمْكِير الذي كان حامياً للدّين الإسلامي وحارساً له ، وخادماً للشعب ، وحريصاً على مصلحته توالى على عرش الدولة المغولية ملوك ضعفاء غير أكفاء ، فقد أصيبوا بنكسة سياسية ، ومرض عقال أدّى بهم إلى اضمحلال الدولة وزوالها ، وفقدان الهيبة وأمنها ، وسيطرة الأعداء على البلاد وخيراتها .

وهؤلاء الملوك الذين تعاقبوا السلطة ما بعد عالمكير ، وحكموا البلاد كان عددهم اثني عشر سلطاناً ، وها هي أسماؤهم : محمد معظم بَهَادُرْشَاه ، الملقّب بشاه عالم بَهَادُرْشَاه الأول (١١١٨ـ ١١٢٣ هـ)، ومعزّ الدين جَهَانْدَارْشاه (١١٢٣ـ ١١٢٤ هـ)،

---

[٢٢٧] ـ ينظر هجرة العلماء إلى الهند وإكرام السلاطين لهم في : رجال الفكر والدعوة ٤٦/٣ـ ٤٧ .

[٢٢٨] ـ ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ٣٢٣/٢ـ ٣٢٤ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٩٥ـ ٢٩٦ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٦١ .

وفَرُّخ سِيَر ابن عظيم الشأن (١١٢٤ـ ١١٣١هـ)، ورفيع الدرجات بن رفيع القدر بنبَهَادُرْشَاه (١١٣١هـ) ، ورفيع الدولة بن رفيع القدر بن بَهَادُرْشَاه (١١٣١هـ) ، ومحمد شاه بن جَهَان شاه (١١٣١ـ ١١٦١هـ)، وأحمد شاه بن محمد شاه (١١٦١ـ ١١٦٧هـ)، وعز الدين عالمكير جَهَانْدَارْشاه (١١٦٧ـ ١١٧٢هـ) ، ومحيي السنّة بن كام بَخْش بن عالَمْكِير شاهجَهَان الثاني (ت ١١٧٢هـ) ، وشاه عالم ابن عزيز الدين (ت ١٢٢١هـ)، وأكبر شاهبن شاه عالم (١٢٢١ـ ١٢٥٤هـ)،وبَهَادُرْشَاه الثاني بن أكبر شاه (١٢٥٤ـ ١٢٧٣هـ)، وهؤلاء السلاطين كان حكمهم يختلف مِنْ سلطان إلى آخر ، فمنهم مَنْ امتدّت حكومته ثلاثين سنة ، ومنهم مَنْ لم تمتد إلا عشرة أشهر ، ومنهم مَنْ حكم أقلّ من أربعة أشهر ، ومنهم مَنْ حكم لأيامٍ ، أو مدةٍ يسيرةٍ ، ومنهم مَنْ هو غير ذلك[٢٢٩] .

وهذا ـ مما لاشك فيه ـ يدلُّ على ضعف الدولة المغولية ، وانهيار أركانها، وتمزّق وحدتها، وذلك بسبب ترف السلاطين ((وبذخهم، وكسلهم ، وعدم كفاءتهم ، وصراعهم الداخلي ومنازعتهم ، واعتمادهم كلياً على الوزراء ، وأركان البلاط المغرضين المتكالبين على الجاه والسلطان ، وغفلتهم عن شؤون الدولة وإدارة البلاد))[٢٣٠] .

ورغم الاضطراب السياسي ، والفوضى الاجتماعية، والانحطاط العام ، كان هذا العهد عهد النبوغ العلمي للغة العربية وآدابها ، والتقدّم الفكري ، والانشغال بالتدريس والتصنيف ، وتزكية النفوس ، وإصلاح القلوب ؛ إذ ظهر عدد كبير من العلماء الأجلّاء ، وأصحاب الرأي والفضل خلال تلك الفترة ببذل الجُهْد ، والاجتهاد في

---

[٢٢٩] ـ وللوقوف على هؤلاء الملوك وسياسة حكمهم بالتفصيل ينظر : رجال الفكر والدعوة ٤٢١/٣ وما بعدها ، والهند في العهد الإسلامي ص ١٩٠ ـ ١٩٤، والدولة المغولية ودورها السياسي في التمهيد من هذه الرسالة .

[٢٣٠] ـ رجال الفكر والدعوة ٤٢١/٣ .

المسائل ، ومناقشة الآراء ، ونقد المواقف ، وتأليف الكتب باللغات الثلاثة الأوردية والعربية والفارسية في كافة الفنون بهمّة عالية ، وروح علمية ، ونفس زكية ، وإدارة قوية سالكين على منهج البحث العلمي ، وطرق النقد ، وحب المطالعة دون أن يتأثروا بالعوامل المحيطة بهم من الانحطاط والاضطراب ، ولا أن يؤثِّر فيهم أسباب اليأس والخوف من الأحوال العامة للبلاد ، ومازالت المكتبة الإسلامية تزخر بمآثرهم الحميدة، وروائعهم العلمية ، ودراساتهم الأدبية ، فكلها تَدين لجهود أولئك الأفذاذ الذين كانوا يُعانونحينئذٍمن العِلَل المزمنة، ويشتكون من الصدمات الداخلية ، والظروف الصعبة التي كانت تحتاج البلاد برُمَّتها[٢٣١] .

وكان من تلك الفنون التي قام بها علماء الهند في هذا العهد إفادة ومطالعة ، وتأليفاً ومناقشة اللغة العربية وعلومها ، فقد لُوحِظَ في السنوات الطويلة من أواخر عمر الدولة المغولية وضعف سلاطينها ، وزوال المهابة والسطوة والعظمة من كيانها عدمُ تأثرها بهذه الظواهر والتغيرات التي حدثت في البلاد ، وظلت قائمةً في الأقاليم والمدن ، وحاضرةً في المراكز العلمية ، والمدارس الدينية ، واستمرت الكتابة بها ، والمحافظة على قواعدها ، والاهتمام بآدابها وبلاغتها ، والتأليف في فروعها بجدٍّ وإتقان ، وتفننٍ وإمعانٍ ؛ لكونها لغة القرآن ولسان الدين والبيان.

ولهذه الأهمية الكبيرة ، والخُصوصية البالغة انتشر نورها في آفاق المملكة ، واستقرّت محبّتها في قلوب العلماء والطلاب ، وقُرِّرت مفرداتها في حقل التدريس والإفادة ، وأثمر كلُّ غصنٍ من أغصانها اللغوية أقطاباً من الأئمة الكبار ، ومصنّفات من المقالات والأفكار ، ففي النحو، والصرف ـ مثلاً ـ ، أُلِّفت متون جيدة في الجمل

---

[٢٣١]ـ ينظر هذا الوضع العلمي في عهد اضطراب الدولة في : رجال الفكر والدعوة ٤٣٣/٤ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٥ـ ٤٦ .

النحوية والصرفية بشروحيهما وحواشيهما ، ومنظومات قيمة في أبوابهما ومسائلهما ، فتُعدُّ تلك الدراسات عملاً رائعاً، وبياناً دقيقاً ، وشرحاً وافياً ؛ لصون اللسان من الخطأ، واستقامة العبارة ، وحسن التعبير ، وسلامة البنية، وبذلك اكتسبت تلك المؤلفات شهرة واسعة ، ومنزلة رفيعة لدى النحاة والصرفيين لجودة عرضها ، ودقة ترتيبها ، وإحكام ضوابطها .

وفي المعاجم اللغوية قد اشتهر جماعة من أبناء شبه القارة، الذين كانت تدين لهم اللغة العربية بالكثير في مجال المعاجم وتطور دلالة الكلمة، وكانت لها أهمية في موضوع فقه اللغة، والبحث عن دلالة المعاني، وتوضيح كلماتها المبهمة، وبيان التعبيرات الاصطلاحية ، والتعليق على العبارات الصعبة ، وذلك كتاج العروس في شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي البلكرامي (ت ١٢٠٥ هـ) ، الذي قام بشرح القاموس للفيروز آبادي شرحاً شاملاً ، ويُعدُّ بذلك أكبر معجم بلا نزاع في المكتبة العربية ، وهو الذي وصفه عبد الحي الحسني بأنه ((كتابٌ لم يُسبق إليه))[٢٣٢]، ومنتهى الأرب في لغات العرب لعبد الرحيم الصافي بوري وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجري ، الذي اشتهر خلال نهاية عصر المغول ومات قبل الثورة الهندية بقليل ، وقد صنّف ذاك الكتاب الضخم في معجم الكلمات ولكنه بالفارسية ، وجاء استعماله كثيراً في الهند ، وحلّ محلّ المعجمات الأخرى ، ((وهو مقبول متداول مغنٍ عن الأسفار الكبار في هذا العلم))[٢٣٣]، والقول المأنوس في صفات القاموس للمفتي سعد الله المراد آبادي ، وهو وصف وتقويم للقاموس وقد تضمّن كثيراً من الفوائد اللغوية ، والأساليب النقدية لدراسة القواميس ، والوقوف على مفرداتها ، وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد أعلى الفاروقي التهانوي وقد عاش في القرن الثاني عشر الهجري تقريباً ، وهو

---

[٢٣٢]ـ الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٦ .

[٢٣٣]ـ المصدر السابق .

معجم للتعبيرات الاصطلاحية العلمية، أو المصطلحات الفنية، ولم يكن معجماً بالمعنى الاصطلاحي المعروف ، وقد اهتمَّ ـ كما سبق ـ بكل اصطلاحات الفنون ، والعلوم العربية ، وفرغ من تألفيه عام (١١٥٨هـ) .

ومن الجدير بالذكر هنا أنني خصَّصتُ الحديث عن هذه المعاجم وأصحابها اللغويين الكبار دون غيرهم ؛ لما لها من فائدة عظيمة ، وأهمية كبرى ، وقيمة علمية في ميادين المعرفة ، ولدى أساتذة اللغة ، وطلاب العلم[٢٣٤] .

وفي الأدب من الشعر والنثر ، والبلاغة ، وغيرها كتب العلماء الهنود في هذه الفروع مصنفات عديدة تميزت بالمهارات البلاغية ، والمحسنات البديعية ، وقدرة الصنعة الأدبية والصور الإبداعية مما يدل على تعمّق العقلية الهندية الإسلامية في تلك الفنون ، وقوة تمكُّنها في تراكيب الألفاظ ، وصياغة الأسلوب ، وجودة البلاغة .

وكان ممن اشتهر في هذه المجالات ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ السيد غلام علي آزاد البلكرامي (ت ١٢٠٠ هـ) ، الملقّب بـ : حسّان الهند الذي يُعدُّ بحقٍّ شاعر العربية في الهند ، والعالم المُوْلَع بالابتكارات البلاغية ، فقد قام باختراع بعض الأنواع البديعية ، وأدخل إلى الأدب العربي بعض المحسنات البديعية من اللغة السَّنْسكريتية الهندية ، وكان مما اختار من البديع الهندي ثلاثة وعشرين نوعاً نقلها إلى العربية ، واقترح لها الأسماء العربية، كما اخترع بنفسه سبعة وثلاثين نوعاً من البديع بالإضافة إلى ما ذكره من الأنواع القديمة وهي تسعة أنواع، وبذلك يكون مجموع الأنواع التي عالجها غلام علي آزاد تسعة وستين نوعاً من البديع ، وناقشها في ثلاث مقالات ، كما

---

[٢٣٤]ـ ولأهمية هذه القواميس ومؤلّفيها والحديث عنها بالتفصيل ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٥ـ ٣٦، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢١١ـ ٢١٣ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٩ـ ٦٠ .

أورد ذلك في الفصل الثالث من كتابه : سبحة المرجان[٢٣٥] ؛ حيث قصره على أوجه الجمال الأدبي الأنيق ، والصور البلاغية البديعية .

كما أنه كان أعظم شعراء العربية في الهند ، وقد برز على جميع الشعراء الذين كتبوا باللغة العربية ، وأبدع في قرض الشعر ، وتفنّن في الصور الأدبية ، والمحسنات البديعية ، فجاء شعره مميزاً بنكهة فارسية وهندية، ومتأثراً بهما مما منحه ميزةً لم تتوفر في شعر غيره من الشعراء ، وكان من الآثار الرائعة ، والقصائد الباهرة التي تركها لنا آزاد مجموعته الشعرية تتألف من عشرة دواوين ، وأرجوزة من بحر الخفيف تقع في ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت[٢٣٦] ، فطبعت منتخبات منها تحت اسم : السبعة السَّيَّارة[٢٣٧] ، وكما أنشأ عدداً كبيراً من المدائح النبوية جمعها في كتاب مستقل سُمِّي بـ : تسلية الفؤاد[٢٣٨] ، وجملة ما نظمه في مختلف الأغراض بلغت أحد عشر

---

[٢٣٥]ـ ينظر : ص ٢١٤ وما بعدها ، وينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢١٧ .

[٢٣٦]ـ قال مترجم كتاب : ((الآداب العربية في شبه القارة الهندية)) الدكتور عبد المقصود محمد شلقامي عن تلك الأرجوزة بأنه قد رآها كلها في مكتبة ندوة العلماء بلكنهؤ في الهند . ينظر : المصدر السابق ص ٢٤٧ الهامش ١٧ .

[٢٣٧]ـ وهي في الواقع مختارات من ديوان آزاد ، وقد طبع بلكنهؤ سنة (١٣٢٨ هـ) في الهند باسم : مختار ديوان آزاد ، ولدي مقتطفات منها . وينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٤٧ الهامش ١٨.

[٢٣٨]ـ قال مترجم كتاب ((الآداب العربية في شبه القارة الهندية)) الدكتور عبد المقصود محمد شلقامي معلّقاً عليه بأن اسم الديوان الذي جمع فيه أزاد مدائحه النبوية هو أرج الصبا في مدح المصطفى ، وادّعى بأنه قد رأى مخطوطته في لكنهؤ بخط الحافظ عبد الهادي ، وهي مؤرّخة في سنة (١٠٣١ هـ) ، أمّا (تسلية الفؤاد في قصائد آزاد)) ـ وهو الكتاب المذكور سابقاً ـ فيقول عنه : بأنه لم يعثر عليه ، وينقل عن صاحب تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند بأنه مفقود ، غير أن آزاد يقول عن سبحة المرجان : إنه نقل عن تسلية الفؤاد تراجم العلماء ومطالب أخرى في هذا

ألف بيت ، كما قيل ذلك[٢٣٩] ، وله قصيدة طويلة أيضاً تبلغ مائة وخمسة أبيات ، وتُسمّى : مرآة الجمال ، وصف فيها كل أجزاء المرآة من الرأس إلى القدم ، مخصّصاً لكل عضو بيتين من الشعر ، ويقول عنه صديق حسن خان في كتابه : نشوة السكران[٢٤٠] : ((إن آزاد وكان أول شاعر ألف هذا النوع من الشعر في العربية)) وفضلاً عن هذا له قصائد بالفارسية[٢٤١] .

كما أسهم في كتابة هذه الفروع وآدابها نخبة أخرى من علماء الهند اللغويين والأدباء ، وشاركوا في نشرها ، وبيان جمالها وذوقها في شتى البلاد ، وكان في مقدّمة هؤلاء العلماء البارعين : بهاء الدين محمد بن تاج الدين حسن الأصفهاني ، المعروف ، بـ : فاضل الهندي (ت ١١٣٧ هـ) ، ونور الدين الأحمد أبادي (ت ١١٥٥ هـ) ، ومحمد أعلى بن الشيخ علي بن القاضي محمد حامد الفاروقي التهانوي كان حياً في سنة (١١٥٨ هـ) ، والملا عبد النبي بن القاضي عبد الرسول الأحمد أبادي وكتابه : دستور العلماء الذي صنّفه في سنة (١١٧٣ هـ) وهو لا يقل أهمية عن كشاف اصطلاحات الفنون السابق في المصطلحات العلمية ، ونور محمد الكشميري (ت ١١٨٥ هـ) ، وأبو الفيض محمد مرتضى بن محمد ، المعروف بـ : مرتضى

الكتاب يقصد سبحة المرجان (ينظر : ١٢٢). ينظر هذه التعليقات حول الكتاب المذكور في : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٤٧ مع الهامش ١٩.

[٢٣٩]ـ ينظر : الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٦٠ .

[٢٤٠]ـ ينظر : ـ محمد صديق بن حسن خان القنوجي ، نَشْوة السكران من صهباء تذكار الغِزْلان ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ـ تركيا . ـ د ط . ـ ١٢٩٦ هـ .

[٢٤١]ـ ينظر شعر آزاد وقصائده ومميزاته مفصّلاً في : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٤٧ـ ٤٩ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص٢٤٦ وما بعدها ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٦٠ .

الحسيني الزبيدي الهندي (ت ١٢٠٥ هـ) ، ومحمد غوث شرف الملك بن نظام الدين (ت ١٢٣٨ هـ) ، والشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١٢٣٩ هـ) ، ومحمد ارتضى علي خان ابن مصطفى علي خان الكوباموي (ت ١٢٥١ هـ) ، ومحمد باقر المسمى في الشعر : آكام المدراسي (ت ١٢٢٠ هـ) ، وأحمد بن محمد اليمني الشرواني (ت ١٢٥٦ هـ) ، وقطب الدين أحمد ، المشهور بـ : الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦ هـ) ، وغيرهم كثيرون من العلماء الفطاحل[٢٤٢].

وأمَّا حركة الترجمة ، فلم تهدأ في البلاد ، ولم يكبح قلم المترجمين في الاشتغال بها رغم الأحوال السياسية المضطربة ، والظروف القاسية ، وظلّت المسيرة العلمية قائمة في مراكز الثقافة ، وتبادل الأفكار نشطاً ، وتلقيح الفنون مثمراً ، وذلك بفضل النهضة الأدبية التي قامت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين في شبه القارة الهندية بمساهمة العلماء الهنود ، ودورهم الواضح في نقل الكتب المختلفة من لغات أخرى إلى العربية وبالعكس ، وهو ما جعل الثقافة الإنسانية تتجاوز الحواجز والسدود ، وينصهر بعضها ببعض ليُعْطي نموذجاً خاصاً للفكر المبدع في تلك المناطق، ودوراً مشرقاً للنهضة العلمية ، تُعرف فيما بعدُ باسم : الثقافة الإسلامية الهندية.

هذا ولم تنعم الترجمة خلال عصر الانحطاط للدولة المغولية في مختلف مناطقها بالرعاية التامة من سلاطينها ، ولا تشجيعاً من أمرائها ، وإنما كانت تسير بسير الحركة العلمية العامة في المملكة ، وتنشط روحها بازدهار نهضتها الفكرية ، ولذلك

---

[٢٤٢]ـ وللاطلاع على أسماء هؤلاء اللغويين والأدباء وغيرهم ، والوقوف على مؤلفاتهم بالتفصيل ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٤ وما بعدها ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٣١ـ ٤٣٥ ، ٤٣٨ـ ٤٤٢ ، ٤٤٥ـ ٤٤٩ .

وجدت نخبة من علماء الهند نقلوا كثيراً من الكتب من لغة إلى أخرى في هذين القرنين، فكان في طليعتهم : شمس الأمراء ، نواب فخر الدين خان الحيدر آبادي ، كان حياً سنة (١٢٤١ هـ) ، وعمدة الملك رفيع الدين بن فخر الدين الحيدر آبادي كان حياً سنة (١٢٦٩ هـ) ، وكريم بخش الدهلوي ، ومير شجاعت علي الحيدر آبادي ، والحافظ أحمد علي خان الرامبوري ، والمولوي نذير أحمد الدهلوي[٢٤٣] .

وهكذا أصبحت الحركة العلمية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين في الدولة المغولية متنوّعة بكافة أشكالها اللغوية والأدبية ، وخاض العلماء بالبحث والتحقيق ، والمطالعة والتأليف في جذورها ، وتضلّعوا بنوعيها العقلية والنقلية في فنونها ، وتمكنوا من الإحاطة بآدابها وثقافتها عبر اللغات العربية وغيرها .

ثانياً ـ تأثّر السلاطين بها:

لم ينحصر دور سلاطين المغول على رعاية السياسة والتمسك بها ، ولا على الحركة العلمية والآداب العربية ، ولا على حماية العلوم الإسلامية والفنون العقلية فحسب ، وإنما ظهرت مشاركتهم في نهضة الثقافة الفكرية ، والمعارف الإنسانية بالإبداع والفكر ، والتصنيف والإنتاج ، والنقد والمطالعة ، وتجلّت مواقفهم في كثير من النواحي الثقافية والأدبية ، والفنية ، واللغوية ، والمعمارية ، والعقلية ، وغيرها بميول مختلفة ، واتجاهات متعددة ، فجاءت نشاطات هؤلاء السلاطين وجهودهم المبذولة ما بين أديبٍ وشاعرٍ ، وفلكيٍّ وطبيبٍ ، ومهندسٍ وفنانٍ ، وفقيهٍ وصوفيٍّ ، وفيلسوفٍ ومبدعٍ ، وظهرت أثارهم في ميادين العلوم بكافة أشكالها عبر الأدوار

---

[٢٤٣]ـ وللوقوف على هؤلاء المترجمين وغيرهم ، والوقوف على كتبهم المترجمة مفصّلاً ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٣٠١ وما بعدها .

المختلفة لتاريخ الدولة المغولية ، ومسارها العلمي ، وازدهارها الثقافي ، وأدبها الأصيل الذي صادف في أفكار هؤلاء السلاطين رواجاً ، وفي عقولهم مرتعاً ، وفي أقلامهم أثراً .

هذا وكان للغة العربية وآدابها قسط وافر ، وحظٌّ ملموسٌ من بين سائر العلوم الأخرى خلال ذاك العصر ؛ حيث وُجِدَ مِنَ السلاطين والأمراء المغوليين مَنْ يقرض الشعر الرصين ، ويتناول الأدب المطبوع بذوق سليم ، وأسلوب رفيع ، ولغة بليغة ، ويملك ثروة لغوية بأشكالها المتنوعة، كتابة ومحادثةً وإلماماً وخبرةً مع اعتنائهم بالمكتبات العلمية، والكتب النادرة واقتنائها في كافة العلوم المختلفة من العقلية ، والنقلية ، والفنون الجميلة ، وغيرها .

وفضلاً عن ذاك كان بلاطهم ملتقىً للعلماء ، ومسامرةً للأدباء ، ومجالسة للفضلاء فيتغذّون منها الثقافة الفكرية ، والعلوم الإسلامية ، والنواحي الأدبية واللغوية ، ويزوّدون بها الفكر الإنساني ، والتقدم الثقافي ، والوعي الحضاري في أصقاع البلاد بشبه القارة الهندية .

ولعل نظرة تاريخية لحياة الدولة المغولية ، وأدوارها السياسية عبر العصور السابقة ، وازدهارها الحضاري بجوانبها المتعدّدة توضّح لنا ثقافة هؤلاء السلاطين العلمية ، واطلاعهم الواسع في الفنون ، وتأثّرهم البالغ بالعلماء ، وذلك من خلال هذا السرد التاريخي لهؤلاء اعتباراً من مؤسِّسها الأول ، وانتهاءً بسقوطها من قبل الاحتلال البريطاني .

فهذا هو **ظهير الدين بَابَر** (ت ٩٣٧ هـ) أول مؤسِّس لدولة المغول في الهند ، فقد كان سلطاناً مثقفاً، وأديباً متمكّناً ، وشاعراً بارعاً ، ومؤلّفاً متفنّناً ، ومتكلماً بالفارسية والمغولية والعربية.

فيقرض الشعر باللغة التركية[٢٤٤] والفارسية ، وينشده في المناسبات ، وقد تميَّز شعره برقة الألفاظ ، وعذوبة الأفكار ، وله أيضاً أصوات في الغناء والموسيقى ، وكتب في العروض والفقه ، كما اخترع خطّاً سُمِّي باسمه كتب به مصحفاً وأهداه إلى مكة المكرمة .

وتُعدُّ سيرته المعروفة باسم : بابر نامه[٢٤٥] من أهم آثاره الأدبية ، التي كتبها بنفسه عن حياته الشخصية[٢٤٦] ، ونثرها باللغة التركية ، وقد اختار لها سهولة العبارة ، ولباقة الأسلوب ، ودقة الاختيار ما يدلُّ على ذوقه الأدبي ، وفنّه الرفيع ، وينمو عن تمكّنه من الثقافة الإسلامية والعربية والآداب التركية والفارسية .

واطلاع ظهير الدين بابر الواسع على الآداب ، وشغفه الشديد بالعلوم ، وحبّه البالغ للمطالعة أدّى به إلى اقتناء مكتبة خاصة به ، تحتوي على أعداد كبيرة من الكتب العلمية في مختلف الفنون كان ينهل من معينها ، ويتزوّد من ثقافتها .

---

[٢٤٤]ـ وله ديوان في الشعر وقد كتبه بالتركية ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢ .

[٢٤٥]ـ وقد ترجمت مذكراته تلك إلى الفارسية ، ترجمها عبد الرحيم بن بيرم خان سنة /٩٩٧ هـ/ في عهد أكبر، ومن الفارسية إلى عدة لغات أوربية ، وبعد البحث لم أجد ترجمتها إلى العربية . ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٣٧ ، ٢٩٥ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ٦٦/٢ .

[٢٤٦]ـ كما أفصح في تلك المذكرات عن إحاطته الواسعة بالتاريخ البشري من حيث تصوير النفس الإنسانية على طبيعتها بما فيها من خير وشر ، وتقويم البلدان ، وكثير من العلوم العقلية والنقلية ، وتحدث كذلك عن سيرة جدّه الأكبر تيمور ، وغير ذلك من الموضوعات . ينظر : الآداب العربية في شبه القارة ص ٤٢ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ٢٣٦ـ ٢٣٧ ، ٢٩٥ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٣١٩/٢ ـ ٣٢٠ ، ٢/ ٦٤ـ ٧١ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٥ـ ٥٦ .

وبالإضافة إلى ذلك أنه كان خلال عهده يشجِّع العلم ، ويجلُّ أهله بكثير من الاحترام والتقدير ، والعناية والحفاوة ، ويستقبلهم في بلاطه ؛ ولذلك انعطف إليه العلماء المتخصِّصون في كافة المجالات العلمية من علماء الهند وغيرهم ، وتوجهوا إليه بالمساهمة في الفكر ، والخدمة في التراث ، والتفنّن في الإبداع ، وفي ذلك قائمة بأسماء هؤلاء الأولياء الصالحين والعلماء الأجلاء الذين ازدهروا في عصره ، وقد تضمّنها كتاب : ((طبقات شاهجِهاني))، وتكفّل بذكرها ، ولكن ما نعرفه عن أعمالهم العربية ضئيل ، كما قال الدكتور زبيد أحمد[٢٤٧] .

كما عُرِفَ **هِمَايُون** (ت ٩٦٣ هـ) وهو ثاني ملوك المغول بشغفه بالفنون الفلكية، والعلوم العقلية ، ونال منها حظاً وافراً ، ولاسيما في علم الفلك الذي كان من أهم مآثره العلمية بناءُ مرصدٍ بالاشتراك مع علماء عصره ، كما قام بتجارب عديدة من قبل في الرصد الفلكي ، ولولا المنية التي عاجلته لأتمَّ بناءه المكوّن من ستة أدوار للغرض نفسه .

وبهذا الاطلاع على العلوم ، والحب للثقافة ، والاعتناء بالفنون أقبل عليه طلاب العلم لتلقي دروس علم الفلك ، وتخرّج عليه كثيرون من رجاله ، كما قيل ذلك[٢٤٨] ، وهو ما يدل على تعمقه في الفكر الإنساني، ورغبته في الثقافة العلمية، واهتمامه

---

[٢٤٧]- ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢ .

وللوقوف على جوانب بابر العلمية وآثاره الأدبية مفصّلاً ينظر : وتاريخ الإسلام في الهند ص ٢٣٦- ٢٣٧ ، ٢٩٥ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٣١٩/٢ - ٣٢٠ ، ٢/ ٦٤- ٧١ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٥- ٥٦ .

[٢٤٨]- ينظر : الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٨ .

بالنواحي العقلية ؛ ولذلك كان حريصاً على ألا تفارقه مكتبته العلمية الخاصة حتى في أثناء السفر ، التي كانت عامرة بالمؤلفات القيمة والكتب النادرة[٢٤٩] .

وكان السلطان هِمَايُون يحبُّ العلماء ، ويكرم مثواهم ، ويعظِّهم بحفاوة بالغة ، اقتداءً بالسنن المتبعة ، والتقاليد المعروفة في بلاط سلاطين المغول ، وهو ما جعل العلماء الأفاضل أن يستقروا في عتبته ، ويتوافدوا إلى مملكته[٢٥٠] ، غير أن نشاطات هؤلاء العلماء ، ومؤلفاتهم ، وأعمالهم بالعربية ضئيلة بالمقارنة مع اللغة الفارسية التي كانت لغة الدولة الرسمية[٢٥١] .

وهِمَايُون بهذا المنهجلا يقل شأناً عن أبيه من حيث احترامه للعلماء ، واهتمامه بالحركة العلمية والعربية ، والفنون العقلية بأنواعها المتعددة وإن كانت بضاعته في الدراسات الأدبية والعلوم الإسلامية والعربية قليلةً ، وفكره فيها محصوراً ، وشغفه بها نادراً ، خلافاً لأبيه بابر الذي سبق الحديث عنه آنفاً[٢٥٢].

وكذلك **جلال الدين أَكْبَر** (ت ١٠١٤ هـ) على الرغم أنه كان بعيداً عن العربية وآدابها ، وغريباً عن تعلّم العلوم وقراءتها ، إلّا أنه كان على قدر كبير من الذكاء

---

[٢٤٩]- وهي لايزال بناؤها قائماً بدلهي حتى اليوم ، وهي معروفة في الهند ، ولاسيما لدى الباحثين والقارئين.

[٢٥٠]- ولعل خير كتاب جمع أسماء هؤلاء العلماء هو كتاب : ((طبقات شاهجهاني)) الذي قد احتوى قائمة بأسماء المؤلفين والعلماء الذين ازدهروا في عصري بابر وهمايون ، واشتهروا في مملكتهما بالإبداع والرقي . ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢ .

[٢٥١]- ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٢ .

[٢٥٢]- وللوقوف على حياة همايون العلمية وآثاره فيها مفصّلاً ينظر : الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٨ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٣٢٠/٢ ، ٩/٢ ، ورجال الفكر والدعوة ٤٦/٣، والمصدر السابق .

العقلي ، والنبوغ الفكري ، والاطلاع الواسع الذي اكتسبه من وراء الرغبة الشديدة في استماع العلماء والاستفادة منهم .

وفي عهده نشطت الروح العلمية ، وتنوعت النهضة الثقافية واللغوية ، وكثرت المصنّفات والدراسات ، وتعددت الاتجاهات والمذاهب ، وذلك بفضل المناظرات الدينية ، والمحاورات اللغوية ، والفلسفات العقلية ، والنشاطات التاريخية التي كانت تُعْقد في مجالسه على بلاط القصر؛ حيث كان دائماً يحفل بالعلماء من كل مذهب ودين، وعقيدة وفكر ، فيتحدثون ويتجادلون ، ويناظرون ويناقشون ، وينتقدون وينقضون في جميع النواحي العلمية والمسائل الفكرية، والسلطان أكبر يستفيد منهم ويستمع إليهم، ويشجّعهم ويثني عليهم ، ويتيحُ لهم حرية البحث والقول مهما كانت نتيجتها العلمية ووجهتها الاجتهادية ، وحتىهو نفسه كان يستمع إلى علماء الأديان ، وأصحاب المعتقدات كلهم على السواء، ويعطيهم حق الرأي والتعبير للدفاع عن مقدساتهم واتجاهاتهم .

وكان جلال الدين أكبر كأجداده يكنُّ احتراماً بالغاً للعلماء ، ويجلّهم في البلاط ، ويتأثّر بهم في المواقف ، ويقدّمهم في المناسبات ، وبذلك كثر العلماء والتأليف في شبه القارة بالعربية بأمره ، وازداد العلم غزارة ، وانبسط الفكر أفقاً ، وتوسعت الثقافة ازدهاراً بفضل رعاية أكبر وإجلاله للعلم وتوقيره للعلماء ، وهذا ما صرح به المؤرّخ عبد القادر البَدَايُوْنِيّ في كتابه : ((منتخب التواريخ))[٢٥٣]؛ حيث ذكر مَنْ عاصر أكبر، واختلط به من الحكماء، والعلماء، والفقهاء، والمؤرخين ، والشعراء ، والأدباء ، والفلكيين ، والموسيقيين ، وغيرهم الذين تجاوز عددهم إلى ثلاثمائة عالم في كافة

---

[٢٥٣]- وهو كتاب كتب باللغة الفارسية في التاريخ يقع في ثلاث مجلدات ، وهو مطبوع ، ولم أقف على ترجمته بالعربية .

الفنون العلمية والأدبية واللغوية والإسلامية ، وبهذا لم تشهد الهند في عهدها الإسلامي سلطاناً من قبل جلال الدين أكبر مثله اجتمع حوله مثل هذا العدد العظيم من رجال العلم والأدب .

كما شهدت الترجمة في عهده نشاطاً مهماً ، وبتشجيع منه تمت ترجمة كثير من الكتب الهندية إلى الفارسية وبالعكس، ومن العربية إلى غيرها لتلاقي الأفكار العلمية ، وتبادل النهضة الفكرية بين المجتمعات الإنسانية .

وبناء على هذه الأنشطة العربية ، والحركة العلمية ، والصحوة الفكرية خلال هذا العصر في شبه القارة الهندية برزت في الوجود لغة جديدة في تلك الأراضي ، وهي مكونة من الفارسية والعربية والهندية المحلّية ، فسمِّيت باللغة الأوردية[٢٥٤] ، ونشأت نتيجة لهذا الاختلاط من هؤلاء الشعوب بعضها ببعض حتى غدت لغة قوية كبيرة في تلك المناطق[٢٥٥] .

وأمّا **جَهَانْكِير** (ت ١٠٣٧هـ) فقد كان أديباً بارعاً ، ومثقفاً بصيراً بالعلوم الثقافة ، والفنون الجميلة ، وكان لديه إلمام واسع بعلوم الحيوانات ، والنباتات ، والطب ، ومساهمة فعّالة في الدراسات التاريخية خلافاً لأبيه الذي لم يكن متعلماً بنفسه ، وبهذا كان السلطان المغولي واسع الفكر، عميق الاطلاع، بالغ الحب للفكر العلمي ، والوعي

---

[٢٥٤]- وهي مازالت قائمة إلى اليوم ، وتحتل مساحة كبيرة في تلك البلاد .

[٢٥٥]- وللوقوف على تأثّر جلال الدين أكبر بالحركة العلمية ودور العلماء في النهضة الفكرية وتأثيرهم فيه بالتفصيل ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص٢٨١ وما بعدها ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/ ١٣١- ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥٦- ١٥٨ ، ٣٢٠- ٣٢٢ ، ورجال الفكر والدعوة ٩٢/٣- ٩٥ ، ١٢٠ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٨ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٣- ٤٤ .

الثقافي ، ويُعد من أهمّ آثاره العلمية كتابة يومياته التي كان يسجل فيها كلَّ ما يمر به من حوادث وخواطر واتجاهات ، وسُمِّيت تلك اليوميات أو الذكريات بـ : تُوْزَك جَهَانْكِيري ، أي : يوميات جَهَانْكِير ، ويتمثل فيها أدبه المطبوع ، وبراعته الإبداعية في الكتابة الإنشائية .

وكان موقف هذا السلطان من العلماء كغيره من السلاطين المغوليين بالاحترام والتقدير، وإبداء الرعاية والحفاوة ، إجلالاً لقدْرهم ، وتعظيماً لشأنهم ، ونتيجة لهذا البسط من التعليم والتعلّم للسلطان، وإعطاء الرخاء والاهتمام بالعلماء ازدهرت الثقافة، وانتشرت فنونها في ربوع البلاد ، وكثرت حركة التأليف ، وازداد توافد الفضلاء ، حتى استفردت مصنفات تحتوي على قوائم للعلماء الكبار الذين كان لهم شهرة واسعة في البلاد ، وآثار طيبة في المكتبات ، وتأثير كبير في المجتمع ، وكان من أبرز تلك الكتب كتاب : إقبال نامه جَهَانْكِيري ، وطبقات جَهَانْكِيري .

وجَهَانْكِير لم يكن ببعيد عن أفكار هؤلاء العلماء ، ومجالس مناظراتهم ، ومناقشة مسائلهم ، وإنما كان في صحبتهم ، ويستأنس بآرائهم ، ويتأثر بمواقفهم ، كما تأثّر بالإمام الرباني السرهندي ، الملقَّب بمجدّد الألف الثاني ؛ حيث صاحبه السلطان في المعسكر ، وجالسه ، وذاكره في المسائل الدينية ثلاث سنوات وستة أشهر[٢٥٦] .

والسلطان **شَاهْجَهَان**(ت ١٠٧٦هـ) كان عالماً باللغة العربية، والفارسية، والتركية، معظماً للشريعة الإسلامية ، شغوفاً ببناء المساجد ، محِبَّاً للعلم ، ومشجّعاً للتأليف ، دائم الإجلال والتعظيم للعلماء ، شديد الصلة بمجالسهم ، واضح التأثّر بآرائهم ، وهو ما

---

[٢٥٦]- وللمزيد من تأثر جهانكير بالحياة العلمية ودوره الثقافي فيها بالتفصيل ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤، وتاريخ الإسلام في الهند ص ٣٠٨ وما بعدها ، ١٩٥٠ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ١٨٠/٢- ١٨١ ، ٣٢٢ ، ورجال الفكر والدعوة ٣٢٤/٣- ٣٢٦ .

جعله أن يتوجّه إلى العلوم الإسلامية ، والتمسك بآدابها ، وتقديمها على غيرها ، والاعتناء بشأنها ، ويقرِّبه إلى الورع والتقوى ، والالتزام بفرائض الدين ، وفضائل السنن.

وفضلاً عن هذا كلّه أنه كان متأثّراً بعلوم الهندسة ومظاهر الطبيعة من النقش والتصوير وفن الزراعة ، وتخطيط الحدائق وغيرها ؛ حيث قام بإعداد جملة من المنشآت المعمارية الضخمة، والمشاريع النافعة والإصلاحات الواسعة، وزيّن بها الهندبذوقه الفني الرائع ، وهندسته الخلّابة ، وكان من تلك الآثار الباقية التي تدل على براعة الحضارة الإسلامية وإبداعها خلال العصر المغولي في الهند بدهلي وأكرا حتى اليوم المسجدُ الجامع ، ومسجد اللؤلؤ ، والقلعة الحمراء ، والمثوى العظيم الذي يُعرف باسم : تاج محل[٢٥٧] ويُعدُّ أروع هذه الآثار .

ونتيجة لهذا التقرّب للعلماء ، والتشجيع للتأليف والدراسة اشتهر في عصره عدد كبير من رجال العلم والفضل والإبداع والتفنّن لكل منهم مؤلفات قيمة ، وإسهامات علمية ، وآثار مفيدة تخدم التراث الإنساني ، والفكر الثقافي في شتى المجالات .

كما اتخذ هذا السلطان اللغة الأوردية[٢٥٨] لغة رسمية في البلاد ، وعمل على نشرها بوسائل مختلفة ، وبدأت تتطور وتزدهر ، حتى أصبحت من أوسع لغات في

---

[٢٥٧] ـ وقد أقامه شَاهْجَهَان تخليداً لذكرى زوجته تاج محل ، فعُدّ بكماله وبهائه من بين روائع المعمار في الدنيا، ومن عجائب السبعة في الوقت الحاضر ، وما تزال آثارها ترى في الهند ، وقد استغرق بناؤه اثنين وعشرين عاماً ، واستخدام فيه عشرون ألفاً من العمال والمهندسين . ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢١١/٢ .

[٢٥٨] ـ وهي كانت في الأساس مزيجاً من اللغة الفارسية والعربية واللهجات المحلّية الهندية . ثم بدأت هذه اللغة الجديدة تُساهم في النشاط الأدبي ، ولكنها بنصيب محدود لا تبلغ مقام الفارسية خلال

شبه القارة الهندية انتشاراً[٢٥٩] .

وكذا السلطان **أُورنَكْزِيب عَالَمْكِير (ت ١١١٨هـ)** ، فقد كان عالماً متمكناً ، وباحثاً متضلعاً ، وزاهداً صوفياً ، حافظاً لكتاب الله ومجوداً ، وقد حفظه بعد توليته عرش الملك ، فانشغل بالدراسات القرآنية وعلوم السنة ، واعتكف عليها ، ولم يشتغل بسواهما رغم تمكّنه من الآداب الفارسية وبراعته في نظمها ، وقد عدل عنها خشية الغواية واللهو، والابتعاد عن القرآن ومقاصده.

وبعد دراسة العلوم الإسلامية وفهم أسرارها ، نهض بتعليم المسلمين أحكام الدين ورسالته المقدسة ، وعمل على نشرها في سائر مملكته المزدهرة عبر وسائل متعددة ، ولا سيما في المساجد ، والمدارس الدينية التي بلغ بناؤها كثرة لم يُسْبق لها مثيل في تاريخ العصر المغولي كما قيل[٢٦٠] ، وكان يجري عليها الأرزاق لطلاب العلم

العصر المغولي ، وظلّ الأمر كذلك حتى جاء الاحتلال البريطاني إلى شبه القارة الهندية ، فعملوا على إزالة الفارسية وتغييرها في تلك البلاد لكونها لسان المفكرين المسلمين ، وبعد قيام ثورة التحرير في الهند ضدهم بدأت قواعد الأوردية تنظم ، وتطبع بها الكتب وذلك بفضل جهود العلماء والمفكرين ، حتى عمت الهندستان وازدهر بها آدابها ، واتسعت دائرتها ، واتخذت فيما بعدُ لغة الكتابة في كثير من الموضوعات الحديثة والقديمة ، وهي اليوم لغة باكستان الأولى ، ومن أكثر اللغات تداولاً بجمهورية الهند ، وأصبحت لسان المسلمين والهندوس على سواء. ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/ ٣٢٣ـ ٣٢٥ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ٣٩٨ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٦١ـ ٦٢ .

[٢٥٩]ـ وللوقوف على حياة شاهجهان العلمية وتأثّره بها وموقفه من العلماء مفصلاً ينظر : تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢/٢١٠ـ ٢١١، ٣٢٣ـ ٣٢٥ ، وتاريخ الإسلام في الهند ص ٣٢١ـ ٣٢٣، ٣٢٦ ، ٣٣٣ـ ٣٣٦ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤ ، ورجال الفكر والدعوة ٣/٣٢٧ .

[٢٦٠]ـ ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٦٦ .

ويخصِّصها لهم ، حتى يتفرغّوا لمطالعة الكتب ، ودراسة العلوم الإسلامية والعربية ، وغيرها .

وكان السلطان عَالَمْكِير يحبُّ العلم والعلماء ، ويجلُّهم في المجالس ، ويبدي لهم التقدير في المحافل، ويشاركهم في الدروس ، ويدعوهم من أقصى الأرض إلى البلاد ، وبهذا الإكرام الزائد للعلماء ، وشدة التوفير لهم توافد إلى بلاط الهند صفوة من العلماء من كل الأقطار ، حتى أصبحت بلاد شبه القارة الهندية ملتقىً لرجال العلم المتخصّصين في كافة العلوم ، ومركزاً للفنون العلمية ومنها العربية وآدابها ، فساهموا بجهودهم المبذولة ، وبأفكارهم العميقة في بناء النهضة الثقافية ، والحركة الفكرية وازدهارها في أرجاء المملكة، هذا ولم يكن ذلك عجيباً إذ كان هو نفسه يعتني كثيراً بالثقافة الأدبية ، والتعاليم الإسلامية ، واللغة العربية ، ويجيد عدة لغات منها العربية ، التي كان لها فضل كبير في التواصل مع هؤلاء العلماء والاستفادة من علومهم بلغاتهم الأصلية ومؤلفاتهم المدوَّنة عن كونها لغة الدين ، ولسان الثقافة الإسلامية والعربية خلال العصر المغولي .

وبعد هذا الجهد المبذول من السلطان ، والعهد المزدهر لحياته العلمية في البلاد من الناحية الفكرية والأدبية التي شهدها شبه القارة الهندية من التقدم والازدهار والتفتح جاءت ثمرته بإعداد موسوعة في المذهب الحنفي بالعربية تتضمن الأحكام الشرعية بتكليف جماعة من كبار العلماء وخيرتهم وبإشراف منه ، فقاموا بتدوين تلك الأحكام ، وجمع الفتاوى المشهورة بين رجال العلماء المتخصّصين ، فسمّيت باسم : الفتاوى الهندية ، أو العَالَمْكِيرِيَّة[٢٦١] التي تم فيها إجمال الفقه الحنفي كله إجمالاً شاملاً ، فكانت

[٢٦١] ـ وهو مطبوع ومتداول في العالم العربي والإسلامي بطبعات متعددة ، ودُور مختلفة ، وبعد مضي فترة على وفاة عالمكير طبعت هذه الفتاوى ونشرت في القاهرة بمصر عام /١١٨٢هـ / ،

ولا تزال لها قيمتها العلمية بين المشتغلين بالفتوى في العالم الإسلامي ، وتُعدُّ من المشاريع العلمية الرائعة في الفقه الحنفي للوقت الحاضر كما ألّف كتاباً بنفسه في الحديث وشرحه بالفارسية ، وجمع فيه أربعين حديثاً ، والسلطان عالمكير في سبيل خدمة هذا المشروع العلمي ، وإنجازه العظيم بذل لهم أموالاً طائلة وأكرمهم بالسخاء ، وأجلّ قدرهم بالارتقاء.

هذا ولم يكن الشغف بالفنون الأدبية في عصر عالمكير محصوراً على العلماء والأدباء والفضلاء الرجال فحسب ، وإنما كان للمرأة حظ وافر أيضاً ، ودور رائع في الدراسات الأدبية والحياة الفكرية،فهاهي زِيْبُ النساء ابنة عالمكير ـ مثلاً ـ إحدى نساء البيت المغولي وأشهرهن، فقد كانت تقرض الشعر باللسانين العربي والفارسي في رقة وعذوبة ، وأوعتْه في ديوانها المشهور بـ : ديوان مخفي، وكذلك وُجِدت كثيرات غيرها من النساء، وهنّ ذوات أدبٍ مطبوع، وسجع مقبول ، وأسلوب رصين ، وثقافة عميقة في الفكر الإنساني ، والوعي العلمي.

وبذلك انصرف المسلمون إلى الرقي بالبلاد والتطور في العلوم بكافة فنونها ، وأصبح شبه القارة الهندية يضاهي أرقى البلاد في عصر الدولية المغولية[٢٦٢] .

وهي من المراجع الفقهية الشرعية المهمة في الفقه الحنفي ـ كما سبق ـ ، ويعرف هذا العمل الفقهي الكبير في الهند بـ : الفتاوى العالمكيرية وفي بلاد مصر والشام وتركيا بـ : الفتاوى الهندية . ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٤٨/٢ الهامش ١ ، ٢/ ٣٢٣ ، ورجال الفكر والدعوة ٣٣٩/٣ .

[٢٦٢]ـ وللوقوف على دور السلطان عالمكير العلمي وتأثّره به وموقفه من العلماء مفصلاً ينظر : تاريخ الإسلام في الهند ص ٣٦٦ـ ٣٦٧ ، ٤٠٥ـ ٤٠٧ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة ص ٥٩ ، وتاريخ المسلمين في شبه القارة ٢٤٧/٢ـ ٢٤٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ـ ٣٢٣ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤ـ ٤٥ ، ورجال الفكر والدعوة ٣٣٨/٣ـ ٣٣٩ .

وعلى الرغم أن قوة الدولة المغولية في أواخر عهدها بدأت تتلاشى ، وهيبتها شرعت في التناقض والزوال ، وضاع أمنها في كثير من الأقاليم ، وكثر أعداؤها في الولايات وأطراف البلاد عقب وفاة عالَمْكِير ، إلا أنّ الحركة العلمية في البلاد لم يتوقف مسيرها ، وتباشير النهضة لم تخمد جذوتها ، لا في صدور العلماء ، ولا في أفكار الأمراء ولا في أقلام الكتّاب ، فها هو السلطان بَهادُرْشاه كان مولعاً بحبِّ رجال العلم ، ومحترماً لذويه ، ومقدراً لهم كل العناية والحفاوة ، وقد ظهر في عصره كثير من العلماء المميزين ، والفضلاء الكرام على مستوى الدولة ، واستمر التأليف العربي في العلوم الإسلامية ، واللغة العربية ، والفنون الأخرى من غير ضعف ولا مَلَلٍ ، وتواصلت جهود العلماء ونشاطاتهم في الحركة العلمية بمنتهى جهدٍ وبذلٍ ، واستمروا فيالمحافظة على العربية وآدابها فيعهد هذا السلطان دون أن تتأثر الصحوة الفكرية بهذه التغييرات السياسية ، والظروف الصعبة التي حدثت في كيان الدولة المغولية ، وتقلّبت أدوارها في سياسة حكمها .

وكذلك ظلّت العربية في التطور، وعمل العلماء في التصنيف بلسانها القويم ، وبلاغتها المحكمة في عصر السلطان محمد شاه رغم أنه كان منغمساً في المتعة واللذة، وغارقاً في الضعف والخمول، حتى ذهب بهيبة دولة المغول ، وعدل عن سِيرتها ، وخالف سلاطينها ، فلا تمت له بالعلم صلةٌ ، ولا تربطه علاقة به ، وبقي الأمر كذلك فترة من الزّمن ، وهو تحت رحمة الإنكليز ، وأوامرهم المفروضة عليه ، خاضعاً لقوانين الاستعمار ، ومجبراً على قبول حكمهمفي البلاد[٢٦٣] .

---

[٢٦٣]- ينظر الحياة العلمية في عهد هذين السلطانين ودور العلماء في الحركة الثقافية في : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٥ .

ثم جاء السلطان **بهادُرْ شاه الثاني** (ت ١٢٧٩ هـ)آخر سلاطين المغول الذي كان شاعراً مجيداً ، وأديباً بالغاً ، أحيا بشعره الجيد، وحسِّه المرهف سيرة أجداده العلمية ، ومجدهم الغابر، وحبّهم الشديد للأدب العربي.

ولما استحوذ الاحتلال البريطاني على شبه القارة الهندية، وقبض على سلطان الدولة المغولية ، ونفاه عن مملكته ، ووضعوه في حجرته ، وجردوه من كل ما تستقيم به الحياة ، ويتغذى عليه الفكر، ويتوهّج به العقل ، فكان بهادُرْ شاه وقتئذٍ يعبّرعن شعوره ـ وهو في المنفى ـ بأبيات ينقشها على جدران السجن مضطراً ، وكلمات يسوقها في خياله نثراً ، ويصور فيها تفكيره في تلك الفترة المؤلمة من حياته ، ونفسيته الحزينة، وقد ترك لنا نماذج من شعره وأدبه ، تنير غرفته المظلمة ، وتؤنس وحشته المفزعة .

وما انفكّ يقرض الشعر عن حاله ، ويتصور ما سيصيب قبره بعد وفاته بروائع من الشعر الحزين ، والوصف الأليم ، الذي تفيض به العَبَرات ، ويجيش به الخيال لتلك التعاسة التي لازمته آخر حياته ، وحجبته عن التعبير بأفكاره وخياله، حتى أدركته المنية في سجنه المظلم ، ووضعه المؤسف ، وبهذا السلطان وعاقبته الأليمةجاءت نهاية الدولة المغولية ، وانطوى تاريخها الثري ، ومجدها العلمي ، الذي كان من أزهى النهضة الثقافية وأبهى العصور الإسلامية[٢٦٤] .

---

[٢٦٤]ـ ينظر تأثر هذا السلطان بالأدب العربي وحياته في المنفى وأشعاره في : تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٨٢ـ ٥٨٣ ، ٥٩١ـ ٩٥٢، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٥ـ ٤٦ .

الفصل الثاني

النثر الفني العربي في شبه القارة الهندية

المبحث الأول

خصائص النثر الفني في شبه القارة الهندية

يبدو من الروايات التاريخية ، ومطالعة الكتب الأدبية أن النثر الفني العربي بدأ في العصر الجاهلي وكان نادراً ، ثم نقله أفراد من العرب الذين كانوا يكتبون ويقرأون ويتخذون الكتابة أداة لمعاملاتهم الاقتصادية غير أنها لم تكن شائعة إلى حدّ تمكنهم من تدوين الشعر والنثر في وثائقهم ومدوناتهم وقتئذٍ ، وإنما كان الشائع في جاهليتهم هو العناية بالشعر والخطب وإلقائهما في المحافل الخاصة ، والأسواق العامة للتفاخر بالأنساب ، والتباهي بالقبائل والتمجيد بالأوصاف[٢٦٥] .

[٢٦٥]ـ للأدباء كلام طويل حول النثر الجاهلي ووجوده ، ولهم مناقشات واعتراضات وللوقوف على المسألة بالتفصيل ينظر : بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ـ مصر . ـ د ط . ـ ٢٠١٢ م ، ص ٢٥٤ وما بعدها ، وزكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ـ مصر . ـ د ط . ـ ٢٠١٣ م ، ص ٣٥ وما بعدها ، ومقامات ويلورية ص ٤٦ وما بعدها ، وعيد حمد الخريشة ،

ولما ظهر الإسلام ، ذاع صيته في البلاد ، وبدأ النثر الفني يتطور ويزدهر في ظل الدين الإسلامي بالقرآن الكريم وحديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ حيث تركا بمعانيهما الجمّة ، ومادتهما الواسعة ، وألفاظهما الجزلة أثراً بالغاً في فنون الأدبية وأقسامه المتنوّعة ، وروحاً جديدة في فصاحة ألفاظه وتنقية أساليبه ، وبذلك أسهم الإسلام في اللغة العربية بفنّ أدبي له قيمة علمية ، وخُطْوة مميّزة من بين سائر العلوم التي اعتنى بها الكتّاب والأدباء فيما بعدُ ، واعتكف عليها الدارسون والعلماء.

وبهجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة المنورة شاعت الكتابة والقراءة في أحضانها ، وشرع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحثّ على تعلّمها وتعليمها ، وأصبحت لدولة الإسلام حاجة ماسة إلى الاستعانة بها ؛ حيث كتب بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرسائل العديدة إلى الملوك في مختلف البلاد ، ودوّن بها العهود والمواثيق ، ونشر بها الدعوة الإسلامية ، ودعا بها القوم والقبائل إلى الدين الإسلامي في جزيرة العرب وخارجها .

كما ضُمّتْ إلى الكتابة الإنشائية الخطابةُ ؛ حيث ازدهرت مكانتها ، واعتلى شأنها في عهد النبوة ، فاتُخذت منبراً للدعوة إلى الله ، والإيمان بما أنزل ، والاقتداء بمن بُعِث ، ومُنْطَلقاَ لهداية الخلْق ، وفرض العدالة ، وبيان الحق ، وبذلك تحولت الخطابة من خطبة مسجوعة ساذجة إلى خطبة مرسلة مطبوعة واسْتُخْدِمت أداةً بليغةً ، ووسيلة إعلامية لنشر الإسلام ، والعودة إليه .

وكذلك فعل الصحابة الكرام من بعده ـ عليه الصلاة والسلام ـ في خُطَبهم ورسائلهم، وكتاباتهم حين استخلاف الخلافة ، وتولية عهودهم وأوامرهم إلى أمرائهم

تطور الأساليب الكتابية في العربية ، دار المناهج ، عمّان ـ الأردن . ـ ط ١. ـ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م ، ص ٢٢ـ ٢٤ ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروّخ ٢٥٤/١ .

وقوادهم ، ووصاياهم لولاتهم وعمّالهم ، وإرشادهم لقضاتهم ومحاكمهم ، ووعظهم وتزهيدهم في الدنيا ، وتحريضهم على الجهاد والدفاع عن مقدساتهم ، ونحو ذلك مما يقتضي الكتابة في المواقف ، والخطابة في المناسبات ، وعلى هذا النمط استمرّ النثر الفني ، حتى شاع في الكتابة ، والخطابة ، وبدأ يرتقي ويتطور حيناً بعد حين متحلّياً بالألفاظ الرائعة التي اختارها القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومتأثراً بالأسلوب الأنيق الذي اتسم بسموّ الانسجام مع التعبير ، والتئام الأجزاء في التراكيب .

ولمّا كثرت مصالح الدولة ، وامتدّت ظلال الخلافة ، وفاضت موارد الفيء ، فاضطر المسلمون إلى تنظيم أمور الدولة ، وترتيب الإدارة ، والجيش والخراج ، وكان من ذلك إنشاء الدواوين ، فأوّل من دوّنها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، ثم اقتدى به غيره من الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ .

ثم عهد الخلفاء بالكتابة فيها إلى الموالين والمتعربين ، واستمرت الاستعانة بالكتّاب والعمّال منهم في الأمصار المفتوحة ؛ ولذلك استطاع هؤلاء الكتّاب أن يضعوا للرسائل قيوداً وحدوداً ، وبأن يصبغوها بمسحة أدبية يظهر فيها الجمال الفني ، والذوق الأدبي[٢٦٦] .

---

[٢٦٦] ـ وللوقوف على النثر العربي في صدر الإسلام وتطوره مفصلاً ينظر : تطور الأساليب الكتابية ٢٥، ٣٢ وما بعدها ، وخالدة أمجد ، النثر الفني في شبه القارة الهندية ، جامعة بنجاب ـ لاهور ، الكلية الشرقية ، باكستان ، ٢٠٠٦ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) ، ص ١١ـ ١٢ ، ٢٦ـ ٢٧ ، وأحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١٥. ـ ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣ م ص ١٤٢ ، ومقامات ويلورية ص ٥٧ وما بعدها ، والنثر الفني في القرن الرابع ص ٥٦ وما بعدها ، وعمر فروّخ ، تاريخ الأدب العربي ـ الأدب القديم ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ٤. ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م ، ٢٥٤/١ وما بعدها .

وفي العصر الأموي ظهر فجر نهضة النثر الفني في الأدب العربي ، وجاء تجويد القراطيس ، واستقامت طريقة الكتابة ، وازدهرت الثقافة اللغوية ، وارتقت الفنون الأدبية بأقسامها العلمية من الرسائل ، والخُطب ، والتوقيعات ، والقصص التاريخي والديني .

وكان من الفنون الأدبية التي شهدت ازدهاراً بارعاً في العهد الأموي الخطابةُ ؛ لكونها أداة للدعوة الإسلامية ، ووسيلة لتحقيق الأهداف من الفرق الفكرية ، والأحزاب السياسية ؛ ولذلك تعدّدت أغراضها، وتباينت مقاصدها ، فنرى منها الخطب السياسية ، والخطب الدينية ، والخطب الحربية ، وخطب الوفود ، وغيرها .

كما كان للرسائل نصيب من التطوير ، وحضور في أقلام الكتّاب والأدباء ، فقد اسْتُعْمِلت في أبواب كثيرة ، ومسائل متنوعة ، وبلغت علاها قوةً في أواخر العصر الأموي ، وذلكبأسلوب لم يخلُ من السجع اللطيف ، وأناقة اللفظ ، وفخامة التراكيب ، وابتعدت عن الإطناب ، والمبالغة ، والتنميق ، ويُعدُّ عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ) أول من وضع للكتابة أصولها وقواعدها بمعناها الفني ، ثم تقلّده مَنْ جاء بعده[٢٦٧] .

وفي العصر العباسي تقدّم النثر ، وتعدّدت طرقه ، وتنوعت فروعه ، نتيجةً لاتساع الدولة الإسلامية ، وقيام النهضة الثقافية في أرجائها ، وامتزاج المسلمين بالأمم الأخرى ، والاطلاع على إنتاجها الأدبي ، وتاريخها الفكري .

ولمّا جاء القرن الرابع الهجري ، وخامرَ العربَ داءُ العُجْمة ، واستشرى فساد اللحن ، أقبل الكتّاب إلى السجع المكلّف ، والمحسنات اللفظية ، والصناعة البديعية ،

---

[٢٦٧]ـ ينظر النثر الفني في العصر الأموي وتطوره وفنونه ونماذجه في : النثر الفني في القرن الرابع ١/٧٢ـ ٧٣ ، ومقامات ويلورية ص ٧٦ـ ٨١، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٧ـ ٢٨ .

والتزموا بذلك شغفاً ؛إذ قام أكثر الأدباء بالإسراف في توشية المصنفات ، وتزيين الكلمات بأنواع المجاز ، والبديع ، والاستعارات، وألفوا وسيلة لتقييد الخواطر النفسية، والحالات الانفعالية ، والأوصاف الخيالية، وبذلك كله أخرجوا النثر الفني من الغرض الأصيل ، والهدف المنشود ، وهو الأداء الحسن والبيان الجميل إلى الغرض الدخيل ، والعَرْض المملّ ، وهو التحلية والتجميل البديع[٢٦٨] .

وكانت للنثر الفني أقسام مختلفة في العصور الإسلامية ، وقد جاءت متعددة بحسب الزمان ، والمكان ، والاستخدام ، وهي معروفة عند الأدباء ومن أشهرها : الرسائل، والأمثال ، والمقامات ، والعهود والمواثيق ، والقصص والحكايات ، والخُطب ، والوصايا ، والتوقيعات[٢٦٩].

وأمّا في شبه القارة الهندية ، فظلت اللغة العربية طيلة العصر المُغُولي لغة العلوم الدينية ، والرسائل الإخوانية ، والحركة الأدبية ، فنبغ في أثنائه حملة الأقلام ، وروّاد الفكر بالبراعة والإبداع ، والتطوير والتجديد في كثير من الفنون العلمية والمسائل

---

[٢٦٨]- وللوقوف على النثر الفني في العصر العباسي وأدواره وخصائصه ينظر : النثر الفني في القرن الرابع ١٠٥ وما بعدها ، ومقامات ويلورية ص ٨٢- ٨٣ ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ١٥٦- ١٥٧، وتاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف ص ٥١٣ وما بعدها .

[٢٦٩]- و ((هي ما يعلّقه الخليفة ، أو الأمير ، أو الوزير ، أو الرئيس على ما يُقدّم إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال)) . تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ١٥٩ .
وللوقوف على هذه الأنواع للنثر الفني ينظر : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني - لشوقي ضيف ص ٥٢٦ وما بعدها ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروّخ ٣٧٣/١ وما بعدها ، والوسيط في الأدب العربي وتاريخه لأحمد الإسكندري وآخرين ص٨٧ - ٨٨ ، ١١١ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦٥ .

الموضوعية ، أثبتوا من خلالها تفوقهم في الكتابة والإنشاء ، وقدرتهم على التأليف والتصنيف ، ومواقفهم في التفكير والتحليل .

وبهذا استطاع علماء شبه القارة أن يضيفوا إلى المكتبة العربية الإسلامية ، والمراكز الثقافية أصنافاً من العلوم المختلفة ، اللغوية ، والدينية ، والعقلية ، والطبية ، والطبيعية ، وغيرها مما يساهم في التطوير العقلي والاتساع الفكري ، ويفتق القريحة الصافية والملكة الاجتهادية ، وينشط الذهن المتوهّج والعقل المنير ، ويوسّع الخيال الدقيق والشعور المرهف .

وكان من مشتقات تلك العلوم الأدبُ العربي بفنونه المتعددة من الخطب ، والمقامات ، والرسائل ، والقصص والحكايات ، والوصايا ، والمختارات الأدبية وغيرها من العناصر التي ازدهرت في شتى البلاد ، وأينعت ثمارها في المكتبة العربية .

وقد جاءت تلك المنتوجات العلمية بمجالاتها الأدبية، وعناصرها الفنية غنيةً بعذوبة العبارة، وخفة الروح ، وتنوع المادة ، ونصاعة اللغة ، ورشاقة اللفظ ، ومتانة التركيب ، ومتّصفة بالأسلوب العلمي العامر ، والإنشاء المسترسل الأنيق ، والسجع المحلّى المعتدل ، والتنميق المنسجم الجزل ، وهي تختلف في مسائلها العلمية وبحوثها الأدبية عن كتابات معاصريها في البلاد العربية ، ومراكزها الثقافية تارةً ، وتتفق معها تارةً أخرى .

ومما يدلُّ على غنى هؤلاء الأفذاذ من المفكرينوالأدباء ، واللغويين والبلاغيين إنتاجهم العلمي ، ولاسيما في مجال اللغة والأدب ـ وهو ما يخص بحثنا ههنا ـ وسائر فروعهما ، حيث نجد لهم مؤلفات جليلة ، وأفكاراً قيمة ، وأعمالاً رائعة ، وثروة أدبية زاخرة أظهر فيها مصنّفوها الملكات الكتابية ، والمواهب العقلية ، والروعة البيانية

للغة العربية وآدابها ، بعيدة في معظمها عن الأسلوب التقليدي ، والتحبير اللفظي ، والتكلّف المصنوع بتوشية الكتابة بالمحسنات البديعية ، وفنون التورية ، والموازنة ، والمطابقة ، والجناس ، والتزام السجع البارد ، ونحو ذلك .

ومن هنا أشار السيد أبو الحسن الندوي إلى دور علماء شبه القارة الرائد ، ونشاطهم المستمر في هذا الموضوع بقوله : ((وقد ظلت عناية علماء الهند اللغة العربية وآدابها مستمرة على مر العصور والأجيال ، ولم تكن هذه العناية تقليدية ـ سائرة على خط واحد من وضع المعاجم الكبيرة وتلخيصها ـ بل كانت لهم فتوح وابتكارات ، وزيادات تكاد تكون فريدة في المكتبة العربية العالمية الواسعة ...))[٢٧٠] .

ومازالت تلك المصنّفات الهندية ـ التي تُعدُّ المرجع الأصيل ، والعمدة في الفكر الأدبي ـ تفيض بكنوز من الفنون العربية والأدبية ، وتقدّم خدمات طريفة ، وإبداعات زاهرة ساهمت في تطوير النثر الفني ، وكتابته المتنوعة في كافة المجالات ، مراعياً فيها أصحابها فصاحة اللغة ، وترابط الأفكار ، وجزالة الألفاظ ، ورفعة الأذواق في تحرير المسائل ، ونقد المتون ، وإنشاد الشعر ، وتدوين تاريخ الأدب ، ودراسة مصادره، وفي هذا الصدد يتحدث الدكتور حافظ محمود محمد عبد الله عن الحركة الأدبية ، ويبين ازدهار النثر الفني في شبه القارة بقوله : ((إن هذا الفن ـ يعني النثر ـ ، وفنّ قرض الشعر يحتاجان إلى نوع معين من السيطرة على اللغة من ناحية ، وذوق أدبي رائع من ناحية أخرى ، وشبه القارة الهندية غنية بهذا النوع من الآداب ـ النثر ـ ، وكان إسهام العلماء فيه لا يقلّ عن إسهامهم في فروع الآداب الأخرى ما عدا نبوغهم في الحديث وعلومه ، فإن لأهل المنطقة شهرة واسعة في هذا الفنّ منذ بضعة

---

[٢٧٠] ـ نظرات في الأدب ص ٧٠ .

قرون))[٢٧١] ، وبمعناه صرّح الدكتور زبيد أحمد عن النثر الفني قائلاً : ((يتطلّب هذا الفنّ ، وفنّ الشعر نوعاً من السيطرة الكاملة على اللغة من ناحية ، وذوقاً أدبياً مرهفاً جميلاً من ناحية أخرى ، وبرغم العوائق التي ذكرناها والتي قامت في وجه إسهام الهند في الآداب العربية ، فإن هذا القطر قد قام بنصيبه كاملاً في موضوع النثر الفني بالقدر عينه الذي شارك به في فروع الآداب الأخرى، وبقدر ما أتيح له من الفرص أبلى في دنيا الأدب بلاءً حسناً))[٢٧٢] .

غير أن تلك الثروة الأدبية ، والكنوز المُفْحَمة بالاكتشافات العلمية ، والحقائق المثمرة لا يزال بعضها مجهولاً مهملاً يطمره الغبار ، وتتراكم عليه الأتربة ، وتتزاحم عليه الأرضة في أقبية السجون ، ورفوفالزوايا ، فهي بحاجة إلى من يزيل عنه الموانع ويدفع عنه الإهمال ليرى النور في سماء الدنيا ، والترحيب من أفئدة العلماء ، وهذا ما لفت انتباه الشيخ عبد العزيز الميمني إليه ذاكراً بقوله:((إن تاريخ اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية لا يزال مهملاً مهجوراً، كما أن مؤلفات العلماء المسلمين من أهل الهند بهذه اللغة العظيمة في أشد الحاجة إلى العناية والاهتمام به))[٢٧٣] .

وأمّا بعضها الآخر الذي وجد ضالته في أقلام كتّاب شبه القارة ، وبنات أفكارهم ، فقد دُوِّن بالملكة الأصيلة ، والعَرْض الخلّاب ، والجمال الفني ، والذوق السامي ، والقدرة على التعبير ، حتى نال اعترافاً وتقديراً من الجهات الأدبية ، ودراسة واهتماماً من أمراء البيان وأصحاب الإنشاء فدفع بهم إلى تتبّع الفنون الأدبية بالدراسة النقدية ، والتحليل العلمي من حيث الخصائص والملاحظات ، والأفكار والأساليب ،

---

[٢٧١]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٩ .

[٢٧٢]ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢١ .

[٢٧٣]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩ .

والموضوعات والمعاني الواردة في النثر الفني عند علماء شبه القارة ، وهو ما يأتي بيانه لاحقاً .

أولاً ـ النثر الفني ومفهومه :

النثر الجيد ضرب من الأدب ، وغصن من أغصانه ، وهو صِنْو الشعر وقسيمه ، فظهرت آثاره في أيام الجاهلية والإسلام ، وقد اسْتُعْمِل موضوعه في خطبهم ومحادثاتهم ، وأفراحهم وأتراحهم ، وسُبك مفهومه في قوالب ظريفة ، وصيغ أنيقة ، واسْتُخْدِمَ وسيلةً لإشباع العقل الإنساني ، والتفكير العلمي ، والنثر لا يعتمد في معانيه على الخيال والعاطفة ، ولا يثير الشعور والوجدان في ألفاظه كما يلتزم به الشعر ، ولا يقصد الوزن والقافية ولا يراعيهما في نظم الشعر وترتيب القصيدة ، وإنما غالباً ما يعتمد على الحقائق ، ويركن إلى صدق التعبير ، ويميل إلى التفكير الصحيح ، والمنطق المستقيم، ولقد عظم أمره ، واستفحل شأنه عندما اكتمل العقل الإنساني رشداً، وتقدم نموّهبازدهار الحضارة الإنسانية واتساع أفقها، وانتشار الدعوة الإسلامية وتمدّد قيمها[٢٧٤] ، وبعد هذا التقديم الموجز حول النثر سأتعرج إلى معنييه اللغوي والاصطلاحي ، قائلاً بما يلي :

---

[٢٧٤]ـ هذا وقد تطور النثر العربي عبر العصور والأجيال ومرّ بمراحل شهد من خلالها إبداعات فكرية وأساليب أنيقة لدى الكتاب والنقاد والمفكّرين في تاريخه الطويل غير أنني قد ألجمت القلم عن الخوض في تفاصيل مراحله وكيفية تطوره حرصاً على الوقت ، وتجنباً من الاستطراد . وللاستزادة من هذا الموضوع ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٠ وما بعدها ، ومقدمة مقامات ويلورية ص ٤٦ وما بعدها ، وتاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول ـ

أ ـ معناهُ اللغوي :

النَّثْرُ : نَثْرُك الشيءَ بيدكَ ترمي به متفرّقاً ، مثلُ نَثْرِ الجَوْزِ واللّوْزِ، وهو مصدر من : نَثَرَ يَنْثُرُ ـ وبكسر الثاء أيضاً ـ نَثْراً ونثاراً ، ونَثَّرَه فانتثَرَ وتناثَرَ ، وكذلك نَثرَ الحبَّ : إذا بذر، والنُّثَارَةُ والنُّثارُ: ما تناثر منه، وبهذا عرفه اللغويون في المعاجم ، وهو بعكس النظم الذي

بمعنى : الضمُّ والتأليف[٢٧٥] .

ب ـ معناه الاصطلاحي :

وأمّا النثر في الاصطلاح ، فقد عُرّف بتعريفات عدة ، منها :

ما ذكره بطرس البستاني قائلاً : فهو ((كلام منثور إذا كان لا يقيّده وزن وقافية ، وكلام منظوم إذا كان موزوناً مقفىً))[٢٧٦].

ويوافقه أحمد حسن الزيات في الجزء الأول من التعريف ، ويخالفه في الثاني إذ حدّده بقوله : ((النثر هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقوافٍ ، وهو على ضربين ، أما الضرب الأول ، فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ، وليست لهذا الضرب

لشوقي ضيف ٤٤١ وما بعدها ، وأدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٢٣٤ وما بعدها ، ٣٥٥ وما بعدها ، والنثر الفني في القرن الرابع ص ٣٥ وما بعدها .

[٢٧٥]ـ ينظر : لسان العرب ١٩١/٥ مادة (نثر) ، وتهذيب اللغة ٥٦/١٥ ، وتاج العروس ١٧٠/١٤ـ ١٧١ ، وإسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت . ـ ط ٤. ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ٨٢٢/٢ المادة نفسها.

[٢٧٦]ـ أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٢٣٣ .

قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحياناً من أمثال وحكم ، وأما الضرب الثاني ، فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن وبلاغة))[٢٧٧].

وكذلك يعبر عمر فروّخ عن معاني النثر بأنه كلام منثور خالٍ عن الوزن والقافية ؛ حيث يقول في هذا الصدد : ((أما النثر ، فهو الكلام الذي يجري على السليقة من غير التزام وزن ، وقد يدخل السجع والموازنة وتكلّفُ الكلام ، ثم يبقى نثراً إذا بقي مجرداً من الوزن))[٢٧٨] .

ويرى أحمد الإسكندري وأصحابه في تعريف النثر الاصطلاحي فرقاً بين إذا ما استخدم بمعناه العام أو الخاص ، فإنهم يقولون : الأدب عادة ينقسم إلى قسمين : شعر ، ونثر فني ، أما النثر ، فيراد به كل ما عدا الشعر ، فكلامنا في أحاديثنا وكتابتنا نثر ، ولكن كثيراً من النثر لا يُعْنى به الأدبُ إنما يعنى الأدب بالنثر المصقول المنمّق ، ولذلك خصّ هذا النوع باسم ، وهو النثر الفني[٢٧٩] .

وأمّا علماء الهند ، فلم تغب أقلامهم عن النثر والتعريف به ، والتطرق لحقيقته ، فها هو واضح رشيد الندوي الهندي أحد الرواد في الأدب العربي ، والعارفين بتاريخه ؛ إذ عرفه بقوله : ((النثر : هو كلام لا يتقيد بهما ، ـ أي بالوزن والقافية ـ ، وهو مجال عام للمتكلم ، وهو أقرب إلى العقل منه إلى العاطفة))[٢٨٠] .

وبعد تقديم آراء الأدباء المختلفة حول النثر الفني وحدوده ، سأحاول القيام بالمقارنة فيما بينها فأقول :

---

[٢٧٧]ـ تاريخ الأدب العربي ص ١٨ .
[٢٧٨]ـ تاريخ الأدب العربي ٤٤/١ .
[٢٧٩]ـ ينظر : المفصّل في تاريخ الأدب العربي ص ٩٥ .
[٢٨٠]ـ تاريخ الأدب العربي ص ٨٥ .

١ـ يلاحظ أن هؤلاء الأدباء في تعاريفهم متفقون على أن المنثور في كلام العرب يكون مجرداً عن الوزن والقافية ؛ لأنهما من خصائص المنظوم لا المنثور .

٢ـ يصرّح كلّ من أحمد حسن الزيات ، وأحمد الإسكندري وآخرون وهو ما يفهم أيضاً من كلام الندوي بأن النثر قد يكون عاماً ، وقد يكون خاصّاً ، فالعام : ينحصر فيما يدور في كلامنا المألوف اليومي، وهو ما يُسمّى بلغة التخاطب نقصد من ورائه تأدية ما في أنفسنا من المعاني، وتحقيق ما تقتضيه منافعنا من الأغراض ، وهذا لا يُعنى به الأدب ، وليس قسماً منه ، ولا تكون له قيمة أدبية ، وذوق بلاغي .

٣ـ أما واضح رشيد الندوي الهندي ، فيرى في النثر ترجيح الجانب العقلي على الجانب العاطفي ؛ حيث يُراعي فيه سمو الفكر ، والعقل السليم ، والإرشاد المستقيم ، ولا ينكر وجود الوجدان المرهف ، واستثارة الشعور في النثر الفني أحياناً فيما يبدو من تعريفه ، كما يرى أن مجاله أوسع للمتكلم وصدره أرحب لاستيعاب المعاني ، وتقرير الفنون ، وتعدد الأغراض .

٤ـ يشير عمر فروّخ إلى أن النثر بمعناه الفني قد يدخل إليه ألفاظ السجع في الجمل ، أو تكلّف الكلام في العبارات ، فتحل أحياناً جمل موزونة ومسجعة .

ثانياً ـ خصائصه الفنية :

ولقد تميز النثر الفني في شبه القارة الهندية بمميزات فنية ، واتصف بخصائص علمية ، وهي في جملتها كانت موافقة للنثر الإسلامي عبر العصور المختلفة إجمالاً لا تفصيلاً، وذلك لأن تلك القارة كانت تشكل جزءاً من العالم الإسلامي بمعتقداتها الدينية، وثقافتها العربية والإسلامية .

ومع هذا فإن بصمات علمائها كانت بارزةً ، وأقلامهم حاضرةً ، ومشاركتهم فعالة، ومساهمتهم ملحوظة في كثير من الفنون الأدبية ، وكتابة موضوعاتها ، وعلى الرغم من تأثر مفكريها ونقّادها بأساليب الكُتّاب العرب وأدبائهم، واستعارة طرقهم وألفاظهم، غير أنهم تميزوا في الأدب العربي بأسلوبهم العلمي التحليلي ، وإنشائهم المسترسل الأصلي ، وابتكارهم الأدبي الإبداعي ، وتحرّروا من المحسنات اللفظية ، والتكلفات الصناعية من السجع والبديع وغيره من الفنون البلاغية التي كانت تطغى على الحركة الأدبية في العالم العربي والإسلامي ونوافذها الفنية ، وتقريباً للفهم ، وإحاطة بالموضوع أسوق للقارئ أبرز الخصائص للنثر الفني ، ملخّصاً فيما يلي :

أ ـ موضوعاته :

لقد اتصفت موضوعاته بمواصفات علمية ، وإليك أهمَّها :

١ ـ الدعوة إلى العقيدة الإسلامية والتوحيد الخالص ، واتباع الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وترسيخ قيمها وأهدافها في الأذهان ، والدفاع عن مقدّساتها ، ومحاربة البدع والخرافات المخالفة للدين الإسلامي، ومقاومة الانحطاط الخلقي والاجتماعي ، وهذا الموضوع كثيراً ما لُوحِظ في أقلام الكُتّاب والناثرين لدى كتاباتهم في النثر الأدبي ، ولا سيما في الخُطب والرسائل الإنشائية[٢٨١] .

٢ ـ الحفاظ على نظام الحكم الإسلامي ، ووحدة كيانه ، وتطبيق أحكامه ، وذلك من خلال إبداء النصائح للسلاطين المغول ، وأركان الدولة بالموعظة الحسنة ، وإرشادهم إلى السياسة الشرعية بالحِكَم الرشيدة، والدعوة إلى الجهاد في عهد الفوضى السياسية للقضاءعلى المتمردين وملوك الطوائف ، ولاسيما في أثناء احتضار الدولة المغولية وتدهور أوضاعها السياسية وحدوث اضطرابات داخلية في سياسة الحكم

[٢٨١] ـ ثمة نماذج كثيرة في النثر الفني وأقسامه ، ولدى دراستنا عن الموضوع سيأتي بعضها لاحقاً .

بالبلاد ، وهذا ما تجلّى في مواقف علماء شبه القارة ودعاتهم في العصر المغولي الإسلامي ، ولهم شواهد وأمثلة كثيرة ، ولعلّ من أبرزها ما جمعه حجة الله الدهلوي في رسائله السياسية ؛ حيث يقول في إحداها مخاطباً النواب نجيب الدولة ، وداعياً له : ((يُخيَّل إلينا أن عمل تأييد المِلّة الإسلامية ونُصرة الأمة المرحومة في هذا العصر سوف يتحققُ على أيديكم الذي هو مصدر هذه الأعمال الخيِّرة ووسيلُتها ، فلا تدعو الوساوس والهواجس تتمكّن من قلوبكم ، وستتحققُ ـ إن شاء الله تعالى ـ جميع الإنجازات وفق رغبة الأحباب ورضاهم))[٢٨٢] .

وفي رسالة أخرى يدعو فيها السلاطين إلى الجهاد بقوله : ((أقول للملوك ، أيُّها الملوكُ ، المَرْضِيُ عند الملأ الأعلى في هذا الزمان أن تَسلُّوا السيوف ، ثم لا تُغْمدوها حتى يجعل الله فُرْقاناً بين المسلمين والمشركين ، وحتى يلحق مَرَدَةُ الكفار والفساق بضُعفائِهم لا يستطيعون لأنفسهم شيئاً ، وهو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقاتِلُوهُمْ حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ للهِ فإنِ انتَهوا فلا عُدْوانَ إلّا على الظالِمِيْنَ﴾[٢٨٣] ، فإذا ظهر الفرقان ، فرضاء الملأ الأعلى أن تَنصُبوا في كل ناحية ، وفي كل مسيرة ثلاثة أيام وأربعة أيام أميراً عادلاً يأخذ للمظلوم حقّه من الظالم ، ويقيمُ الحدودَ ...))[٢٨٤] .

٣ ـ العناية بالخطابة الدينية والاهتمام بشأنها في كثير من المناسبات الشرعية والوقائع المهمة ، والأمور الجسيمة ، فقد أظهر علماء شبه القارة الهندية في العصر المغولي براعتهم فيها ، وقدرتهم عليها ، وتمكّنهم منها ، وكان ذلك بالعربية الفصيحة في أغلبها ، والبلاغة القوية ، والأساليب الرشيقة ، وضربوا لذلك أروع أمثلة ، وأبلغ

---

[٢٨٢] ـ رجال الفكر والدعوة ٤/٦٤٧ـ ٦٤٨ .

[٢٨٣] ـ سورة البقرة : الآية /١٩٣/ .

[٢٨٤] ـ رجال الفكر والدعوة ٤/٦٦٤ .

خطب في تلك البلاد بمصنفاتهم الأنيقة في الأسلوب والتعبير ، والمتقنة في اللغة والمضمون ، وكان من تلك الخطب الكثيرة خطبة الصديق حسن خان القنّوْجي لعيد الفطر فقال : ((الحمد لله جعل لنا في الإسلام عيداً ، وأجزل لنا فيه فضلاً ومزيداً ، ومَنّ علينا بإكمال شهر رمضان ، ثم رزقنا شهراً جديداً ، اسْتَعْبدنا فيه بالصيام والقيام ، وأمرنا ـ سبحانه ـ أن نشكره وكيف لا يُشكر... أما بعد: أيها الناس، إن يومكم هذا من أشرفالأيام ، أوجب الله فيه الفطرَ، وحرّم فيه الصيام ، يباهي الله بحكم فيه الملائكة الكرام ، يُعتق الله فيه بعدد من اعتق في شهر رمضان ، زيادة في الفضل والإكرام ...))[٢٨٥]، وغيرها كثير ، ولها نماذج متعددة في مظانها المطولة[٢٨٦] ، وهي تدل في مجملها على علو شأن أصحابها في العربية وآدابها ، ومهارتهم في فنونها ، وإتقانهم لأساليبها.

٤ ـ تعدّد موضوعات النثر الفني في شبه القارة ، وتنوّع أغراضها في الفنون الأدبية من المقامات ، والرسائل ، والمكتوبات ، وغيرها ، واتخاذها مكانة القصائد الشعرية وخصائصها بعد مرور الزمن ومختلف العصور .

وهذه الأغراض الجديدة للكلام المنثور في العصر المغولي ـ وإن كان بعضها قديماً ـ تتضمن أشكالاً من الموضوعات، كالمدح ، والهجاء ، والتعزية، والرثاء ،

---

[٢٨٥] ـ محمد صديق بن حسن خان القنوجي ، الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية [الدوحة] ، قطر . ـ ط ١ . ـ ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م ، ص ٢٢٩ .

[٢٨٦] ـ ينظر ـ مثلاً ـ : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٥ـ ١٩٨ ، ومحمد عبد الحي اللكنوي الهندي = مجموعة الخطب اللكنوية المسمى باللطائف المستحسن بجمع خطب شهور السنة ، اعتنى بجمعه وتقديمه نعيم أشرف نور أحمد ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ـ باكستان . ـ ط ١ . ـ ١٤١٩ هـ ، ص ٦ وما بعدها ، والموعظة الحسنة ص ٨٠ وما بعدها .

والنصح ، والعتاب، والاعتذار، والاستعطاف ، والوصف ، والصداقة ، والحث على الصبر، وغير ذلك مما يتعلّق بالمجتمع الإنساني ، أو التهذيب الروحي ، أو التقويم الأخلاقي .

وهذا النمط من النثر ـ في الواقع ـ وُجد في القرن الرابع الهجري لدى كُتّاب العصر وقتئذٍ ؛ إذ نقلوا بعض الموضوعات التي كانت خاصة بالمنظوم وأدخلوها إلى المنثور ، كالغزل ، والمديح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ، ونحوه[٢٨٧] ، وظلت هذه الظاهرة مستمرة في الكتابة الأدبية والحركة الثقافية إلى يومنا الحاضر .

ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك رسالة الإمام الرباني السَّرهنِدي إلى السيد المير محمد نعمان يدْعوه فيها إلى التحلّي بالصبر والإيمان بقضاء الله وقدره قائلاً : ((الحمد لله رب العالمين في السراء والضراء ، وفي العافية والبلاء فعل الحكيم ـ جل سلطانه ـ لا يخلو عن حكمة ، لعل الله يريد به الصلاح ﴿ وعَسى أنْ تكرَهُوا شيئاً وهوَ خيرٌ لكم وعَسى أنْ تُحبُّوا شيئاً وهوَ شرٌ لكم واللهُ يعلمُ وأنتم لا تَعْلَمُون ﴾[٢٨٨] ، فاصبروا على بلائه ، وارضوا بقضائه[٢٨٩] ـ سبحانه وتعالى ـ ، وأثبتوا على طاعاته ، واجتنبوا عن معاصيه ـ سبحانه ـ﴿ إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعُون ﴾[٢٩٠] ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وما أصابَكم مِنْ مُصِيبةٍ فَبِما كَسَبت أَيدِيكم ويَعْفو عَنْ كَثير ﴾[٢٩١] فتوبوا إلى الله ـ سبحانه ـ واستغفروا عما كسبت أيدينا ، واسألوا العفو والعافية من الله ـ سبحانه ـ ، فإنه يحب العفو ، واجتنبوا عن البلاء ما استطعتم ، فإن الفرار مما لا يطاق من سنن

---

[٢٨٧] ـ ينظر : النثر الفني في القرن الرابع ص ١٠٧ـ ١١٠ .

[٢٨٨] ـ سورة البقرة : الآية /٢١٦/ .

[٢٨٩] ـ في المطبوعة : بضائه ولعل الصحيح ما أثبته .

[٢٩٠] ـ سورة البقرة : الآية /١٥٧/ .

[٢٩١] ـ سورة الشورى : الآية /٣٠/ .

المرسلين ـ عليهم الصلوات والتسليمات ـ ، ونحن في عين البلاء مع العافية ، فلله ـ سبحانه ـ الحمد والمنّة ، والسلام عليكم وعلى سائر من اتبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى عليه ، وعلى آله الصلوات والتسليمات العلى))[٢٩٢] .

٥ـ كثرة الاعتماد على النثر الفني بفنونه الأدبية ، وتحوّله إلى أداة لتبليغ الرسالة ، ووسيلة للدولة المغولية ، ولسان للحضارة الإسلامية ، فبه كانت تصدر الأحكام من السلطة العليا ، وتُكتب العهود والمواثيق ، والوصايا ، وتُبلّغ الأوامر والقوانين ، وتُحرّر الرسائل والمكتوبات ، وتلقى الخطب والمواعظ ، وغير ذلك من المجالات الفكرية التي فيها ما يقضي به العقل ، أو يوحي إليه القلب ، أو يشير إليه الخيال ، وهذا لا يخفى على كل من يتصفّح منثور العصر المغولي ، ويتأمّل في أقسامه فيُدرك المدَّعى ، ويقف على المُبْتَغى .

٦ـ اصطباغ الحركة الأدبية العلمية في شبه القارة بصبغة شيعية في بعض الفنون، وذلك نتيجة لازدياد النفوذ الشيعي وتمدّد جذوره في ذلك العصر، وظهوره في النواحي الثقافية والفكرية والحضارية، حتى استطاعت أن تترك آثارها على المناهج الدراسية ونظمها التعليمية، وهكذا بدأ يتوسّع نطاق التشيع وتأثيرها على الفكر العلمي والديني يوماً بعد يوم ، وينعكس على النثر الفني ، ولاسيما منذ دخول الملك هِمَايُون إلى إيران واستعادة الدولة الهندية دورها السياسي بمناصرتها وتأييدها ، ثم بمقدم الأمير فتح الله الشيرازي ، والحكيم علي الكيلاني في عهد الملك أكبر المغولي إلى أرض البلاد وتأثيرها في عقول أبنائها بأفكارهما الشيعية ، ونشاطاتهما المؤثرة في

---

[٢٩٢]ـ أحمد الفاروقي السرهندي ، المنتخبات من المكتوبات ، مكتبة الحقيقة ، اسطنبول ـ تركيا . ـ د ط . ـ ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م ص ٣٩٦ـ ٣٩٧ ، وللوقوف على شواهد أخرى في المسألة ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٧ـ ٢٠٩ ، والكتاب السابق فيه نماذج أخرى وهي كثيرة فلينظر من أوله إلى آخره .

الأذهان ، وبذلك تمت السلطة العليا لإيران على الهند وتغيّر كثير من مناهج الدراسية وطرق التعليم بسبب هذه التغيرات السياسية التي طرأت على سلطة البلاد[٢٩٣].

ب ـ معانيه:

شملت معاني النثر الفني في شبه القارة على عدّة أمور ، كان من أبرزها ما يلي :

١ ـ استمداد المعاني في النثر الأدبي من قيم الإسلام ، ومبادئه العامة، ومصادره الأصيلة ، وحكمه البليغة خاصة ، ومن تاريخ الأدب العربي ومصادره ومعارفه بشكل عام ، وكانت تلك المعاني لدى علماء شبه القارة تُسْتفاد من تلك المصادر ، وتستمدّ القوة من مدلولاتها في معظم فنون الأدب العربي وكتابته الإنشائية .

٢ ـ امتيازها بالفكر العميق ، وقوة البيان ، وحصافة الملكة ، وشدة البلاغة ظهرت معالمها في أقلام علماء شبه القارة ، وانكشفت حقيقتها في مصنفاتهم ، وذلك بفضل عقولهم النيرة ، وأذهانهم الصافية في البحث العلمي الجاد ، والفكر الأدبي الأصيل ، وفي ذلك أمثلة رائعة أوردها نوابغ شبه القارة في كتبهم الأدبية ، وسأقدِّمُ نموذجَيْنِ للاستدلال بهما على دقة المعنى ، وحسن الاختيار .

فالأول : ما كتبه الشيخ فضل الحق الخير آبادي وهو يتحدث عن أزمته السياسية مع الحكومة الإنكليزية التي سجنته ونفته قائلاً : ((قد طالَ اغترابي ، واكتيئابي ، واضطرابي ، واشتدَّ ارتغابي في إيابي إلى داري ، وأهلي ، وجيراني ، وأحبابي ، ورأيتُ موثقَ الإيمانِ موثقاً بالأيمانِ ، رجعتُ إلى أهلي ، ووطني ، وداري ، وسكني، مطمئناً بموثقِ الإيمانِ غافلاً عن أنه لا أيمانَ لمن ليسَ له الإيمانُ ، وأنه يمينٌ بعد اليمينِ مَنْ لا يتدينُ بديني ، ولا يخافُ يومَ الدينِ ، فبعدَ أيامٍ دعاني من معاني عاملٌ

[٢٩٣]ـ ينظر : رجال الفكر والدعوة ٣٨٨/٤ـ ٣٨٩ .

نصرانيٌّ ، فحسبني وعفاني ، وحزنني يوعناني ، ثم أرسلني مأسوراً إلى قاعدةِ الملكِ التي صارتْ دارَ الهلكِ))[٢٩٤] .

نرى في هذا النص من كلام فضل الحق الخير آبادي بأنه من أعلى النموذج في النثر الفني، إذ يبيّن السجين حاله المصاب ، وواقعه الحزين بألفاظ رائعة ومقتبسة من آيات القرآن الكريم مستأنفاً بها ، ويسلّي نفسه بإيراد الألفاظ المتقاربة، نحو :((اغترابي ، واكتيئابي ، واضطرابي، وقاعدة الملك ، ودار الهلك ..))[٢٩٥]. وهذه الكتابة في النص وإن كانت منقعة بالكلام المسجوع ، والألفاظ المتكررة ، لكنها تدلُّ على حسن الأسلوب ، وقوة الدلالة في الفن النثري .

والنموذج الثاني : هو ما كتبه عباس علي اللكهنوي (ت ١٣٠٦ هـ) في الإنشاء بقوله : ((فلا يخفاك أيها الودود الصادق ، والخل الموافق ، والرفيق الوثيق ، والحبيب الشقيق ، أنه قد تكاثر في بلادنا المحن والفتن ، وتعاقب على القلوب الشجن والحزن ، وحلت بتاج المصائب والنوازل من تتابع الخاويف والزلازل ، والأهوجة الحمراء والصفراء ، والأمراض والأوباء ، ونزول كل بلية فقماء تضيق بها ساحة الغبراء والخضراء ، وابتلينا بالإملاق والقتور في الرزاق ﴿ والتفّتِ[٢٩٦] السَّاقُ بالسَّاقِ ﴾ ،﴿وظنَّ أنَّه الفِراقُ﴾[٢٩٧]))[٢٩٨] .

---

[٢٩٤]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٢٠ .

[٢٩٥]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٢٠ .

[٢٩٦]ـ في الأصل المنقول عنه (فالتفت) بالفاء، والصحيح : ما أثبته ، كما ورد في سورة القيامة : الآية /٢٩/.

[٢٩٧]ـ سورة القيامة : الآية /٢٨/ .

[٢٩٨]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٢٠ ، وينظر : الأدب العربي في شبه القارة

وهنا نجد بأن عباس اللكهنوي جاء بألفاظ متقاربة ومترنمة في هذه القطعة الإنشائية مع السجع المقبول ، مثل : الصادق ، الموافق ، الرفيق ، والوثيق ، المحن ، والفتن ، والشجن والحمراء والصفراء ،والأوباء ونحو ذلك[٢٩٩] وهي تدل على رشاقة الألفاظ وأناقتها ، وحسن التنسيق ، وتنميق العبارات ، واختيار الأسلوب ، وجودة التعبير في الفن الإنشائي للأدب النثري العربي .

٣ ـ ترابط المعاني ، وترتيب الأفكار ، ودقة التنظيم ، وإتقان البناء مما يدل على براعة الأدب العربي في شبه القارة ، وابتكاره الزاهر ، ودوره الريادي في الإنتاج الفني ، والإبداع الجميل ، ويتأكّد ذلك بالتفحّص الدقيق ، والنظرة الثاقبة لما دوّنوه في بطون الكتب ، وصفحات التاريخ ، وتركوها لمن خلفهم ، من الآثار المحرّرة ، والفنون الجليلة بأنواعها العديدة في شتى المجالات .

ومن شواهد ذلك في الكتب الأدبية لعلماء القارة ما أصدره الإمام الرباني السرهندي إلى الحاج الملا محمد اللاهوري في بيان مذمة علماء السوء فقال في مكتوبه : ((إن محبة الدنيا من العلماء ورغبتهم فيها كلف على وجه جمالهم وإن كان يحصل منهم فوائد للخلائق لكن لا يكون علمهم نافعاً في حقهم وإن كان تأييد الشريعة وتقوية الملّة مرتباً عليهم ، لكن لا اعتبار على ذلك ، فإن التأييد والتقوية يحصل من أهل الفجور ، وأرباب الفتور أحياناً ، كما أخبر سيد الأنبياء ـ عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات عن تأييد الفاجر ...))[٣٠٠] .

الهندية ص ٧٨ .

[٢٩٩] ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٢٠ .

[٣٠٠] ـ المنتخبات من المكتوبات ١٣ .

٤ ـ خلط المعاني بالأفكار الفلسفية ، والمذاهب العقلية ، والحضارات الشرقية من الهندية والفارسية وغيرها ، وتداخل المفاهيم والعلوم بعضها ببعض ، مما استدعى إلى إيجاد معانٍ جديدة ، وثقافة ممزوجة بين الحضارات ، والعلوم الإنسانية والطبيعية وتأثيرها على الأدب العربي وتنويع ثقافته وأسلوبه ، وذلك نتيجة لهذه المعاني الجديدة التي وُجدت عن طريق ترجمة العلوم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، واستعمالها بحسب العلوم والفنون وفق مطلبات المادة المقرّرة .

وكان لهذه التطورات في الأدب الفني العربي أثر واضح في الكتابة للعلماء ، وتأثّر ملموس في المعنى منظوماً ومنثوراً للأدباء .

ومن أمثلته ما أورده حسن علي اللكهنوي اللندني في إحدى رسائله الإنشائية ، بقوله واصفاً أوربا وإنكلترا جغرافياً وصناعياً وثقافياً : ((فليعلم أن أرض الإفرنج أرض واسعة جداً تنقطع إلى المحيط الغربي ، وتتصل بأقاصي الشمال ، وفي شرقها بلاد اليونان والروم ، وفي جنوبها الخليج الأعظم المسمّى بخليج المغرب ـ يقصد به البحر الأبيض المتوسط ـ ثم إن أرض الإفرنج تسكنها أمم عظيمة قديمة تختلف لغات الأكثر منهم أشد الاختلاف، وهو زهاء عشرة طائفة لكل منهم سلطان كالإنكليس[٣٠١] ، والفرانسيس ، والألمان ، والولنديز ، والأسبانيون[٣٠٢] ، والبرتكيس ، والدينمارك ، والروس ، والسويد ، والإيتاليان ، وملتهم قاطبة نصرانية ، إلا أن فرقاً منهم قد غلبهم الميل إلى طريقة الحكماء الطبيعين من قرب المدن المذكورة ، أي من قرب ثلاثمائة سنة ، والروس أوسعهم مملكة ، لا يقاس بها كل الهند ، والإنكليس[٣٠٣] أقربهم إلى

---

[٣٠١] ـ هكذا ورد في المصدر المنقول عنه ، والمعروف بالزاي : انكليز .

[٣٠٢] ـ كذا في النص المنقول عنه ، والصحيح : والأسبانيين .

[٣٠٣] ـ كذا في النص المنقول عنه ، والمعروف إنكليز بالزاي في آخره .

طريقة الحكمة علماً وعملاً ، وأشدهم غلبة وشوكة في البحر ... وقد شاعت العلوم اللسانية ، ومعرفة اللغات القديمة في عامة بلاد الإفرنج ، كالعربية ، واليونانية ، والرومية التي تسمّى ليتن ، وأكثر كتبهم بها ...))[٣٠٤] .

وهذا الأديب في وصفه لدول أوربا ، وغيرها من الدول ، وحديثه حول ثقافتها وجغرافيتها وقد اختار لنفسه بهذا الأسلوب طريقة كتابة النثر المرسل الطبيعي السهل دون الكتابة المسجوعة المتكلفة التي كانت سائدة في عصره ، ومتغلّبة على أقلام كثير من الأدباء والمفكرين حينئذٍ ، وخاصة عند الشرواني اليميني ، وأمثاله المتبعين أسلوب الحريري ، كما قال عبد الحي الحسني ونقل عنه في إحدى رسائله[٣٠٥] .

ويبدو بأن الأديب حسن علي اللكهنوي اللندني يقصد من وراء كلامه ضرورة تغيير المسلمين مناهجهم في الحياة نحو الأفضل والاعتماد على الذات ، والإبداع في الإنتاج ، والاستقلال في الرأي ، والتمسك بالقيم ، والإشارة إلى المساحة الجغرافية لآوربا ، ولا يرى مانعاً من أخذ المنافع الواردة من حضارة الغرب وثقافته في مجالات الصناعة ، والثقافة ، والعلوم التجريبية ، وقد تكون هذه الرؤية دفعت به إلى كتابة هذه المقالة في الموضوع[٣٠٦] .

٥ ـ ازدياد المعاني في الأدب العربي بشبه القارة وكثرتها ، التي انتشرت نتيجة لإفرازات الحياة الإسلامية الواقعية ، وتجسيداً لمشاهدها الحية المشتمل عليها نظام الحكم حينئذٍ من فتوحات وانتصارات ، وأحداث سياسية واجتماعية ، وحياة علمية وفكرية ، وفضلاً عن هذا أن أفكاراً جديدة دخلت إلى الثقافة العربية والإسلامية ،

---

[٣٠٤]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٨ـ ٢١٩ .

[٣٠٥]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/٩٥١ـ ٩٥٢ . .

[٣٠٦]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٩ .

ومصطلحات وليدة وردت من الحضارة الشرقية والغربية مما أسهم في زيادة المدلولات ، وتأثر علماء شبه القارة بها والاقتباس منها في معظم النواحي العلمية والفكرية ، و الأدبية ، والعقلية ، واستعملوها في حياتهم الثقافة في العصر المغولي فوق ما كان عليه الأمر في العصر الإسلامي .

٦ـ الاعتماد على الأقيسة المنطقية وضروبها في المعاني والتعويل على التعليل العقلي للأحكام الفكرية ، والمذاهب الفلسفية في المقاصد ، وكان للغة العربية وآدابها من الشعر ، والنثر ، واللغة ، والبلاغة ، وغيرها من العلوم عند علماء شبه القارة سهم فيها وموقف منها قراءةً ومطالعةً ، تحقيقاً وتأليفاً ، نقداً واعتراضاً في كثير من المسائل العلمة والموضوعات الأدبية ، ولعل نظرة خاطفة من القارئ إلى أمهات كتبهم المصنفة في ذلك ، وجولة استطلاعية بين تراثها في المكتبة الهندية تقودك إلى مصداقية القول ، وحقيقة المذهب .

ج ـ ألفاظه :

كان للألفاظ عند الأدباء في شبه القارة الهندية خصائص ، وهي بمجملها تتبلور فيما يلي:

١ـ استخدامها في أماكنها المناسبة في تركيب الجمل ، وسوق العبارة ، وتكوين الفكرة .

٢ـ اصطباغها بصبغة بلاغية ساحرة، ومزيّنة برشاقة أنيقة باهرة تعطي للجملة ذوقاً رفيعاً ، وفنّاً رائعاً ، وجمالاً بديعاً .

٣ـ مألوفة الاستعمال ، سليمة البنيان ، بعيدة عن الغرابة ، والابتذال ، والنفرة .

٤ـ دقيقة الاختيار، فصيحة اللغة ، متينة الهيئة، قوية البنيان ، متقنة الجودة، غزيرة الدلالة.

٥ـ سلامتها من العيوب اللغوية ، والأخطاء الشائعة ، والعامية المنتشرة، والصيغ المنفِّرة، والتراكيب المعقّدة بشكل عام وإن كانت أحياناً لا تخلو من الغرابة والندرة[٣٠٧].

وهذه الخصائص للألفاظ هي التي استعملت في شبه القارة الهندية ، واستمرت بها الحياة الأدبية في مسيرتها الفنية ، وتطورها التاريخي ؛ وبها كتبت الأساليب الأصيلة والأذواق اللطيفة ، والابتكارات الفريدة في الأدب العربي والثقافي .

د ـ أساليبه :

تعددت أساليب علماء شبه القارة في الكتابة الأدبية إلى عدة أشكال ، فكان من أشهرها ما يلي :

١ ـ تمتّع أسلوب الأدباء والكُتّاب بقوة البيان ، ودقة اللغة ، ومهارة الكتابة ، وجمال السبك في تراكيب الجمل ، وبلاغة العبارات ، وهو ما كان لدى علماء شبه القارة قائماً في الكتابة الأدبية والمصنّفات الفنية ؛ حيث جاءت رائعة في البلاغة والفصاحة ، أنيقة في المتانة والجزالة ، ولعل ذكر مثال من مقامات أبي بكر بن محسن الباعبود الهندية يبصر القارئ بذاك الأسلوب ويدلّه على براعة اللغة ، فيقول في إحدى مقاماته ، التي تُعْرف باسم: بلدة مُلْتان في باكستان : ((روى ناصر بن فتاح،

---

[٣٠٧]ـ وهذا ما أشرت إليه عند دراسة أساليب النثر الفني في شبه القارة الهندية .
وللوقوف على الأمثلة في الموضوع ينظر : النصوص والشواهد التي سبقت في بحث خصائص النثر الفني في شبه القارة.

قال : عشقتُ أهيفَ الجوانحِ أصيدَ للقلوبِ من الجوارحِ ، فأحرمني عشقهُ لذيذَ المنامِ وهني الشرابِ والطعامِ ، وفارقتُ بسببهِ الأهلَ والأوطانَ ، وصرتُ أنتقلُ في البلدانِ ، وأتوسّلُ بالأحياءِ ، وأستوصفُ الأطباءَ حتى جئتُ إلى طبيبٍ حاذقٍ ، بيدَ أنه من الدينِ مارقٌ ، فأخبرتُه بدائي ، وسألتهُ عن دوائي ، فأعيتهُ الحيلةُ ، ولم يجدْ إلى العلاجِ وسيلةً ، وقالَ : ليسَ لهذا الداءِ دواءٌ إلا اللقاء ، ولا تفيدُ فيه العزائمُ والرُّقى ، ولا الحكماءُ ، ولا حذقاً فخرجتُ من عندهِ وراحتي صفرٌ من الراحةِ ، وعدتُ إلى ما كنتُ عليه من السياحةِ، ولم أزلْ أسألُ العلماءَ ، واستوصفُ الحكماءَ، ثم إني سمعتُ بمليحٍ قد أفرغَ في قالبِ الكمالِ ، وأخجلَ البدرَ والهلالَ ، له جيدٌ كجيدِ الظباءِ ...))[٣٠٨] .

وهذا المقتطف من النص الطويل الذي كتبه أبو بكر باعبود في مقامته قد قدّمه بطراز جميل ، وأسلوب رائع في النثر الفني ، وراعى في استعماله الألفاظ المتقاربة ، والكلمات المناسبة مخارج الحروف مثل : الأوطان والبلدان ، الأحباء والأطباء ، الدواء واللقاء ، الجوانح والجوارح ، العلماء والحكماء ، وغير ذلك من الكلمات التي تدل على حسن الحبكة في النثر ، وأناقة الطراز في الكتابة ، ومثل هذا النمط كثير يجده كل من يتأمّل في تلك المقامة المذكورة بطولها[٣٠٩] ، ويعكف على دراستها .

٢ ـ استعمال الصور البلاغية في العبارات النثرية ، كالاستعارات والتشبيهات من البديع والمعاني والبيان وغيره من فنون البلاغة العربية ، وضرب أجود الأمثلة ، وأحسن النماذج بتراكيب رائعة ، وجمل نادرة يتذوقها القارئ بأخيلة رقيقة ، وتصورات خلّابة ، واستعارات جذّابة ، وتشابيه محبّبة .

---

[٣٠٨] ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٨ـ ١٩٩ .

[٣٠٩] ـ ينظر تلك المقامة بتمامها لأبي بكر باعبود مع التعليق عليها لبعض الفقرات في : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٨ـ ٢٠٠ .

وهذا النوع من الأسلوب للنثر الفني يشير إلى متانة العبارة ، وقوة البلاغة ، والسيطرة على الكلام، والقدرة على اللغة ما يجعل الناثر بارعاً جيداً له إحساسات رقيقة وعواطف أنيقة ، وهو ما كان حياً في الأسلوب الأدبي لدى علماء شبه القارة ، وملحوظاً في الكتابة الفنية عند أدبائهم .

ومن أمثلة ذلك ـ وهي كثيرة ـ ما ساقه محمد باقر آكاه ـ توصيفاً ومشابهة وتشبيهاً ـ في مقاماته عن محروسة[٣١٠] أَيْلُوْرْ، ويصفها مستعملاً فيه فنّ الجناس قائلاً : ((فإنَّها بينَ البُلدانِ ، كالعَينِ في الإِنْسَانِ ، أو الإِنْسانِ[٣١١] في عَينِ الأَعيانِ[٣١٢]))[٣١٣] ، وكما وصف الشعراء بقوله : ((وغَزلهم أَغْزَلُ مِنْ عُيونِ الغِزْلانِ))[٣١٤].

ونشاهد الجناس في هذه الكلمات حلواً سهلاً ، غير مملّ ، وقد استعمله المصنِّف في الأمثلة السابقة بصورة لا تكلّف ولا نفرة فيها مما يدل على براعته في التعبير ، وقدرته على الوصف.

٣ ـ جودة الوصف والتفنّن في التمثيل به مع غاية الحسن في سرد العبارات من المناظر البهية ، والأثمار الشهية ، والأزهار العبقة ، والأوصاف الملائمة ، وذلك ما جرى على أقلام علماء شبه القارة بسهولة التراكيب ، وعذوبة السياق ، ولطيفة

---

[٣١٠] ـ محروسة أيلور كانت دُوَيْلة بأيلور في مِدْراس بجنوب الهند. ينظر: مقامات ويلورية ص٢١٣ الهامش ٦.

[٣١١] ـ الإنسانُ : سَوادُ العَينِ ، أو ما يُرى في سواد العين . لسان العرب ، مادة (أنس) .

[٣١٢] ـ الأعيانُ : جمع عَين ، والمعنى هنا : الإنسان ، فالمراد من عين الأعيان : عين الإنس . الصحاح للجوهري مادة (عين) ، وينظر : مقامات ويلورية ص ٢١٣ الهامش ٩ .

[٣١٣] ـ مقامات ويلورية ص ٢١٣ .

[٣١٤] ـ المصدر السابق ص ٢٤٤ .

الأوضاع ، ما يُدهش القارئ ، ويُؤنس الأديبَ ، ويُعين الكاتبَ لما يُرى في تلك الأوصاف والتشبيهات من كلمات عجيبة، وتراكيب غريبة تتفجر حلاوة وجمالاً ، وتتدفق انسجاماً وانتظاماً يستدلُّ به على قدرة أصحابها على الكلام نظماً ونثراً ، وسيطرة أدبائها على المفردات رشاقة ومتانة .

والأمثلة على ذلك لا يحصيها العَدُّ ، وحسبي منها ما ذكره محمد باقر آكاه في إحدى مقاماته[٣١٥] عن الشعراء واصفاً إياهم بقوله : ((والشعراء قد بلغوا من رقائق الخيال ما فاق دقائق السِّحر الحلال ، شعرهم أرقُّ من تموّج أعطان[٣١٦] الكواعب ، وأروق من الأصداغ والذّوائب ، لفظهم صفي كالجوهر الشّفاف ، ونقيّ كعِرْض الأشراف ، ومعناهم عالٍ كالهمم العوالي ، وغالٍ كأطيب الغوالي ، وقصائدهم الفرائد أنفس من قلائد الخرائد ، ونسيبهم الترغيب آنس من ارتشاف الحبيب ، ومطالعهم أغرّ من هلال العيد ، ومصاريعهم أسرّ من حواجب الغِيد[٣١٧] ، وغَزْلُهم أَغْزَلُ مِنْ عيونِ الغزلانِ، وحماستهم أقتلُ من لواحظِ الحسانِ ، ودُوْبَيْتهم[٣١٨] متقنُ الأركانِ كالعناصرِ،

---

[٣١٥]- وهي المقامة الأولى سميت بـ : ((الشمَّامة الكافوريّة في وصف المعاهد الأيلورية)) .

[٣١٦]- جمع العَطَن ، وهو مبارك الإبل عند الماء لتشرب عَلَلاً بعد نَهَل ، فإّا استوفت رُدَّت إلى المراعي والأظماء ، ويقال : فلان واسع العَطَن : إذا كان رحبَ الذراع ، والعطن للإبل كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركها حول الحوض . ينظر : الصحاح ٢١٦٥/٦ مادة (عطن) ، ولسان العرب ٢٨٦/١٣ المادة نفسها .

[٣١٧]- الغِيْدُ : جمع مفرده : الغادة ، وهي الفتاة الناعمة ، وكذلك الغَيْداء . ينظر : لسان العرب ٣٢٨/٣ مادة (غيد) ، وتاج العروس ٤٧٤/٨ المادة نفسها .

[٣١٨]- دَوْبَيْتَ : مركبة من (دو) الفارسية ، أي : اثنان ، ومن (بيت) العربية ، أي : بيتان من الشعر وهو صِنْفٌ من أصناف الشعر في الأردية ، والفارسية ، والبشتية ، ويقال له بالعربية :

ومقطعاتهم[٣١٩] كقطعٍ متجاورةٍ في الجنانِ الزواهرِ))[٣٢٠].

ويشاهد القارئ في هذا الوصف للشعراء بأن مُوْصِفه قد صوّرهم بأسلوب جاذب ، وكلام لطيف ، وسياق عذب يدل على براعة المصنف في الخيال ، وجودة الاختيار في الأمثلة ، ولا غرابة في ذلك إذ كان محمد باقر شاعراً مفلقاً، وأديباً ممتعاً له إحساسات رقيقة ، وعواطف أنيقة ، وأفكار مميزة، وتصوّرات معنوية قد تذوّق روح الشعر الموزون ، ووجد حلاوته في الإيقاع.

ونموذج آخر للوصف ؛ إذ يقول فيه محمد باقر عن صفة الناعورة[٣٢١] : ((... والناعورةُ رقيقةُ العَبْرة كالعُشّاقِ ، وشهيقةُ الزفرةِ كالمشتاقِ ، تَحِنُّ حنينَ الجازعِ ، وتَئِنُّ أنينَ الموادعِ ، سالكٌ لا يفتر[٣٢٢] عن المسير دائماً ، وصوفيٌّ لا يبرح حول نفسه

رُباعي وذلك لأن الدوبيت وهو من أصل فارسي يتألف من أربعة أشطر وقد قلده العرب . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٤٤ الهامش ٥ ، وتكملة المعاجم العربية ٤٢٨/٤ ، ٧٦/٥ .

[٣١٩]ـ المقطعات : قصار الشعر وأراجيزه ، وسُميّت الأراجيز مقطّعات لقِصَرها وهناك أيضاً صِنْف ، وهو قِطعة وهو مرادف له ، تشتمل على بيان واحد في أربعة مصاريع. ينظر: تاج العروس ٤٢/٢٢ مادة (قطع) ، والمعجم الوسيط ٧٤٦/٢ المادة نفسها .

[٣٢٠]ـ مقامات ويلورية ص ٢٤٤ .

[٣٢١]ـ هي آلة لرفع الماء يُستقى بها ولها صوت قوامها دولاب كبير ، وقواديس مركبة على دائرة وتوضع على بئر ويحرّكها حيوان أو إنسان حول البئر في دائرة فيرتفع الماء من البئر في إناءات وقواديس ، ويُلقي في جدول . ينظر : المخصّص ٤٦٣/٢ ، وتاج العروس ٢٥٧/١٤ مادة (نعر)، ومقامات ويلورية ص ١٨٦ الهامش ١ .

[٣٢٢]ـ أي : لا يسكن ، يقال : أجد في نفسي فترة أوفتوراً : إذا سكن عن حدته ، ولان بعد شدته .ينظر: أساس البلاغة ٤/٢ مادة (فتر).

حائماً[٣٢٣] ، مُبْتَدٍ وقلبه في عين الاستغراق ، ومُنْتَهٍ يَجيشُ[٣٢٤] صدرهُ بالاشتياق ، قد حصل من مقام جمع الجمع على غاية ، وتحقق بقوله النهاية ، هي الرجوع إلى البداية ...))[٣٢٥] .

يصف المصنِّف الناعورة هنا بأحسن ما يكون ، وله سيطرة عجيبة في وصف الأشياء بالغاً فيه إلى ذروة التعبير ، وكلُّ من يقرأ مقاماته الخمسَ ، ويتصفح أوراقها يرى عجباً من الوصف الجميل ، والأسلوب البليغ ، والتركيب الغريب ، والتشبيه النادر .

٤ ـ الإكثار من استعمال ألقاب التعظيم بحق السلاطين ، والأمراء ، والنواب ، وأعيان الدولة من قبل معظم علماء شبه القارة في ذلك العصر، والتفخيم من شأنهم، وإعلاء قدرهم ما يجعلهم في صدارة التقديس ، ومكانة الرقيّ بين المجتمع الإسلامي ، وذلك كقول حجة الله الدهلوي في إحدى رسائله السياسية التي وجّهها إلى النواب نجيب الدولة واصفاً إياه بقوله : ((ندعو الله ـ تعالى ـ أن يُشرّف أمير المجاهدين بالنصر الظاهر ، والتأييد المبين ، ويبلغ هذا العمل إلى منزلة القبول ...))[٣٢٦] .

ويدعوه في رسالة أخرى بـ :((أمير الغزاة ورئيس المجاهدين ...))[٣٢٧] ، وكذا الشيخ محمد معصوم ابن الإمام الرباني ؛ حيث لَقَّبَ أَوْرَنْك عالَمْكِير ((بولي العهد

---

[٣٢٣]ـ دائر ، من : حام يحوم . يقال : حام الطائر وغيره حول الشيء يحوم حوماً : دار. ينظر : الصحاح ١٩٠٨/٥ مادة (حوم) ، ولسان العرب ١٦٢/١٢ المادة نفسها .

[٣٢٤]ـ يهيج ، ويضطرب . لسان العرب مادة (جيش) .

[٣٢٥]ـ مقامات ويلورية ص ٢٢٨ .

[٣٢٦]ـ رجال الفكر والدعوة ٦٤٧/٤ .

[٣٢٧]ـ المصدر السابق ٦٤٧/٤ .

الحامي لذمار الإسلام))[٣٢٨]، ومثله ابن الشيخ سيفُ الدين في رسالة بعث بها إلى والده محمد معصوم قائلاً :((إن إخلاص السلطان الحامي لذمار الإسلام لسيدي الشيخ من طِراز آخر ...))[٣٢٩].

٥ ـ استخدام المصطلحات العلمية ، والرموز الفنية في كتابة الأدب الفني ، وموضوعاته النثرية ، وذلك كأدوات الهندسة والمنطق والطب ، ومصطلحات العلوم الشرعية ، واللغوية ، والمهنية ، وغير ذلك من المفردات الثقافية والاجتماعية والأدبية التي يتم تناولها في الحياة العلمية والحركة الفكرية .

ومن الأمثلة على ذلك في كتب علماء شبه القارة الأدبية قول محمد باقر آكاه وهو يصف بلده وَيْلَوْرْ[٣٣٠] وصفاً جميلاً : ((... ﴿ بلْدةٌ طيّبةٌ وربٌّ غفورٌ﴾[٣٣١] ، وروضةٌ من رياض الجنان ، فيها من كل فاكهة ورُمّان، أمّا قلعتها فـ ﴿ إرمَ ذاتِ العمادِ التي لم يُخْلقْ مثلُها في البلادِ﴾[٣٣٢]، أساسها مشيّدٌ كبرهانِ التطبيقِ[٣٣٣]، وجدارها كجَذْرِ

---

[٣٢٨]ـ المصدر السابق ٣٣١/٣ .

[٣٢٩]ـ المصدر السابق ٣٣١/٣ . وينظر المزيد من الرسائل الدعوية الموجهة إلى أمراء الدولة في العصر المغولي والتي تتضمن ألفاظ التعظيم للخلفاء والسلاطين في : رجال الفكر والدعوة ٣١١/٣ وما بعدها .

[٣٣٠]ـ وَيْلَوْر وهي مدينة بقرب مِدْراس التي هي مسقط رأس محمد باقر في الهند . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢١٩ الهامش ١ ، والهند في العهد الإسلامي ص١٢٣ .

[٣٣١]ـ قطعة من الآية القرآنية من سورة سبأ ، الآية / ١٥ / .

[٣٣٢]ـ آيتان من القرآن ، سورة الفجر الآية / ٧ـ ٨ /.

[٣٣٣]ـ بُرهان التطبيق : هو الزائد على المتناهي بمنتاه متناه ، هذا الدليل هو المسمّى ببرهان التطبيق، ويقال له: برهان التسلسل أيضاً . مقامات ويلورية ص ٢١٩ الهامش ٥ ، وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٣٢٤/١ـ ٣٢٥ ، ١/ ٤٣٢ . والمصنف قد استعمل مصطلحات علم الهندسة .

الأصمّ[٣٣٤] ، مُسْتصْعَبٌ وثيقٌ ، يزلقُ منه سلّمُ القياسِ[٣٣٥] ، كَبرهانِه في الحِكَمِ المُعَراةِ عن المقياسِ[٣٣٦] ، وفصيلها يضاهي جَزَالة العهود الوفيّة ، ويوازي أسالة[٣٣٧] الخدود الوردية ...))[٣٣٨] .

ومثل قوله أيضاً في وصف المغنيّن: ((والمغنّون يحسنون من الأغاني، ما يُرْبَى على رنّات الغواني،وإذا استعملوا الثواني[٣٣٩] والثوالث[٣٤٠]، أدهشوا قَيْنة الفَلك الثالث[٣٤١]

---

[٣٣٤]- جَذْرُ الأصمّ : في الرياضة إذا ضربت الكميّة في نفسها مرّة أو مرات، فالناتج قوة لتلك الكمية، وهذه الكمية نفسها جَذْر. ومن أنواعه الجذر التربيعي ، والجذر التكعيبي ، والجذر البسيط، والجذر الأصمّ . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢١٩ الهامش ٦ ، ودستور العلماء ٨٧/١ ، ٢٦٦ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٨٣٢/١ ، ٥٥٩ ، ١٦٥٩/٢ .

[٣٣٥]- سلّم القياس : هو القياس لا يستطيع أن يقف أمام الجذر الأصمّ . مقامات ويلورية ص ٢١٩ الهامش ٨.

[٣٣٦]- الحِكَم المعراة عن المقياس : وهي الأحكام أو الأقوال الصائبة الراسخة التي تكون سليمة من شائبة القياس . والمصنَّف قد استعمل مصطلحات أصول الفقه هنا مع مصطلحات الهندسة . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢١٩ الهامش ٩ .

[٣٣٧]- أسالة : أَسَلَ يأسُلُ ، وأسِلَ يأسَلُ : لَانَ واسْتَوى ، أسالةً : نُعُومة ، وفيها لِيِّن واِسْتِواء . والأسيلُ: الأملس المستوي، ويقال : أسُلَ خَدُّه أسَالةً : امّلس وطال ، وخدٌّ أسيل : وهو السهل الليّن. ينظر : لسان العرب ١٥/١١ مادة (أسل) ، وتاج العروس ٤٤٦/٢٧ المادة نفسها .

[٣٣٨]- مقامات ويلورية ص ٢٢٠ .

[٣٣٩]- الثواني : آلة موسيقية بوترَيْن . مقامات ويلورية ص ٢٤٢ الهامش ٦ .

[٣٤٠]- الثوالث : آلات موسيقية بثلاثة أوتار . المصدر السابق .

[٣٤١]- قَيْنة الفلك الثالث : هي الزهرة ، ويقال للمغنّية قَيْنةٌ إذا كان الغناء لها صناعة ، ويقال للأمة قينة وللعبد قين . ينظر : تهذيب اللغة ٢٤٢/٩ مادة (قين) ، والصحاح ٢١٨٤/٦ المادة نفسها .

يرقصُ في غنائهم قاضي السماء الأَسْمى[٣٤٢]...))[٣٤٣].

والأديب محمد باقر في هذا الوصف يبدو فنّاناً متحكماً في الأسلوب الأدبي ، ووصّافاً مبدعاً وسيع الخبرة ، قوي القدرة ، نقي اللغة ، عجيب الذاكرة ، غريب الصياغة أتقن فيما كتب من المصطلحات العلمية ، وأبدع بما أتى من الجمل النادرة ، وهو واحد من نوابغ علماء شبه القارة ، وأمثاله كثيرون أُوتوا روح الكتابة في العربية وآدابها ، ودقة الفن في نثرها ، فقد استعملوا اللغة القوية الممتعة العامرة باستعمال المصطلحات من العلوم المختلفة ، كالشرعية واللغوية والهندسية والعقلية وغيرها من المعاني بقدرة تامة، ومهارة دقيقة، وسيطرة محكمة، وتوظيف حسن ، وتوصيف أنيق.

٦ـ إثراء اللغة العربية بكلمات أعجمية ، واستحداث مفردات دخيلة ، وتناولها في العناصر الثقافية المختلفة ، والفكرية ، والفلسفية ، والدينية وتوظيفها في الحياة الاجتماعية والطبيعية واللغوية وغيرها من المجالات ، وذلك نتيجة لتوسع الفتوحات الإسلامية ، وتداخل الحضارات بين الأمم ، وهذا المنهج كان ملحوظاً في الدراسات الأدبية لدى علماء شبه القارة ، ومن أمثلتهم على ذلك ما ذكره محمد باقر آكاه في مقاماته من أسماء الزهور والورود في بلده ، وهي أسماء غريبة عن أسماع العربية ، كالسُّيوتي[٣٤٤] ، والضّبْلِي[٣٤٥] ، والمُوْقَرا[٣٤٦] ،

---

[٣٤٢]ـ قاضي السماء الأسمى : هو السيارة (المشتري) . مقامات ويلورية ص ٢٤٢ .

[٣٤٣]ـ مقامات ويلورية ص ٢٤٢ .

[٣٤٤]ـ هي زهرة بيضاء ، يقال : إنها وردةٌ بيضاء . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٢٩ الهامش ٣ .

[٣٤٥]ـ هي نوع من النبات ولها زهرة بيضاء ، يقال لها في العربية والفارسية : ياسْمين . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٣٠ والهامش ١ .

[٣٤٦]ـ هي زهرة تشبه ياسمين . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٣١ الهامش ١ .

والضَّبا[٣٤٧] ، والمُلسِريّ[٣٤٨] ، والبَهْنس[٣٤٩] ، والرَّيُوتي[٣٥٠] ، والجَامُوْن[٣٥١] ، وغيره ، وقد تكلم عليها وعرّفها تعريفاً جميلاً رائعاً ، وصوّرها تصويراً بارعاً[٣٥٢] .

٧ ـ كثرة الاقتباس من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار الجميلة ، والأمثال السائرة ، والحرص على تضمنها في الفنون الأدبية وكتابتها ، كالخطابة ، والرسائل ، والمقامات ، ونحوها ، والشواهد على ذلك في الكتب النثرية لا تُحْصى عدداً ، وكان يستأنس بها الناثرون إما للاحتجاج بالنصوص المختارة وتقوية الموضوعات ، وإما لتشويق القارئ إلى التعلّق بالأفكار الجذابة والمعاني المتسلسلة .

وكان أثر التضمين لهذه الفنون واضحاً لدى علماء شبه القارة في مؤلفاتهم الأدبية ودراسة أقسامها ، وذلك كشعر محمد باقر آكاه في مقاماته[٣٥٣]، وهو يقتبس أية من

---

[٣٤٧]ـ هي شجرة تؤتي أزهاراً صفراء لها رائحة جميلة جداً .ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٣٢ الهامش ١.

[٣٤٨]ـ ـ بكسر السين المهملة ـ ويقال : مُوْلسِري ، وهي شجرة مظلّة ، حسنة الشكل ، زهرها شديد العطرية ، صغير مدوّر ، وبعد يبسه تزيد رائحته ، ويجعلون منه العلائق . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٤٢، ٥٠ ، ٦٦ .

[٣٤٩]ـ هو فاكهة خضراء توجد في جنوب الهند . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٣٩ الهامش ١ .

[٣٥٠]ـ هو نوع من النبات لها أزهار بيضاء ممزوجة بالصفرة . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٣٤ الهامش ١ .

[٣٥١]ـ ويقال : جَامُن ـ بفتح الجيم وضم الميم ـ وهي شجرة لها فاكهة تشبه ثمرة الزيتون ، أسود اللون، ونواة واحدة كالزيتون ، وطعمه كالإجاص ما بين الحلاوة والحموضة ، وهو من أنفع ثمار الهند . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ٤٥ ، ٥٧.

[٣٥٢]ـ وللمزيد من هذه الأسماء ينظر : مقامات ويلورية ص ١٩٢ـ ١٩٣ ، ١٩٦ـ ١٩٩ .

[٣٥٣]ـ ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٧٦ .

القرآن الكريم في أبياتٍ مطلَعُها :

تَبّاً لِمَنْ نَبَذَ الشَّريعةَ بالهَوَى جَهْلاً ولم يَخْشَ الوعيدَ وما ارْعَوَى[٣٥٤]

ثم قال :

وسَعَى بتقوى اللهِ جِدّاً مُوْقِناً أنْ ليسَ للإنسان إلّا ما سَعَى[٣٥٥]

وكذا اقتبس الأديب محمد باقر آكاه من القرآن في وصفه للمشائخ بقوله :

((وأمّا المشائخُ ، فكلٌّ منهم كطَوْدٍ[٣٥٦] شامخٍ ، دائبون في السلوك والانجذاب ، وآئبون إلى (الزُّلْفى وحُسْنَ مَآب)[٣٥٧] ، لا يسأمون عن السّيرة ﴿ آنَاءَ اللّيلِ وأطرافَ النهارِ ﴾[٣٥٨] ..))[٣٥٩].

ومثل ما كتبه الإمام الرباني السرهندي إلى النواب مرتضى خان السيد الشيخ فريد البخاري (ت ١٠٢٥ هـ) في مكتوب طويل يقول فيه حول مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((... وأجعل هذا المكتوب وسيلة لنجاة أخروية ، لا أني أمدح به النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل أمدح به مقالي :

---

[٣٥٤]ـ يقال : اِرْعَوى فلان عن الجهل ارعواءً حسناً ، وهو نزوعه وحسن رجوعه ، ويقال : قد ارْعوى عن القبيح : أي كف عنه . ينظر : تهذيب اللغة ١٠٤/٣ مادة (رعو)، وتاج العروس ١٦٢/٣٨ المادة نفسها.

[٣٥٥]ـ قوله : (أنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى) آية اقتبست من سورة النجم : الآية / ٣٩ / .

[٣٥٦]ـ جبل شامخ . ينظر : تاج العروس ٣٢٥/٨ مادة (طود) ، ولسان العرب ٢٧٠/٣ المادة نفسها.

[٣٥٧]ـ قوله : (لزلفى وحسن مآب) قطعة من الآيتين الواردتين في سورة ص الآية /٤٠ / ولفظ الاية ﴿ لزلفى وحسن مآب﴾.

[٣٥٨]ـ وفي سورة طه الآية /١٣٠/﴿ ومن آناء الليل فسبِّحْ وأطراف النهار ﴾ .

[٣٥٩]ـ مقامات ويلورية ص ٢٤٥ .

ما إن مدحتُ محمداً بمقالتي لكنْ مدحْتُ مقالتي بمحمّدٍ))[٣٦٠]

٨ ـ الاستشهاد بالأشعار الفارسية ، والهندية ، والأوردية وغيرها من الآداب الشرقية ، والتأثر بأغراضها وأساليبها في الكتابة الفنية ، والاستئناس بمزاياها في الأعمال الأدبية ، ولا غرابة في هذا ؛ إذ كان أدباء شبه القارة أمة قد تذوّقت حلاوة اللغات الأخرى ، واستفادت من آدابها ، وقطفت من ثمارها أنفس الشعر ، وألطف الحكم ، ولهم في ذلك نماذج كثيرة ، وآثار منظومة ساقوها في الحياة العلمية ، والتيارات الفكرية ، والأصناف الأدبية ، والقضايا الإنسانية عبر العصور المختلفة ، وقد ظهرت ملامحها في التعبير عن المقاصد والمعاني ، وانكشفت براعتها بالبيان والحقائق .

وقد توسّع هذا التأثر بالآداب الشرقية لدى علماء شبه القارة ، وتنوعت موضوعاتها من عصر إلى عصر مع ازدياد الشعراء والأدباء ، بتوسّع دائرة الساحة الإسلامية ، وتنوع مصادرها الثقافية واللغوية ، وتباين الآراء الفكرية بين المجتمعات الإنسانية ، ولاسيما اللغة الفارسية ، وثقافتها الحضارية والعلمية ، وتأثيرها على العلماء ؛ إذ كانت الفارسية هي اللغة الرسمية والأدبية والثقافية في الهند منذ فتحها على يد الغزنويين حتى زوال عهد الإمبراطورية المغولية في القرن التاسع عشر الميلادي، التي حكمت شبه القارة أكثر من ثلاثة قرون متتالية.

ومن أمثلة ذلك ما أورده الإمام الرباني في مكتوباته بعض الأشعار بالفارسية ؛ حيث يقول في إحداها وقد أرسلها إلى الحاج محمد اللاهوري في بيان الجواهر الخمسة : ((... وإن كانا ظاهرين في عالم الخلق ، لكنهما من عالم الأمر ، ولهما

---

[٣٦٠]ـ المنتخبات من المكتوبات ص ٢٤ ، وله شواهد شعرية كثيرة في كتابه المذكور ، وللمزيد ينظر ثمة .

نصيب من اللاكيفي واللاكمي ، والاطلاع على حقيقة هذه الجواهر الخمسة مسلَّم ، لكمل أفراد أولياء الله الذين أتموا مراتب السلوك بالتفصيل ، وبلغوا نهاية النهايات ، شعر :

هركداى مرد ميدان كي شود بشهء آخر سليمان كي شود))[٣٦١]

وترجمته بالعربية ((هَلْ كُلُّ مَنْ خِلْتَ رجلاً رجلُ معركةٍ

أو كُلُّ من صارَ ذا مُلْكٍ سليمانُ))[٣٦٢]

وكقول المفتي إلهي بخشْ الكاندهلويفي مقدمة كتابه : تكملة المثنوي المعنوي :

جذب ذوق وشوق مولانا حسام مي كشد مارابسوي اختتام[٣٦٣]

٩ ـ تأثير الثقافة الإسلامية في أساليب كُتّاب شبه القارة الهندية ، وآدابهم ، وشعرائهم ، وتأثرهم بها في الحركة الأدبية الإنشائية ، فالأديب المسلم حيثما كان له نظرته تتوافق مع الفكر الإسلامي ، وروحه تستمد حياتها من المنبع القرآني ، فيستعين في أدبه بالأصول الثابتة ، وفي فكره بالمبادئ الصحيحة ، ولا يعني هذا أن يتخلّص من تراثه القديم ، وأدبه الموروث الذي ورثه بسبب العوامل السياسية ، والجغرافية ، والتاريخية ، والثقافية ، وإنما يستفيد منه ويعود إليه فيما لا يتعارض مع الدين الإسلامي وقيمه الفضلى ، وهذا ما كان عليه علماء شبه القارة الهندية في أعمالهم

---

[٣٦١]ـ المنتخبات من المكتوبات ص ١٦ .

[٣٦٢]ـ المصدر السابق ص١٦ ، وينظر : ص ٤٣٤ ، ٤٤٧.

[٣٦٣]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٢١/٧ ، وله أبيات أخرى بالفارسية ، وقد كرّس علامة الهند ومؤرخه المشهور عبد الحي الحسني كتابه المذكور بكثير من الأبيات الفارسية في صفحات متعددة وأجزاء مختلفة ، فلا يخفى ذلك لكل من تصفحه ودقق النظر فيه .

الأدبية وكلامهم المنقول ـ نظماً ونثراً ـ في الإنشاء والتحرير ، والنقد والتحليل ، ولعل أصدق مَنْ شخّص هذا الأديبُ البارعُ والناقدُ الأمينُ السيد أبو الحسن الندوي بقوله :

((فلم يكن في الهند ذلك الفصام النَّكِد بين علوم الدين ، والأدب العصري ، ولغة البلاد ، ولم تكن الفجوة التي وقعت في بعض البلاد بين علماء الدين ، والشادين بالأدب والشعر ، والهائمين بهما تلك الفجوة التي جنت على الدين والأدب في وقت واحد . في ضوء هذه الخلفيات والمراحل التي مرّ بها الشعب المسلم الهندي ، والعوامل التاريخية والنفسية التي خضع لها بحكم الطبيعة وسنة الله ـ تعالى ـ في خلقه، تكونت مدرسة إسلامية أدبية هندية لها مميزاتها وطابعها ، لا يسوغ لمؤلف في تاريخ الأدب العربي والثقافة الإسلامية العامة أنْ يغضّ الطّرْف عنها ويبخس حقها ، وبسبب كل ذلك اختلفت نظرة المعنيّين بالأدب واللغات ، والمدرسين والدارسين للغة العربية وآدابها ـ بصفة خاصة ـ إلى الأدب العربي وتقويمه ، فلا يستطيعون ـ بحكم ارتباطهم بالإسلام ونظرهم إلى اللغة العربية كلغة القرآن والحديث والسيرة ومفتاح مكتبة الإسلام ـ أن يفصلوا بين الأدب العربي والدين ، بل إنهم أصبحوا يعتقدون بعد دراستهم الأمينة المخلصة لثروة اللغة العربية وكنوزها الأدبية أن الأدب العربي يستمدُّ من الدين القوة والحيوية ، والجمال والتأثير))[٣٦٤] .

١٠ ـ تنوّع الصيغ والأساليب في كتابة الفنون الأدبية ، وخاصة الرسائل والمقامات ، وعدم التقيّد بصيغة معيّنة من مبدئها إلى منتهاها في مدرسة شبه القارة الأدبية ، فمن الأدباء مَنْ كان يبتدئ رسالاته ببيت أو بيتين من الشعر الأنيق يتقدم به كلامه في الكتابة ، ثم يدخل إلى الموضوع ، أو بآية قرآنية ، أو بحكمة بليغة ، كما في

[٣٦٤] ـ نظرات في الأدب ص ٨٩ .

إحدى رسائل السيد محمد عباس التستري إلى السيد أبي الحسن محمد نجل المجتهد العارف بالله السيد علي شاه ، فقال بادئاً بشيء من أشعاره كعادته في تصدير الرسائل:

((وخيالُك في ذِكْري وذكرُكَ في فمي وذِكْراكَ في قلبي فكيفَ تغيبُ؟

أيها الخلفُ الصالح الواعظ الناصح ، الناطق على حساب المصالح بكلام حلو ومالح ، الذاكر الطائع، الصابر القانع، المتصرّف في الألفاظ والمعاني ...))[٣٦٥]، وكذا في إحدى مكتوبات الإمام محمد معصوم إلى الملا محمد مراد الكشمي قوله: ((قال الله ـ تعالى ـ : ﴿محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معهُ أشِدّاءُ على الكفّارِ ﴾[٣٦٦]...))، وكذلك ما كتبه محمد باقر في المقامة الأولى مستفتحاً إياها بالآية :﴿تباركَ الذي بيدِهِ الملكُ وهُوَ على كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣٦٧] حيث بدأالمؤلّف مقامه بآية من القرآن الكريم[٣٦٨] .

ومنهم من يكتب في الموضوع مباشرة من غير تمهيد ولا تقديم فيما يدوّنه من الخطابات والعبارات ، كقول المفتي عباس التستري في رسالة بعثها إلى المفتي سعد الله الحنفي بعدما سافر إلى بيت الله الحرام :((أيّها العالم القمقام ، الحاجُ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ ، الواصلِ عن قريبٍ إلى الحطيمِ هو المقامُ ، لك العُتبى ، فإني ما اطلعتُ على شخوصكَ من هذا البلد إلا بعد أيام ، فتحسرتُ على ما فاتني من اللقاءِ والوداعِ ،

---

[٣٦٥]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٥ ، وينظر : الأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

[٣٦٦]ـ سورة الفتح : الآية /٢٩/ ، والرسالة طويلة ، ينظر مظانها في : المنتخبات من المكتوبات ص ٤٠٥ ، وص ٤٢١.

[٣٦٧]ـ سورة الملك : الآية / ١/ .

[٣٦٨]ـ ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٠٨ .

وتحزنتُ لما أراه من الوحشةِ لفقدكَ في هذه البقاعِ ... »[٣٦٩]، وقول الإمام الدهلوي في خطابه للعسكر : « وأقولُ للعسكريةِ : أيّها العَسْكرُ ، أخرَجَكم اللهُ للجهادِ ... »[٣٧٠].

ومنهم من كان يستفتح كلامه بالحمد والثناء على الله ـ عزّ وجلّ ـ ، ثم يبتدأ بالموضوع ، وهذا النموذج كان شائعاً في الخطب في شبه القارة الهندية لدى العلماء والناثرين ، وكذا في بعض الرسائل ، والمقامات ، وكما كان هذا الأسلوب نفسه قائماً عند القدماء في العصور الإسلامية؛ حيث كانوا يحرصون على الابتداء بالصيغة أو الاستفتاحية بـ : الحمد لله رب العالمين أو بـ : الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه ... بعد عبارة : من فلان إلى فلان ، التي كثر ورودها في القرن الأول ، ولكن كُتّاب القرن الرابع الهجري أخذوا يجرون على فطرتهم في تخير البدايات[٣٧١] ، وهو ما كان متبعاً في اختيار المنهج ، وطرق الكتابة في الاستفتاح لدى كثير من العلماء في شبه القارة .

ومن أمثلة ذلك : قول محمد عبد الحي اللكنوي في إحدى خطبه للجمعة : « الحمدُ للهِ الذي بسطَ الأرضَ بلا مددٍ ، ورفعَ السماءَ بغير عمدٍ ودوّره ، وخلقَ الخَلْقَ بلطفهِ

---

[٣٦٩]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص٢١٢ ، وينظر ـ مثلاً ـ : المنتخبات من المكتوبات ص ١٣، ١٥، ١٩ ، ٣٣ ، ٤٣٧ ، وصفحات أخرى وهي كثيرة في الكتاب المذكور ، ورجال الفكر والدعوة ٦٦٤/٤ وما بعدها وفيه كثير من الخطابات التي أوردها قطب الدين أحمد ، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي في التفهيمات الإلهية ، سلسلة مطبوعات المجلس العلمي ، برقي بريس ـ الهند . ـ د ط . ـ ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م ونقل عنها أبو الحسن الندوي في كتابه السابق .

[٣٧٠]ـ رجال الفكر والدعوة ٦٦٥/٤ .

[٣٧١]ـ ينظر : النثر الفني في القرن الرابع ص ١٠٥ وما بعدها.

وكرمهِ، وبأحسنِ الصورِ صوَّره...))[٣٧٢] ، وقول الإمام الرباني السرهندي في إحدى مكتوباته إلى الخواجه محمد سعيد: ((الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلين وآله الطاهرين أجمعين: اعلم أن صفات الواجبِ ـ تعالى ـ وتقدسَ لذاته ـ تعالى ـ ...))[٣٧٣] .

ومنهم من يبدأ كلامه بالبسملة امتثالاً لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((كلّ كلامٍ ، أو أمر ذي بالٍ لا يُفْتَحُ بذكر الله ـ عزوجل ـ ، فهوَ أبتر، أو قال : أقطع))[٣٧٤]، كما ورد ذلك في رسالة الإمام محمد معصوم قد وجّهها إلى السلطان عالمكير بالهند ناصحاً فيها إياه وواعظاً بقوله : ((بسم الله الرحمن الرحيم أولى ما يقدم حمد الله ـ سبحانه ـ ثم الصلاة والسلام على النبي وآله ...))[٣٧٥] .

ومنهم من يبدأ حديثه بعبارة : أما بعد استفتاحاً للنص ، وتمهيداً للموضوع ، كما كتبه المفتي السيد محمد عباس في إحدى رسائله إلى الشيخ محمد حسن النجفي قائلاً :

---

[٣٧٢]ـ مجموعة الخطب اللكنوية ص ٨ ، وهذا الكتاب كله يسير على نموذج الاستفتاح بالحمد والثناء على الله ـ عز وجل ـ .

[٣٧٣]ـ المنتخبات من المكتوبات ص ٢٠٨ ، و ينظر ص ١٦٦ـ ١٦٧ ، ١٦٩، ١٧٤ ، ١٧٨، ٢٠٨ وصفحات أخرى في الكتاب ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٥ـ ١٩٨ حيث المزيد من الأمثلة.

[٣٧٤]ـ رواه أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني في مسنده ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث، القاهرة . ـ ط ١ . ـ ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م ٥٩٥/٨ برقم /٨٦٩٧ / عن أبي هريرة ، وبنحوه رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٨٥/٩ عن الزهري .

[٣٧٥]ـ النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٩، وينظر نماذج من ذلك ـ مثلاً ـ في : المنتخبات من المكتوبات ص ١٨٨، ١٩٤، ١٩٧ ، ٢٠٣، ٤٢٨، ٤٣٤ .

((أمَّا بعد : سلامٌ كالمسكِ إذا فاحَ ، وكالصُّبحِ إذا لاحَ ...))[٣٧٦] .

وفضلاً عن هذه الأساليب وُجِدَ لون آخر منها لدى لعلماء في شبه القارة ؛ فكان يُسْتعمل في الفن الأدبي ، وخاصة في الرسائل ، وهو أسلوب الدعاء ، وطلب الهداية والتوفيق للمرسل إليه أو المكتوب له ، ويتم تناوله قبل الإجابة عن سؤال علمي ، أو نصيحة توجيهية ، أو حثّ على فعل برّ ، ونحوه ، وذلك كقول الإمام محمد معصوم في إحدى مكتوباته إلى المرزا فتح الله الحكيم في التحريض على إتيان الأعمال الصالحة: ((وفقَكم اللهُ ـ سُبحانهُ ـ لمرضياتِهِ، واعلمْ أنَّ الإنسانَ كما أنه لابدَّ من تصحيحِ الاعتقاداتِ، كذلك لابدَّ لهُ من إتيانِ الأعمالِ الصالحةِ...))[٣٧٧] ، وكذا قوله في مكتوب إلى المرزا إيرج في بيان أن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه : ((عصمَكم اللهُ ـ سُبحانهُ ـ عمّا يَصمُّكم ، وصانَكم عمَا شانَكم بحرمةِ سيدِ الأولين والآخرين عليه وعلى آله ـ الصــلاة والســلام ـ أيُّها السعيدُ النجيبُ إنَّ الإنسانَ إذا طرأَ عليه مرضٌ من الأمراضِ الظاهرةِ ...))[٣٧٨] .

هذا التعدد في الأساليب ، والتنوع في العبارات للكتابة الأدبية كلها إذا لم يكن الخطاب موجَّهاً إلى السلطة العليا من السلاطين والأمراء والولاة، أما إذا كانت الخطابات موجّهة إليهم ، فحينئذ تختلف الأحوال وتتبدل المقالات ، فلا يراعى في معظم الأحيان تلك القواعد في الفنون النثرية عند الكتاب والأدباء ، وإنما يبدأون بالعبارات المملؤة بالمجاملات ، وألفاظ اللطافة ، ورشاقة الكلام ، كما كان الحال في العصر الأموي والعباسي الإسلاميين .

---

[٣٧٦] ـ النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٣ .

[٣٧٧] ـ المنتخبات من المكتوبات ص ٦٠ .

[٣٧٨] ـ المصدر السابق ص ١١٤، ومن أمثلته أيضاً ينظر ـ مثلاً ـ في : ص ٤٥، ٤٦، ٤٧ ، ٩٢ـ ٩٣، ٤٣٩، ٤٤٣ .

وأما ختام الرسائل ، فقد درج أكثرهم على الاكتفاء بعبارة : والسلام ، وبعضهم بـ: والحمد لله رب العالمين ، وهذا ما كان غالباً في الرسائل ، وبعضهم مَنْ يختم كلامه بقوله : والسلام على من اتبع الهدى ، ونحو ذلك من العبارات التي تفيد الختام والانتهاء .

ومن أمثلته رسالة إلى فضيلة الشيخ محمد طيب المكي ، وفي آخرها :((وصلى الله ـ تعالى ـ على سيدنا مولانا الأمان الأمين ، فاتح الخلقِ وخاتم النبين محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الطاهرين إلى يومِ الدين وباركَ وسلَّم أبداً الآبدين آمين ، والحمد لله رب العالمين))[٣٧٩]، ومكتوب للإمام الرباني محمد معصوم إلى الدرويش حبيب الخادم وفي آخره :((... رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنكَ رَحمةً وهيء لنا مِنْ أمرِنا رُشداً ، والسُّلامُ على مَنْ اتبعَ الهُدى))[٣٨٠] .

١١ـ الإكثار من السجع وزيادة استعماله في الحركة الأدبية وكتابتها الفنية من الرسائل ، والمقامات ، والخطب ، والقصص ، ونحوها ، وقد التزم بهذا الأسلوب بعض الأدباء في شبه القارة الهندية ، واتخذوه طريقة لأنفسهم ، ومسلكاً لكتابهم ، وهم بذلك قد تقلّدوا من سبقهم من الأدباء القدماء ، كبديع الزمان الهمذاني ، والحريري ، والقاضي الفاضل ، ونحوهم من أئمة الأدب وكتّاب النثر ، وآثروا الاتباع والتقليد على الاجتهاد والتجديد في النثر الفني ، والكتابة فيه وتحريرها.

وعليه فإن هؤلاء الأدباء في شبه القارة الهندية لميُوجِدوا لأنفسهم طريقة خاصة في الفنون الأدبية بأنواعها المتعددة ، ولم يبدعوا منهجاً جديداً في بابها ، ولم يؤسسوا

---

[٣٧٩]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٩ .

[٣٨٠]ـ المنتخبات من المكتوبات ص ٤٥٢، وينظر المزيد من الأمثلة في ص ٥٦ ،١٠٩ ، ١١٦، ١٦٦، ٢٤٦، ٣٩٩ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٧ـ ٢٠٨ ، ٢١٠ـ ٢١١ ، ٢١٨.

مدرسة خاصة تميزت بخصائص معينة ، وإبداعات مبتكرة في الأسلوب ، ويتضح هذا من خلال نظرة متأمّلة في كتب المقامات ، والرسائل ، ومقارنتها ودراستها بالتحليل والنقد ، فخذ ـ مثلاً ـ المقامات الهندية لأبي بكر بن محسن باعبود ، ومقامات ويلورية لمحمد باقر المدراسي ، وبعد الاطلاع على نصوصهما ، والدراسة لأبوابهما، والمقارنة بين موضوعاتهما، فلا ترَ فرقاً واضحاً بينهما وبين مقامات الحريري (ت ٥١٦هـ)[٣٨١] ، والقاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ)[٣٨٢] ، وغيرهما من أئمة الأدب ، لا من حيث ترتيب الأفكار، ولا صياغة العبارات ، ولا التزام السجع ، ولا العناية بتحسين الألفاظ.

وهكذا التزم هؤلاء العلماء الأدباء بهذه القيود في النثر ، واتبعوا هذه الطريقة في المنهج من سجع مقلّد موروث ، وعناية بلفظ مزخرف ، حتى تحولت الكتابة إلى صنعة متكلّفة تغيّب المعاني عن حقائقها السامية ، وتجرّدها من مقاصدها النبيلة ، وهذا ما أشار إليه أديب الهند السيد أبو الحسن الندوي في الموضوع بقوله : ((وجاء أبو القاسم الحريري ، فألّف المقامات ، وهو أسلوب الكتابة المسجّعة المختمر ، وقد تهيأت العقول لقبولها ، فعكف عليها العالم الإسلامي دراسة وشرحاً ، وتقليداً وحفظاً ، وتغلغلت في مدارس الفكر والأدب ، وبقيت مسيطرة على العقول والأقلام أطول مدة تمتع بها كتاب أدبي ، وما ذاك لفضل الكتاب ، بل لأنه قد وافق هوى النفس ، وصادف عصر الجمود ، والعقم الأدبي في العالم الإسلامي .

---

[٣٨١]ـ ينظر طريقة السجع عند الحريري وأسلوبه في : أدباء العرب لبطرس البستاني ص ٤٣٣ـ ٤٣٤، ومقامات ويلورية ص ١٤٥ (مقدمة المحقق) .

[٣٨٢]ـ ينظر المزيد من طريقة القاضي الفاضل في الكتابة ومنهجه في النثر الأدبي في : النبراس ص ٢٣ـ ٢٤ وللمقارنة بين هؤلاء وعلماء شبه القارة ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٣٢ـ ٣٣.

ثم جاء القاضي الفاضل ـ مجدِّد أسلوب الحريري وبالأصح مقلِّده...، فانتشر أسلوبه في العالم الإسلامي ، وحرص على تقليده الكتّاب والمنشؤون في أنحاء المملكة الإسلامية ، وهكذا بقي أسلوب وحيد يتحكم في العالم الإسلامي على الأوساط الأدبية ...))[٣٨٣] .

وكذا الحال كانت مع الرسائل المحرّرة ، فتسير على هذا المنهج من حيث العناية بالكتابة المسجوعة المتكلّفة ، والمحسنات البديعية المصطنعة التي تحوّلت إلى طبيعة الكتابة في النثر الفني عند علماء شبه القارة ، كالشرواني اليمني (ت ١٢٥٦ هـ)، وأمثاله الكثيرين من متبعي أسلوب الحريري[٣٨٤]، ولعل من أحسن الأمثلة على ذلك من النثر المزخرف ، والرسائل الموشَّاة بأنواع الحُلي والبديع ما كتبه المفتي السيد محمد عباس في إحدى رسائله إلى المجتهد الشيخ محمد حسن النجفي بقوله : ((أمّا بعدُ : سلامٌ كالمِسكِ إذا فاحَ ، وكالصُّبحِ إذا لاحَ ، وكالطَّائرِ إذا غرّدَ ، وكالشَّادنِ إذا شَرَدَ ، وكالبَرقِ إذا وَمضَ ، والشَّوقِ إذا نَهضَ ، وكالصُّبحِ إذا لحظَ ، والفَصيحِ إذا لَفظَ ، وكالبَدرِ إذا بَزغَ ، والعَيشِ إذا رَفغَ ، والثوبِ إذا حَبكَ ، وكالذَّهبِ إذا سَبكَ ، وكالنُّورِ إذا ابْتَسمَ ، وكالغَيثِ إذا انْسَجمَ ، وكالرَّبيعِ إذا حانَ ، وكالطَّلعِ إذا بانَ ...))[٣٨٥] .

---

[٣٨٣]ـ نظرات في الأدب ص ٢٩ .

[٣٨٤]ـ إننا لا نزدري : بكتب الأدب القديمة من رسائل ومقامات وقصص وغيرها ، ولا نقلل من قيمتها العلمية واللغوية والفنية في الساحة الأدبية ، وإنما نعتقد ـ كما قال أبو الحسن الندوي ـ بأنها ليست الأدب كله ، وقد يوجه إليها انتقادات واعتراضات في الأساليب الكتابية ، والزخرفة اللفظية، وأدبنا العربي والإسلامي أوسع صدراً ، وأجمل تعبيراً ، وأصدق قولاً . ينظر : نظرات في الأدب ص ٣٥ .

[٣٨٥]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٣ .

ونحوهما أورده أبو بكر باعبود في المقامات الهندية بقوله : ((وحينَ أسفرتِ الغواني عن وجوهِ التهاني ، سمعتُ للبدرِ رجّةً ولأهلها ضجّةً ، وامتلأتِ الأزقةُ ، وكَثُرَ البكاءُ والرِّقةُ ، وصار الصُّبحُ كالمَساءِ ، واخلطَ الرجالُ بالنساءِ ، فخرت من هذا الهولِ المهولِ ...))[٣٨٦] .

وفي هذا المقطع لأبي بكر باعبود نرى طرازاً خاصاً في الأسلوب ، وسجعاً بارزاً في التركيب ؛ حيث استعمل فيه الألفاظ المتقاربة ، مثل : الأزمة والرقة ، ورجة وضجة ، وكالمساء والنساء، والغواني والتهاني ، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على جمال هذه المقامة وتضاعف أناقتها وإن كان فيها من السجع المتكلّف ، والصناعة اللفظية[٣٨٧] .

ومع هذا كله فثمة من أدباء شبه القارة في العصر المغولي من اختار لنفسه طريقة الاجتهاد والإبداع ، والتحرّر والحداثة ؛ حيث كتبوا في النثر المرسل ، والأسلوب الطبعي السهل ، والسجع المقبول المعتدل بقرائح صافية ، ومواهب واسعة ، وملكات جميلة ، واتخذوا السجع طابعاً ملازماً للكتابة ، وأناقة للتعبير ، وزينة للخيال ؛ لأنه في الأصل حلية يزين بها الأدب العربي على العموم ، والنثر على الخصوص ، والسجع يكون مقبولاً مادام يجري في حدود الاعتدال والقصد والصنعة ، وذلك لأن الكتابة فنٌّ ولها قواعد ومبادئ ، والكاتب ينبغي دائماً أن يصفي كتابه من أوشاب الخطأ والضعف حتى يكون أسلوبه مصيباً وهدفه محققاً ، ونثره مقبولاً[٣٨٨] .

---

[٣٨٦]ـ نقلاً عن المصدر السابق ص ٢٠١.

[٣٨٧]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠١ .

[٣٨٨]ـ ينظر : المصدر السابق ص ٣٢ .

وهكذا ((بقيت طائفة من العلماء ـ حتى في عصور الانحطاط الأدبي ـ غير خاضعين لأسلوب تقليدي في عصرهم ، متحرّرين من السجع والبديع والصنائع والمحسنات اللفظية ، يكتبون ويؤلّفون في لغة عربية نقية ، وفي أسلوب مطبوع يتدفق بالحياة ، إذا قرأهُ الإنسان ملكه الإعجاب ، وآمن بفكرتهم ، وخضع لقصيدتهم ولما يقررونه ...))[٣٨٩] .

وكان من هؤلاء الأفذاذ الذين اختاروا هذه الطريقة ـ تمثيلاً لا حصراً ـ حسن علي اللكهنوي اللندني ، والعلامة محمود الجونفوري (ت ١٠٦٢هـ)، وأحمد ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)، وغيرهم كثيرون من الأدباء و الشعراء واللغويين ، الذين عُرفوا بعمقهم الفكري ، وفصاحة قولهم ، وخِصْبة أسلوبهم ، وتميزوا بإنشائهم المترسل ، وبحثهم العلمي العامر ، وبُعْدهم عن السجع النادر ، والتنميق الزاهر الذي كان له سحر على أصحاب الصناعة الأدبية ، والشادين باللغة العربية ، وبهذا الذوق الأدبي ، والنثر الطبعي السلس قاد العلماء والأدباء الحركة الأدبية الإنشائية في شبه القارة الهندية ، وكانوا من الدعائم القوية السامقة التي قام عليها قصر الأدب الرفيع ، والنثر الفني الرشيق[٣٩٠] .

١٢ـ اتصاف بعض المقامات الهندية ، والرسائل الفنية ، والخطب الدينية بالتراكيب النادرة ، والصيغ الغريبة الباهرة ، والجمل العجيبة الشاردة في كثير من فقراتها وسياقها مما سبَّب صعوبة في فهم النص ، وإدراك المعنى ، واستساغة العبارة لدى القارئ ، وجعله مضطراً إلى الاستعانة بالمعاجم العربية لفكّ رموزها ، وتذليل

---

[٣٨٩]ـ نظرات في الأدب ص ٣٠ .

[٣٩٠]ـ ينظر هذا الموضوع ودور علماء شبه القارة في الأدب العربي في : نظرات في الأدب ص ٧٣ـ ٧٤ .

صعابها ، وحلّ ألغازها .

وإليك ـ مثلاً ـ هذا المقطع من المقامة الثانية المسمّاة بـ: ((الخِطفة العقابية للفأرة المِسْكية)) لمحمد باقر المِدْراسي يقول فيها واصفاً الأحمق :((هل أتاكَ حديثُ الأحمقِ، وما أدراكَ ما الأحمقُ؟ الأزرقُ[٣٩١] الأهبقُ[٣٩٢]، المائنُ[٣٩٣] الأمرقُ[٣٩٤]، العاهنُ[٣٩٥] الأسرقُ ، المتّسقُ لبهُ من العَسَقِ[٣٩٦] الحالكُ وجهُ فهمهِ من بَهَقِ[٣٩٧] الرّهَقِ[٣٩٨] ،

---

[٣٩١]ـ هو شديد العداوة . لسان العرب مادة (زرق) .

[٣٩٢]ـ وهو اسم تفضيل ، والهِبِقُّ : كثير الجماع . لسان العرب ١٠ / ٣٦٤ مادة (هبق) .

[٣٩٣]ـ والمَيْنُ : الكذب ، وهو مصدر من : مانَ يمينُ مَيْناً : كذب .ينظر : لسان العرب ٤٢٥/١٣ مادة (مين) ، وتاج العروس ٢٢١/٣٦ المادة نفسها .

[٣٩٤]ـ من المَرَق ، وهو الخروج ، يقال : مَرَق السهمُ من الرمية مُروقاً : أي خرج من الجانب الآخر، والمارق: الخارج من الدين ، ومَرَقت البيضةُ : إذ فسدت . ينظر : لسان العرب ٣٤٠/١٠ مادة (مرق) ، والصحاح ١٥٥٤/٤ المادة نفسها .

[٣٩٥]ـ يقال : فلان عاهِنٌ : أي مسترخٍ وكسلانٍ .ينظر : لسان العرب ٢٩٧/١٣ مادة (عهن) ، وتهذيب اللغة ١٠٣/١ المادة نفسها .

[٣٩٦]ـ العَسَقُ : الظُّلمة ، وعُسْر الخلق ، يقال : في خُلُقه عَسَقٌ : أي التواء وضيق ، وعسر هذا إذا وصف بسوء الخلق وضيق المعاملة . ينظر: لسان العرب ٢٥١/١٠ مادة (عسق)، وتاج العروس ١٥٥/٢٦ المادة نفسها.

[٣٩٧]ـ مرض جلديٌّ ، وهو بياض يعتري الجلد يخالف لونه وليس من البرص . ينظر : تهذيب اللغة ٢٦٤/٥ مادة (بهق) ، والصحاح ١٤٥٣/٤ المادة نفسها .

[٣٩٨]ـ هو الجهل في الإنسان والخفّة في العقل ، والخباثة ، فيقال : به رَهَقٌ ، ورهقه يرهقه : إذا غشيه ولحقه .ينظر : تهذيب اللغة ٢٥٩/٥مادة (رهق) ، وتاج العروس ٣٨٠/٢٥ المادة نفسها .

النافذُ في نفقِ المَلَق[٣٩٩] ...))[٤٠٠] .

في هذا النموذج أوصاف بليغة ، وألفاظ عميقة ، سيقت في أسلوب نادر ، وتركيب غريب ، وهو أميل إلى التعقيد وأشبه بالألغاز ، وأبعد عن الإدراك ؛ لأنه عزيز الفهم، بعيد المنال ، صعب الإدراك ، فالقارئ لا يستوعبه في بادئ الأمر إلا بالرجوع إلى المعاجم والاستعانة بها ، وهناك نماذج أخرى من هذا النمط يُبحث عنها في المطولات[٤٠١] .

وهذا مجمل الأساليب التي كان يتبعها علماء شبه القارة الهندية في الكتابة الأدبية ، وهي بلا شك تدل على الملاحظات الفنية في الأدب العربي ، والذوق الأنيق في الكتابة العلمية ترشد القارئ إلى طريق البحث ؛ ليدرك من جمال الصنعة ، وإتقان الأسلوب ، وحسن الإبداع فيما أقدم إليه هؤلاء العلماء خدمةً للتفكير اللغوي ، والبحث الأدبي .

---

[٣٩٩]ـ والمَلَق ـ بالتحرك ـ وهو الودّ واللطف الشديد والتذلّل ، وأصله التليين ، ويقال : قد مَلِقَ ـ بكسر اللام ـ يَملَقُ مَلَقاً وتمَلّقَ ، أي : تودّد إليه وتلطّف له ، ورجل مَلَقٌ : أي يعطي بلسانه ما ليس في قلبه . ينظر : لسان العرب ٣٤٧/١٠ مادة (ملق) ، والصحاح ١٥٥٦/٤ المادة نفسها .

[٤٠٠]ـ مقامات ويلورية ص ٢٥٤ـ ٢٥٥ .

[٤٠١]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٣ـ ٢١٤ ، ومقامات ويلورية ص ٢٠٦ وما بعدها .

المبحث الثاني

أشهر الأدباء في النثر الفني ومؤلفاتهم فيه

١ـ السيد ناصر حسين الجَونَبوري :

هو ناصر حسين بن مظفر الحسيني الجَوْنَبوري، أحد فقهاء الشيعة، ولد ونشأ في جَونَبور، وقرأ الكتب الدراسية على كبار العلماء ، وأخذ عنهم معارفه الإسلامية ، ثم سار إلى لكهنؤ وتلقى عن المشايخ ، ثم سافر إلى الحرمين فمشاهد العراق وبعده إلى الهند. من مؤلفاته الأدبية: علم الأدب في مناهج كلام العرب ، ورسالة في الأدب بالعربية[٤٠٢] .

٢ـ الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي :

هو عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي ، المحدث المشهور ، الإمام الفقيه العالم ، وهو أول من نشر علم الحديث بأرض الهند تصنيفاً وتدريساً ، ولد سنة /٩٥٨ هـ/ بمدينة دِهْلي ، وقرأ القرآن على والده ، ثم قرأ الكتب الدراسية المختلفة وتعلم الكتابة والإنشاء ، وبدأ يتعمّق في مسائلها ، ثم سافر إلى الحج والتقى ثمة بطائفة من العلماء ، ونال منهم الإجازة العلمية ، ثم رجع إلى الهند مشتغلاً بالمطالعة وعاكفاً

---

[٤٠٢]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١١١٩/٧ ـ ١١٢٠ .

على البحث ، وأقام بدهلي فترة ونشر فيها العلوم ، ولا سيما الحديث ، كان متفوقاً على الأقران ، وسريع الاستحضار ، متوسعاً في المعقول والمنقول ، مطلعاً على العلوم والمذاهب .

من مصنفاته اللغوية والأدبية : منتخب المثنوي المعنوي ، وحسن الأشعار في جمع الأشعار، وحاشية الفوائد الضيائية واتباع الهوى الصبائية من الأول إلى وجه حصر الكلمة في الأقسام ومن بحث الفعل إلى آخر الكتاب، وتأليف القلب الأليف بكتابة فهرست التواليف . توفي عام / ١٠٥٢ هـ/ بدار الملك بدِهْلي[٤٠٣].

٣ـ شيخ الإسلام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي :

هو قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي ، العلامة الإمام ، الملقّب بشيخ الإسلام، ولد ولي الله سنة /١١١٤هـ/، فنشأ في بيت العلم والحكمة ، ونال علومه العربية والإسلامية وغيرها من كبار مشايخ عصره ومنهم والده الشيخ عبد الرحيم ، ثم ارتحل إلى أرض الحجاز وأقام في الحرمين عامين ، وتحصل على إجازات علمية ، ثم عاد إلى الهند بعدما أكرمه الله بنعم عظيمة ، ومميزات فريدة ، كان له حظ وافر من العلوم الظاهرة والباطنة ، والتزام بالطريقة

[٤٠٣]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٥٥٣/٥ وما بعدها ، ومحمد صديق بن حسن خان القنوجي في أبجد العلوم ـ الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، وضع فهارسه عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ـ دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ د ط . ـ ١٩٧٨ م ، ٢٢٨/٣ـ ٢٢٩ ، وسبحة المرجان ص ١١٥ .

الصوفية. من مؤلفاته الأدبية : أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم، شرح فيه بائيته ، وديوان الشعر العربي، توفي عام /١١٧٦هـ/ بمدينة دِهْلي[٤٠٤].

٤ـ مولانا عبد الرحيم الصفي بوري :

هو عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفي بوري ، الشيخ العلامة ، أحد العلماء المبرزين في النحو واللغة . من مصنفاته اللغوية والأدبية : غاية البيان في التصريف، والمسالك البهية في النحو ، وشرح المعلقات السبع ، وهو مختصر من شرح الإمام الزوزني ، ومنتهى الأرب في لغة العرب[٤٠٥] . توفي سنة /١٢٦٧ هـ / بكلكته[٤٠٦] .

٥ـ القاضي نجف علي الجَهْجَهري :

هو نجف علي بن عظيم الدين الحنفي الجَهْجَهري ، الملقّب بتاج العلماء ، الشيخ الفاضل ، أحد العلماء البارزين، والمشاهير الأذكياء، ولد بقرية جَهْجَرْ بقرب دهلي، وتعلم العربية وغيرها ، وكانت له اليد الطولى في اللغة والإنشاء والشعر ، وسائر الفنون الأدبية ، من مؤلفاته اللغوية والأدبية : شرح على مقامات الحريري في صنعة الإهمال ، وشرح على ديوان المتنبي ، وشرح على ديوان الحماسة ، وشروح على قصيدة البردة ، وقصيدة بانت سعاد ، والقصيدة الإمالية ، وله تعليقات على المطول . توفي سنة /١٢٩٩ هـ /[٤٠٧] .

---

[٤٠٤]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٦/ ٨٥٨ ـ٨٦٧ ، وأبجد العلوم ٢٤١/٣ـ ٢٤ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٤٢٣ .

[٤٠٥]ـ وهذا يقع في أربع مجلدات كبار ، كما قال عبد الحي الحسني في الإعلام ١٠٠٩/٧.

[٤٠٦]ـ ينظر: الإعلام لعبد الحي الحسني ١٠٠٩/٧، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٤٠٤.

[٤٠٧]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١١٢٠/٧ .

٦ـ مولانا جميل أحمد البلكرامي :

هو جميل أحمد بن أسلم بن غلام حسن الصديقي البلكرامي ، الشيخ الفاضل ، أحد الأدباء المشهورين في عصره ، ولد سنة / ١٢٣٤ هـ/ ، وقرأ العلم على العلماء ، ثم أقبل على المعارف الأدبية ، ولّي التدريس في مدرسة إنجليزية ببلدة جهبره ، واستقل به مدة طويلة . من مصنفاته: الدر النضيد في شرح الفرزدق في مدح سيدنا علي بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ ، توفي عام /١٢٩٤ هـ / بجهبرة[٤٠٨] .

٧ـ الشيخ أحمد بن محمد الشرواني اليمني :

هو أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الشرواني اليمني ، أحد الأدباء المشهورين في الإنشاء وقرض الشعر ، ولد ببلدةحديدة من أرض اليمن سنة /١٢٠٠ هـ / ، وأخذ الفنون الأدبية والإسلامية منذ الصغر عن كبار علماء عصره ، ثم قدم بلاد الهند وقرأ الكتب العلمية على العلماء والأفاضل ، ثم سار إلى بلدة كلكته ، وساح أكثر بلاد الهند.

من مؤلفاته اللغوية والأدبية : منهج البيان ، الشافي في العَروض والقوافي ، وبحر النفائس ، والجوهر الوقاد في شرح بانت سعاد ، وعجب العجائب ، وهو مجموعة من مكاتيبه ، ونفحة اليمن فيما يزول به الشجن ، وهو مختارات من الأدب المنثور والمنظوم في صورة الحكايات ، وحديقة الأفراح لإزالة الأتراح ، توفي سنة /١٢٥٦ هـ /[٤٠٩] .

---

[٤٠٨]ـ ينظر :المصدر السابق ٩٤٧/٧ .

[٤٠٩]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٠٣/٧ .

٨ ـ مولانا محمد سليم الجَوْنَبوري :

هو محمد سليم بن محمد عطاء الجعفري الجَوْنَبوري ، الشيخ الفاضل ، أحد العلماء المبرزين في العلوم الأدبية ، ولد سنة / ١٢٢٢هـ / ببلدة مجهلي شهر ، ونشأ بها ، وقرأ الكتب العلمية على علماء عصره ولازمهم ، ثم وُلّي القضاء وتدرج إلى الصدارة . من مصنفاته اللغوية والأدبية : هفوات الإلحاد في الأدب ، وميزان الوافي في علمي العَروض والقوافي ، وأبيات كثيرة بالعربية . توفي عام / ١٢٦٦ هـ / ببلدة أعظمكده[٤١٠] .

٩ـ السيد أبو بكر محسن باعبود السورتي :

هو أبو بكر محسن باعبود العلوي السورتي ، الشيخ العالم الكبير، أحد الأدباء المشهورين من أهل اليمن ، قدم الهند ، وسكن بمدينة سورت[٤١١]. من مؤلفاته اللغوية والأدبية: المقامات الهندية ، صنفها سنة /١١٢٨ هـ / ، ولا يعرف عن حياته شيء ، فإن معظم المراجع الهندية المهتمة بالتراجم قد غفلت عن ذكره إلا نزهة الخواطر فقد ورد فيه ترجمته في أربعة أسطر[٤١٢]، توفي بعد سنة /١١٢٨ هـ /[٤١٣].

١٠ـ الشيخ علي أكبر الشرواني :

هو علي أكبر بن مصطفى بن محمود الشرواني الشماخي الحيدر آبادي ، الشيخ

---

[٤١٠]ـ ينظر :المصدر السابق ١٠٩٥/٧ .

[٤١١]ـوهي تقع في الجنوب الغربي من الهند بولاية كُجْرات. ينظر: النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٤٥.

[٤١٢]ـ سأتحدث إن شاء الله عن كتابه : المقامات الهندية في بحث المقامات فلينظر ثمة .

[٤١٣]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٦٨٤/٦ .

الفاضل ، أحد العلماء المبرزين في الفنون الأدبية. من مصنفاته اللغوية والأدبية : المسائل التمرينية في الصرف، ومسألة الإخبار بالذي في النحو، والتحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية في اللغة صنفه سنة /١٣١٠ هـ /[٤١٤] .

١١ـ الشيخ محمد مؤمن الجزائري :

هو محمد مؤمن بن الحاج محمد قاسم الشيعي الجزائري ، الأديب المشهور ، والشيخ الفاضل ، ولد ونشأ بمدينة شيراز، وقرأ العلوم العربية والإسلامية على كبار العلماء ، وكذا درس الفنون الحكمية والطب حتى برز في كثير من الفضائل ، ثم قدم الهند، وساح بلاد الدكن. من مصنفاته اللغوية والأدبية : جامع المسائل النحوية في شرح الصمدية البهائية ، وهو شرح مبسوط ، وبيان الآداب ، وحل الأبيات ، وتميمة الفؤاد من ألم البعاد في نوادر الأشعار ، وثمر الفؤاد وسمر البعاد ، ومحاسن الأخبار ومجالس الأخيار ، وطيف الخيال في مناظرة العلم والمال ، وله شعر[٤١٥] .

١٢ـ الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الصفي بوري :

هو أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم الحنفي الصفي بوري ، أحد العلماء المبرزين فيالعلوم الأدبية ، أخذ علومه عن والده.له شرح على قصائد عرفي . توفي سنة /١٢٦٠ هـ/ ونيفاً بكلكته[٤١٦] .

---

[٤١٤]ـ ينظر : المصدر السابق ٨/ ١٣١١ ، وقال عنه أبو الحسن الندوي معلقاً عليه في الهامش : لم نعثر على سنة وفاته.

[٤١٥]ـ ينظر : المصدر السابق٦/ ٨٣٩ ـ ٨٤٠ .

[٤١٦]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ٨٩٩ .

١٣ـ الشيخ بناه عطاء السلوني :

هو بناه عطاء بن كريم عطاء بن محمد بناه العمري السلوني ، الشيخ العالم الصالح ، أحد كبار المشايخ الجشتية ، ولد سنة /١٢٠٠ هـ / بسَلون ـ بفتح السين المهملة[٤١٧] ـ ، ونشأ بها في مهد العلم والمشيخة ، وقرأ الكتب الدرسيةفي الفنون الأدبية والدينية ، وتلقى علومه عن كبار المشايخ. من مصنفاته الأدبية: النجم الثاقب لمن يكاتب وهو في تعليم الإنشاء، والدر النظيم ، وبهجة المجالس،وله غير ذلك من الرسائل والكتب[٤١٨]. توفي عام /١٢٧٥هـ/ في قرية سلون[٤١٩].

١٤ ـ الشيخ حسين بخش الكاكوروي :

هو حسين بخش بن مير محمد بن محمد كاشف العلوي الحنفي الكاكوروي ، الشيخ العالم الفقيه ، أحد الأدباء اللغويين والعلماء الصالحين ، ولد سنة / ١٢٠٣ هـ / بكاكوري ، وقرأ العلم على العلماء ، واشتغل بالتدريس والتأليف . من مصنفاته اللغوية والأدبية : نفحة الهند في الأدب ألفها في جواب نفحة اليمن للشرواني وعلى نمطه ، وهذا الكتاب في صورة الحكايات ، واختلاف البصريين والكوفيين في النحو، وضروريات الأدباء في البديع. توفي عام /١٢٥٨هـ/ ببلدة إتاوه[٤٢٠] .

---

[٤١٧]ـ وهي من أعمال رائى بريلي في الهند . ينظر : المصدر السابق ٩٣٨/٧ .

[٤١٨]ـ وهذه الكتب لا يعرف عنها شيء ، ويبدو أنها مفقودة كما صرَّح بذلك في كتاب النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٤٩ وهي بحسب عناوينها الظاهرة تدلُّ على أنها منتخبات ومختارات من قصص وحكايات للنصوص الأدبية.

[٤١٩]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ٩٣٧ـ ٩٣٨ .

[٤٢٠]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ٩٥٦ .

١٥ـ الشيخ رضا حسن الكاكوروي :

هو رضا حسن بن أمير حسن الكاكوري ، الفيلسوف ، الرياضي ، الأديب الشاعر، الناقد البارع ، وأحد العلماء المشهورين ، ولد سنة / ١٢٤٦ هـ /[٤٢١] في مدينة كانبور[٤٢٢] في بيت علمٍ وثراءٍ ،واشتغل بالعلم على علماء وقته ، ودرس العلوم العقلية والدينية واللغوية ولاسيما اللغة والأدب ، ودرّس وألّف في ريعان شبابه ، وكان يكتب نثراً مرسلاً فصيحاً وله موهبة غريبة في الكتابة والتأليف ، ونظم الشعر .

من مؤلفاته الأدبية : أنموذج الكمال ، قصيدة على وزن البُردة ، وشرح عليها ، ونفحة الهند وريحانة الرند في مجلدين ، الأول منهما : في شرح لامية العجم ، وهو ملخّص من شرح صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، والثاني : يشتمل على خمسة أبواب ، الأول : في الحكايات اللطيفة ، والثاني : في لطائف الأشعار ، والثالث : في تلخيص سبحة المرجان ، والرابع: في تلخيص سلافة العصر، والخامس : في الرسائل البديعة، وله بستان الأدب في لطائف العرب، واعتراضات على نفحة الأدب.توفي سنة /١٢٦٦ هـ/[٤٢٣].

١٦ـ مولانا علي عباس الجريّاكوتي:

هو علي عباس بن إمام علي العباسي الجرّياكوتي،الشيخ الكبير ، والعالم الفاضل، أحدالأدباء المشهورين، ولد بجريّاكوت، وتتلمذ علىبعض المشايخ، واشتغل بالدراسة والمطالعة ثم سافر إلى حيدر آباد فبهوبال وأقام بها، وخدم الدولة الآصفية مدة طويلة

---

[٤٢١]ـ في النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٥٦ ولد سنة /١٢٦٣ هـ / .

[٤٢٢]ـ وهي تقع في الإقليم الشمالي بالهند . ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٥٦ .

[٤٢٣]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ٩٧٢ .

ونال منها فضائل . من مصنفاته اللغوية والأدبية: خلاصة الصرف ، وأبحاث الصريف في التصريف ، وحل الكافية في النحو ، وميزان الأوزان ، وله قصائد في مدح الأمراء وهجائهم، والمكاتيب والتقاريظ. توفي سنة/ ١٣٠٢ هـ/ بجريّاكوت[٤٢٤] .

١٧ـ الشيخ أوحد الدين البلكرامي:

هو أوحد الدين بن علي أحمد العثماني البلكرامي ، الشيخ الفاضل ،كان من كبار العلماء ، ولد ونشأ ببلْكرام ، وسافر للعلم ، وتتلمذ على كبار العلماء ، وتحصل على العلوم العربية والإسلامية ، واشتغل بالتدريس والإفادة ، والتأليف والمطالعة .

من مصنفاته اللغوية والأدبية : مفتاح اللسان في الأساليب ، والأمثال العربية ، وتذكرة شعراء العرب ، وشرح على قصيدة بانت سعاد ، وشرح على ديوان المتنبي ، وشرح على مقامات الحريري ، وله أيضاً مجموع في مراسيله بالعربية والفارسية ، وقصائد غراء في الشعر . توفي سنة / ١٢٥٠ هـ /[٤٢٥] .

١٨ ـ مولانا ذو الفقار علي الديوبندي:

هو ذو الفقار علي بن فتح علي الديوبندي ،الشيخ النبيل ، أحد العلماء المشهورين في الفنون الأدبية ، ولد في ديوبند ، ونشأ بها ، وسافر للعلم إلى دهلي ، فقرأ الكتب الدرسية على علمائها المعروفين ، ولازمهم ملازمة طويلة حتى برع في المعاني والبيان ، وقرض الشعر ، والنحو وفاق أقرانه ، ثم قُلّد تفتيش المدارس الابتدائية من

---

[٤٢٤]ـ بتشديد الياء التحتية والتاء المعجمة ، وهي قرية من أعمال أعظم كده بالهند . ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١٣١٢/٨ـ ١٣١٣ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٤١٠ـ ٤١١ .

[٤٢٥]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٢٩/٧ـ ٩٣٠ ،والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٣٨٨ .

تلقاء الحكومة وبعده أُحيلَ إلى المعاش من آثاره الأدبية : التبيان شرح ديوان المتنبي ، وتسهيل الدراسة في شرح ديوان الحماسة ، وعطر الوردة شرح القصيدة البردة ، والتعليقات على سبع المعلقات ، والإرشاد إلى بانت سعاد ، وله قصائد رائقة بالعربية. توفي سنة /١٣٢٢هـ / بديوبند[٤٢٦] .

١٩ـ مولانا باقر بن مرتضى المِدْراسي:

هوباقر بن مرتضى الشافعي المِدْراسي ، أحد العلماء المشهورين ، والأدباء البارزين ، ولد سنة /١١٥٨ هـ /بوَيْلُوْر[٤٢٧] ، تلقى فيها مبادئ العلوم الأساسية عند علمائها ، ثم سافر إلى بعض المدن طلباً للعلم ، واشتغل بمطالعة الكتب والدراسة حتى أحكم العلوم الإسلامية والعربية وبرز في ذلك على أقرانه ، وتأهل للفتوى والتدريس ، ثم وُلِّي ديوان الإنشاء في مِدْراس لدى أميرها ، وهو أول من نقل العلوم الدينية من العربية إلى الهنديةبناحية مِدْراس ، وكانت له اليد الطولى في العربية .من مؤلفاته اللغوية والأدبية : مقامات وَيْلُورية[٤٢٨] ، وله رسائل بليغة جمعها في شمائم الشمائل في نظام الرسائل ، وديوان شعر في مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعشرة الكاملة فيها عشر قصائد على منوال المعلقات العشر ، وله ديوان آخر في الغزل والنسيب . توفي سنة /١٢٢٠ هـ /[٤٢٩] .

---

[٤٢٦]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٨/١٢٢٥ـ ١٢٢٧ .

[٤٢٧]ـ وهي من أعمال مِدْراس في الهند . ينظر : المصدر السابق ٧/٩٣١ .

[٤٢٨]ـ سأتحدث عن هذه المقامات مفصّلاً إن شاء الله في بحث المقامات ونماذجها وأسلوبها ، وكتابه الآخر المسمى بـ : شمائم الشمائل في بحث الإنشاء والترسل . فلينظر ثمة .

[٤٢٩]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/٩٣١ـ ٩٣٤ ، وأبجد العلوم ٣/٢٥٥ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٣٨٨ـ ٣٨٩ .

٢٠ـ المفتي عباس التستري اللكهنوي:

هو عباس بن علي بن جعفر الموسوي التستري اللكهنوي ،أحد كبار الأدباء ، ولد بلكهنؤ سنة/ ١٢٢٤هـ /فنشأ بها ،وفيها تتلمذ على مشايخ عصره ، وقرأ عليهم الكتب العلمية في مختلف العلوم ، ثم اشتغل بالتدريس والإفادة ، وكلِّف بالإفتاء في ديوان الوزارة ، وبقي فيه مدة طويلة ، ولُقِّبَ بتاج العلماء وافتخارالفضلاء ، كان بارعاً في الأدب والإنشاء ، وقرض الشعر بالعربية والفارسية.

من مؤلفاته الأدبية : منٌّ وسلوى، وديوان رطب العرب ، وقصائد أخرى كثيرة ، ورياض الإنشاء ، والظل الممدود في الإنشاء العربي .توفي سنة /١٣٠٦ هـ / في لكهنؤ[٤٣٠] .

٢١ـ مولانا فيض الحسن السهارنبوري:

هو فيض الحسن بن علي بخش بن خدابخش السهارنبوري ، العالمالكبير ، قرأ المختصرات على والده ، ثم سافر إلى مدنٍ لتلقي العلم من علمائها ، واشتغل بالقراءة والمطالعة حتى تمكن من العلومالإسلامية والعربية ، ثم وُلّي التدريس في الكلية الشرقية بلاهَوْر ، وانتهت إليه رئاسة الفنون الأدبية . من مؤلفاته الأدبية : ديوان شعر يشتمل على قصائد غرّاء ، وشرح بسيط على ديوان الحماسة ، وشرح بسيط على المعلقات السبع . توفي سنة / ١٣٠٤ هـ /[٤٣١].

---

[٤٣٠]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١٢٥٦/٨ـ ١٢٥٧ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٤١٨.

[٤٣١]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٨/ ١٣٢٨ـ ١٣٣٠، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٤١٤.

٢٢ ـ مولانا إله داد بن كمال اللكهنوي :

هو إله داد بن كمال الدين بن محمد الحسيني اللكهنوي ، أحد العلماء المشهورين ، ولد ونشأ بلكهنؤ ، وأخذ العلم عن علمائها ، ثم اشتغل بالتدريس والإفتاء والتأليف ، كان بارعاً في الفقه وأصوله والعربية ، ذكرت له رسالتان ، إحداهما : القيطون ، وهي خمس مقامات ، كتبها المؤلف على نهج الحريري ، والثانية : رسالة بطريقة الجدول تستخرج منها مسائل أربعة عشر علماً ، ولكن شُكِّك في صحة نسبة هاتين الرسالتين إليه من قبل العلماء ، فإن صحّت النسبة إلى مؤلفهما ، فإنهما ـ ولاسيما رسالة القيطون ـ أَوْلى محاولة في الهند لتأليف المقامات على نهج الحريري ، وله رسالة أخرى في النحو باسم القطبي . توفي سنة /٩٩١ هـ /[٤٣٢] .

٢٣ـ المفتي إلهي بخش الكاندهلوي :

هو إلهي بخش بن شيخ الإسلام ابن قطب الدين بن عبد القادر الصديقي الكاندهلوي، الشيخ الفاضل ، أحد العلماء المبرزين في المعارف الإلهية، ولد سنة /١١٦٢ هـ / في بلدة كاندهلة[٤٣٣]، وأخذ العلم عن علماء عصره ومنهم والده ، ثم سافر إلى دهلي ، وقرأ على كبار أساتذتها ، ثم انتقل إلى مدينة بهوبال حيث تولى منصب الإفتاء في تلك الإمارة ، وأخذ الطريقة القادرية النقشبندية ، وكان له باع في الحديث وعلم الرجال ، والسيرة ، وخبرة بالشعر والأدب . من مصنفاته الأدبية : خطبات بالحروف المهملة ،

---

[٤٣٢]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٣/٣١٢ـ ٣١٣ .

[٤٣٣]ـ وهي تقع في مديرية سهارنبور في الإقليم الشمالي بالهند ، وتبتعد عن دهلي مسيرة ستة وثلاثين ميلاً . ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/٩٢١، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٤٣.

ورسائل بالعربية ، وله بعض المكاتيب إلى معاصره الأديب الشرواني[٤٣٤] ،وتكملة المثنوي المعنوي . توفي عام / ١٢٤٥ هـ / بكاندهلة[٤٣٥].

٢٤ـ مولانا شجاع الدين الحيدر آبادي :

هو شجاع الدين بن كريم الله بن القاضي محمد دائم العلوي الحيدر آبادي ، الشيخ العالم الصالح ، أحد العلماء المشهورين ، ولد سنة /١١٩١هـ/ بمدينة برهانبور، وقرأ الكتب الدراسية على علماء زمانه ، ثم ذهب إلى حيدر آباد وقد أخذ الطريقة الصوفية ، وبها تصدّر للتدريس والإفادة . من مصنفاته الأدبية : منظومة في الفقه بالعربية ، سمّاها جوهر النظام ، ورسائل في السلوك، ومراسلات، وخطب، وقصائد بالعربية والفارسية. توفي عام/١٢٦٥هـ/ بحيدر آباد[٤٣٦].

٢٥ـ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس :

هو أبو بكر ، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحضرمي ، المؤرّخ ، الشاعر ، الصوفي ، حضرمي الأصل ، ولد بأحمد آباد[٤٣٧] سنة / ٩٧٨ هـ /، وبها نشأ، ودرس العلوم الدينية والعربية على والده وعلى غيره من كبار علماء العصر بكُجْرات، ثم اشتغل بالتدريس والتأليف بعدما أخذ الطريقة الصوفية من والده ، وحظي بمكانة كبيرة لدى الأمراء والملوك لعلمه وفضله وصلاحه ، وكان شيخ الطريقة

---

[٤٣٤]ـ وهذه المكاتيب ورد بعضها في كتاب : حديقة الأفراح للشرواني . ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٤٤ .

[٤٣٥]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/٩٢١ـ ٩٢٢ .

[٤٣٦]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩/٩٨٥ .

[٤٣٧]ـ وهي بلدة في إقليم كُجْرات بالهند . ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٦٧ .

العيدروسية في عصره ، من مؤلفاته الأدبية : شرح القصيدة النونية ، وديوان شعر ، سمّاه بالروض الأريض والفيض المستفيض ، ومكاتيب. توفي سنة /١٠٣٨ هـ / بأحمد آباد[٤٣٨] .

٢٦ـ مولانا عبد القادر الرامبوري :

هو عبد القادر بن محمد أكرم بن أسلم الهروي الدهلوي الرامبوري ، الشيخ الفاضل ، الرياضي ، المؤرّخ ، الأديب ، أحد العلماء المبرزين والمكثرين في التأليف، ولد برامبور سنة /١١٩٧ هـ / ، ودرس الكتب المتداولة على علمائها ، وُلّي وظائف عديدة في مدن مختلفة ، حتى نال الصدارة بمدينة سهارنبور ، كان متضلعاً في العلوم الإسلامية ، والأديان، وبارعاً في العلوم العربية وآدابها ، ومتقناً للغات ومنها العربية ، وأنشأ في كل منها أشعاراً في نهاية الرشاقة . من مؤلفاته الأدبية : رسالة في الإنشاء ، وبعض الرسائل في العربية ، ورسالة مختصرة في العروض ، ورسالة في الحكايات . توفي سنة /١٢٦٥ هـ / بمدينة رامبور[٤٣٩].

٢٧ ـ مولانا غياث الدين الرامبوري :

هو غياث الدين بن جلال الدين بن شرف الدين الصديقي الرامبوري ، الشيخ الفاضل الحكيم ، أحد الأفاضل المشهورين ، ولد برامبور ، وقرأ العلم على العلماء وانتفع بهم ، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه في اللغة ، والطب ، وغيرهما. من مصنفاته اللغوية والأدبية: غياث اللغات وهو أشهرها ، ومنتخب العلوم ، وخلاصة

---

[٤٣٨]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٤/ ٥٦٩ـ ٥٧٠ .

[٤٣٩]ـ ينظر : المصدر السابق ٧/ ١٠٢٦ـ ١٠٢٧ .

الإنشاء ، ورسالة في العروض والقافية ، وشرح وتعليقات على الدواوين الفارسية . توفي سنة / ١٢٦١ هـ /[٤٤٠] .

٢٨ـ أبو الفيض بن المبارك الناكوري :

هو أبو الفيض بن المبارك الناكوري فيضي الأكبر آبادي ، ملك الشعراء، العلامة الفاضل، ولد سنة /٩٥٤ هـ / بمدينة أكره ، وقرأ العلم على والده ، وأخذ الفنون العربية والأدبية عن كبار علماء عصره ، ثم أقبل على قرض الشعر ، وخاض كثيراً في العلوم الحكمية والعربية والأدبية والطب ، ولم يماثله أحد في الفصاحة والمتانة في عصره إلا أنه رُمي بالإلحاد والزندقة لعداوته لأهل الإسلام ، والحط من السلف الصالح . من مصنفاته الأدبية والشعرية : لطيفة فيضي ، وهو مجموع رسائله جمعها ابن أخته نور الدين محمد بن عبد الله الشيرازي ، وطباشير الصبح ، وهو ديوان شعره وفيه تسعة ألاف بيت ، وله ديوان آخر في قصائده ، وموارد الكلم وهو غير منقوط في الأخلاق ، وسواطع الإلهام في التفسير وهو غير منقوط أيضاً . توفي في أكره عام / ١٠٠٤ هـ / ، وقيل : بمدينة لَاهَوْر[٤٤١] .

٢٩ـ الشيخ بهلول البركي:

هو بهلول البركي الجالندري الأفاغني، الشيخ الفاضل ، كان من العلماء المبرزين في العربية ، والفقه ، والأصول ، قرأ العلم على العلماء في بلدته جالندر، ثم أخذ الطريقة الصوفية وبعدها سافر إلى لاهَوْر ، واستفاد من مشاهيرها .

---

[٤٤٠]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١٠٥٩/٧ .

[٤٤١]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٣/ ٤٧٢ـ ٤٧٥ ، وأبجد العلوم ٢٢٤/٣ـ ٢٢٥ ، وسبحة المرجان ص ١٠٢ـ ١٠٣ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٣٨٠ .

من مؤلفاته الأدبية : شرح ديوان الحافظ ، وديوان شعر . توفي عام / ١١٧٠ هـ / بجالندر[٤٤٢] .

٣٠ ـ مولانا غلام إمام الحيدر آبادي :

هو غلام إمام بن منصور بن مكارم بن غلام محمد الأفغاني الحيدر آبادي، أحد العلماء المبرزين في كثير من العلوم ، ولد سنة /١٢٢٣ هـ / بحيدر آباد ونشأ بها ، وقرأ العربية والكتب الإسلامية على أساتذة بلدته ، ثم تعلم الخط والفروسية والفنون الحربية ، والرياضية ، حتى برع في تلك الفنون والعلوم وفاق أقرانه ، ثم قصر همته على التدريس والإفادة . من مصنفاته الأدبية : مائة رسالة إلى أحبابه في الإنشاء ، وله مزدوج ، وديوان شعر ، توفي عام / ١٢٨٥ هـ / بحيدر آباد[٤٤٣] .

٣١ ـ سراج الهند حجة الله الشيخ عبد العزيز الدهلوي :

هو الشيخ عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ، الملقّب بـ : سراج الهند ، أو بحجة الله ، ولد سنة /١١٥٩ هـ / ، نشأ وتفقه في بيت العلم ، أخذ علومه الأساسية عن أبيه وعن غيره من علماء وقته ، وحفظ القرآن ، وبرع في كثير من العلوم الإسلامية والعربية وغيرها ، وكانت له مهارة في الرمي ، والفروسية ، والموسيقى ، ثم انشغل بالتدريس والإفادة ، والمطالعة والتأليف. من مؤلفاته الأدبية واللغوية : شرح على أرجوزة الأصمعي ، وميزان البلاغة ، وتخميس نفيس على قصيدتي والده البائية والهمزية .

---

[٤٤٢]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٦/ ٧٠٤ .

[٤٤٣]ـ ينظر :المصدر السابق ٧/ ١٠٥١ .

توفي عام / ١٢٣٩هـ/ بدهلي[٤٤٤] .

٣٢ ـ السيد عبد الفتاح الكلش آبادي :

هو عبد الفتاح بن عبد الله الحسيني النقوي الكلش آبادي ، الشيخ العالم ، أحد الفقهاء المشهورين ، ولد سنة /١٢٣٤ هـ / ، وقرأ العلم على كبار العلماء في وقته ، وبعد التحصيل والإفادة وُلّي الإفتاء بخانديس واستقام به مدة ، ثم قُلّد التدريس بالمدرسة الكلية بمنبئ مدة طويلة ، حتى أُحيلَ إلى المعاش ، لقبته بريطانيا بخان بُهادُر . من مصنفاته الأدبية : أشرف الإنشاء ، وصد حكاية ، وديوان شعر[٤٤٥] .

---

[٤٤٤]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١٠١٤/٧ ـ ١٠١٨، وأبجد العلوم ٢٤٤/٣ـ ٢٤٥ ،والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

[٤٤٥]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١٢٨٦/٨ ، وقال عنه أبو الحسن الندوي في الهامش : لم نعثر على سنة وفاته .

الفصل الثالث

أنواع النثر الفني العربي في شبه القارة الهندية

المبحث الأول

الخطابة في شبه القارة الهندية

تُعدُّ الخطابة[٤٤٦] في الأدب العربي من أهم أقسام النثر الفني ، وعناصره المهمة ، فلا يخلو أديب ماهر ، ولا مفكر مبدع يتعرّض للدراسات الأدبية ، وفنونها المختلفة ، وإلا ويذكر شيئاً من معالمها الفنية ، وآثارها التاريخية ، وبذلك شكلّت الخطابة أهمية كبيرة ، واحتلّت مكانة بارزة من بين الفنون العربية ولدى علمائها اللغويين ؛ لما لها تأثير على المجتمع والسامع ، واستثارة للأذهان والمشاعر ، واستمالة للقلوب والعواطف ، ومخاطبة للعقل والمنطق .

وكلُّ مَنْ يتتبّع أقوال الكتّاب ، ومصنّفات الأدباء يدرك رعايتهم للخطابة ، واهتمامهم بشأنها في الميادين الأدبية ، والفنون الأثرية .

---

[٤٤٦]- وهي ((كلام يحاول به إقناع أصناف السامعين بصحة غرض يقصده المتكلم لفعله ، أو الانفعال به)) . محمد الطاهر بن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، مطبعة النهضة ، تونس .- ط ١ . - ١٣٣٩هـ ، ص ٤٥.

وبهذا الاعتبار تكون الخُطْبة جزءاً من العلوم الأدبية ، وتسدُّ ثَغْرة من ثغراتها ، وقد كانت في صدر الإسلام من مستلزمات المناصب السياسية والإدارية والعسكرية ، فكان يعتمد عليها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والخلفاء الراشدون من بعده ، وأمراء الجيش ، وعمال الأمصار وغيرهم للدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ ونشر مبادئه ، وتبليغ رسالته ، ويرسمون بها سياسة الدعوة الجديدة ودستورها السماوي[٤٤٧].

ولذلك ازدهرت الخطابة في هذا العصر ازدهاراً ملحوظاً ، وتأثّرت بالإسلام واضحاً جلياً، فجاءت ذروةً من بين أنواع النثر ، وأداةً لإقناع الجمهور ، ووسيلة للدعوة إلى الدين ، فاسْتُعِينَ بها لدلالة الحق والهدى والصلاح والإرشاد ، وعرض المحاسن واستبيان المفاسد ، وقمع الظلم وإخماد الفتن ، وتحريض الجنود وتخويف الأعداء ، وتفنيد الآراءوإجهار الصدق ، وإعلان العدالة والدفاع عن الرأي ، والتعبير عن الحق وحجاج المشركين ، وإبطال رأي المنكرين وتسفيه أحلام المستكبرين .

ولذلك استعملت في المواقف ، وبلغت قِمّتها في الأدب ، واستكملت عناصرها في الفنّ ، وظهر فيها الكثير من أعلام الخطباء ،ومصانع البيان، وأساطين البلاغة، وحصلت لها العظمة والرقي مع عظمة الإسلام ، ومسّت الحاجة إليها حتى أضحت أوسع مجالاً من الشعر ، واتخذت للتعبير عن المدارك والحقائق للدعوة إلى الله ، وللمناقشة والجدال عن الآراء .

وبذلك أصبحت الخطابة ملازمة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلفائه الراشدين ، فاتخذوها من بعده وسـيلة يحدِّدون بها سياستهم ، ويسنّون بها قوانينهم خلال فترة

[٤٤٧]ـ ينظر : تاريخ الأدب العربي لعمر فروّخ ص ٢٥٦/١ ، وجواهر الأدب ١٠٨/٢ وما بعدها .

حكمهم للدولة ، ومعاملاتهم مع الناس[٤٤٨] .

وظلت الخطابة في العصر الأموي تتقدم وتتطور كما تقدمت في صدر الإسلام ، ويستمرّ نموّها في أرجاء البلاد ؛ لكونها أداة فعّالة للدعوة الإسلامية ونشر أحكامها ، ووسيلة إعلامية للفرق الإسلامية وأحزابها السياسية ؛ ولذلك اعتمد عليها الخلفاء والأمراء لتوطيد الملك ، وتحميس الجند ، واستقبال الوفود ، وغير ذلك من الأغراض التي تعدّدت أهدافها ، وتنوّعت مقاصدها .

ونظراً لأهمية الخطابة في المجتمع وتأثيرها البالغ في النفوس ، فكان الخطباء يعتنون بها عناية واسعة بجودة السياقة ، وجمال الوصف ، وبلاغة الحجة ، وأناقة اللفظ ، واختيار الموضوع وفق متطلبات الحال ، ومقتضى الحياة الإدارية والسياسية والدينية ، ويصرفون القول في موضوعاتها بالإقناع والوعيد ، والإيجاز والإطناب عند مخاطبة الجموع ، ومواجهة الشدائد .

وأمّا في العصر العباسي ، فقد اختلف حال الخطابة ، وتغيرت الأنظار إليها ما بين قوة وضعف، ووعد ووعيد، وإطناب واقتضاب ففي أوله استمرت الخطابة شبيهة بالعصر الأموي مكانةً وازدهاراً ، وأغراضاً ومتانةً ، وأمّا في آخره فلمّا قام الموالي بسياسة الدولة ، وقيادة الجيش ، والتدخّل في شؤون الحكم ، ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها، وقلة الدواعي إليها، وقَصُرَت على خطب الجُمع والعيدين والزواج، كما

---

[٤٤٨]- وللوقوف على الخطابة ودورها في العصر الإسلامي ينظر : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام لبطرس البستاني ص ٣٥٩ ، والوسيط في الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ٩١ وما بعدها ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٥٤- ٥٥، وتاريخ الأدب العربي للزيات ص ١٢٨ .

قال أحمد حسن الزيات[٤٤٩] ، وحتى الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون الناس ويؤمونهم في الصلوات .

ولما ضاعت هيبة الدولة ، وفُقِدَت قوتهم ، وسيطر بنو بُوَيْه على الحكم العباسي عهدوا بالخطابة والإمامة إلى ذوي الكفاءة من العلماء الأجلاء ، فنبغ في آخر هذا العصر طائفة من الأدباء الأفاضل فاشتهروا بالخطابة ، وكان منهم الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، والخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، وهكذا بقيت محصورة على ثلّة من العلماء واستعجم المسلمون، وملك العيُّ ألسنتهم ، فلم يستطيعوا إنشاء الخطب في الموضوعات المختلفة كما كانت من قبلُ ، وبقي الأمر كذلك فترة طويلة[٤٥٠] .

وللخطابة أنواع كثيرة، وكان من أشهرها: الخُطَبُ السياسية، والدينية، والاجتماعية وخُطَبُ الحضّ على القتال والجهاد ، وخُطَبُ المحافل ، وخُطَبُ الوفود، وخُطَبُ القضاء .

كما أن العصور الإسلامية الأولى قد عرفتأئمةً كباراً من الخطباء اُشْتُهِروا ببلاغة القول، وفصاحة البيان ، ودقة الصياغة ، وعمق المعاني ، وسرعة البداهة سوى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي كان أخطب العرب قاطبة ، فقد كان يخطب في قريش وأمام الوفود في مواسم الحج يدعوهم إلى الدين الإسلامي ، وعبادة الله الواحد الأحد ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الجَوْر إلى العدالة ، ولما هاجر إلى

---

[٤٤٩]ـ ينظر : تاريخ الأدب العربي ص ١٥٨ .

[٤٥٠]ـ وللوقوف على الخطابة ودورها في العصرين الأموي والعباسي ينظر : تاريخ الأدب العربي للزيات ص ١٥٨ ، وأدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام لبطرس البستاني ص ٣٥٩ـ ٣٦٠ ، وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ص ٤٤٨ وما بعدها .

المدينة المنورة أصبحت الخطابة فريضة في صلاة الجمعة والعيدين ، وكانت خطاباته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أوجز الخطب وأدقّها وأبلغها .

وكذلك خطب الخلفاء الراشدين الذين اقتدوا بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطبه أسلوباً وبلاغة ، بداية ونهاية ، وزيّنوها بآيات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، ولهم نماذج من الخطب ، وشواهد كثيرة في الموضوع .

وأمّا الذين جاءوا بعدهم في العصور الأخرى، فكان من أشهرهم : سحبان وائل (ت٥٤هـ)، وزياد بن أبيه (ت ٥٣ هـ) ، والحجّاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥ هـ) ، وقطري بن الفجاءة (ت ٧٨هـ) ، وخالد بن صفوان (ت ١٣٥هـ)، وغيرهم ، وكان لهؤلاء الخطباء شأن رفيع ، وشأوٌ بعيد في العصرين الأموي والعباسي ، ولخطبهم تأثير في النفوس ، وسلطان على القلوب[٤٥١] .

أولاً ـ أهميتها العلمية في شبه القارة:

ازدهرت الخطابة في العصر المغولي ازدهاراً بارعاً ، وانتشرت انتشاراً واسعاً ؛ لكونها أداة للدعوة الإسلامية ، ووسيلة من أهم الوسائل للحركة الدينية ، واستصحب علماء شبه القارة هذا الازدهار بالعناية والتأليف في مختلف المناسبات ؛ حيث ظهر في كتابة الخطابة خلال ذلك العصر خطباء كبار معروفون بالبلاغة والفصاحة ، وقوة التعبير وحسن الترتيب ، ومشهودون لهم بمتانة الأدلة ، وعُذوبة الفكر ، وكانت تلك الخُطَب تأتي رصينة الحجة ، حصينة البيان ، وسيعة المعنى .

---

[٤٥١]ـ ينظر هؤلاء الخطباء ودورهم البارز خلال العصرين الأموي والعباسي في : تاريخ الأدب العربي للزيات ص ١٢٨، ١٥٨ ، وجواهر الأدب ١٠٨/٢ وما بعدها ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروّخ ٢٦٠/١ وما بعدها ، والوسيط في الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ٩٨ وما بعدها .

وكانت موضوعات الخُطَب متنوعة تشمل الإيمان بالغيبيات ، والقيم والأخلاق ، وسيرة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة العظام ، والقضايا الاجتماعية والسياسية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذَّوْد عن الشريعة ودفع الشبهات عنها ، ومحاربة البدع والخرافات، ورفع الظلم والاستبداد ، وغيره من الموضوعات مما فيه سعادة البشرية ، وصلاح الأمة في هذه الدنيا .

وهذه الخُطَب بموضوعاتها المتعدّدة في شبه القارة كانت مؤثرة في المجتمع الإسلامي ومهمة في الوعي الثقافي ؛ إذ أيقظت القلوب من رقودها ، وحركت الضمائر من ركودها، وأثارت الحماسة لدى شعوبها اتجاه هذا الدين وقضاياه المقدسة.

والخطابة بهذا المفهوم تُعدُّ قسماً مهماً في النثر الفني ، وفَرْعاً بارزاً من بين أنواعه ، ولا تخفى أهميتها الظاهرة على القارئ ، ومكانتها العالية لدى المستمع ؛ إذ ما من أديبٍ إلا ويذكرها ضمن أقسام النثر الفني ، وما من دارسٍ للأدب العربي إلّا ويرى عنوانها جلياً في محتوى موضوعاته .

وهذه النظرة من الأدباء، والاعتبار من الكتّاب يدفع الاحتمال الذي ذهب إليه الدكتور محمد عارف نسيم وتردّده بأن الخطابةقد تكون من النثر قائلاً ـ لدى حديثه عن النثر العربي في شبه القارة الهندية الباكستانية ـ ((ولكن عندنا بعض المؤلفات الآتية قد تُقدَّر من النثر الفني))[٤٥٢] وذكر خُطب الشيخ نظام الدين أولياء، والشاه وليّ الله الدهلوي ، ومحمد إسماعيل الشهيد ، وغيرهم من الخطباء الأفاضل .

---

[٤٥٢]ـ مقامات ويلورية ص ١٠٨ .

أنواع الخطابة :

هذا ولم أرَ تفصيلاً حول أنواع الخُطَب لدى علماء شبه القارة ، ولا دراسة مستقلة عن الموضوع ، وإنما ارتشفت من خلال البحث والمطالعة عن الخطابة ودورها المشهود في سائر الحياة بأن أعلام الخطابة في ذاك العصر كانوا يستخدمون أنواعاً من الخُطَب ،كما كان الحال قائماً في العصرين الأموي والعباسي الإسلاميين،كخطب الوصايا ، والزواج ، وخُطَب الحضّ على الجهادِ ، والمحافل ، والوفود، والخطب السياسية والاجتماعية والدينية، وغير ذلك ، ولا غرابة في هذا ؛ إذ كان العصر المغولي عصراً إسلامياً ، وسلطة دينية ، وللدين الإسلامي أثر بارز في حياته ، وبصمات واضحة في قوانينه ، غير أن معظمها كانت تلقى بالفارسية ؛ لكونها لغة الدولة الرسمية ، وكذا بالأوردية أحياناً .

ثانياً ـ أشهر الخطباء ومؤلفاتهم فيها :

١ ـ خُطَب الجمعة :

أ ـ مؤلِّفها ومحتواها : ألّفها الشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ، قطب الدين أحمد (ت ١١٧٦هـ) وأورد فيها بعض الخُطَب ، وأحسن صياغتها في مختلف المناسبات وخاصة الدينية، كالجمعة والعيدين ، وجاءت تلك الخُطَب ببيان محكم ، وإبداع رصين في تنسيق الأفكار، وربط الفقرات ، وحسن السبك في مقدمات الخُطَب ونهاياتها ، وجودة التناسب فيما بينها مما يدل على تفوّقه في اللغة العربية والإحاطة بأسرارها ، والوقوف على جمالها وبلاغتها .

وأناقة هذه الخطبة ـ كما قال الدكتور زبيد أحمد ـ تظهر((في أن المؤلِّف استطاع بمهارةٍ وإبداعٍ أن يدمج فيها آيات وجملاً[٤٥٣] ملائمة للقرآن ، ـ فمثلاً ـ الجملة الأولى مأخوذة من أول سورة الدهر :﴿ هَلْ أَتَى على الإنسانِ حينٌ منَ الدَّهرِ لم يكنْ شيئاً مذكوراً ﴾[٤٥٤] ، وقد عمل بعض التغيير في الآية لتلائم السياق ، ثم حافظ على هذا الجمال في سائر الخطبة))[٤٥٥] ، فقال : ((الحمدُ للهِ الذي خلقَ الإنسانِ ، وقد أتى عليه حينٌ مِنَ الدهرِ لم يكنْ شيئاً مذكوراً))[٤٥٦] ؛ حيث وضع الشيخ الشاه ولي الله مكان كلمة (هل أتى) (قد أتى)، وغير ذلك من الكلمات المسجعة في خطبه الطويلة[٤٥٧] .

وكذلك زيّن خطبه بأحاديث نبوية ، ومقتطفات من سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ العَطِرة مما يضيف إلى الخطبة جمالاً في الأداء ، ورونقةً في الحسّ ، وتأثيراً في النفوس ، واستمالة للقلوب ، وقدجاءت كلمته بأناقة في الأسلوب والتعبير، واستثارة للعواطف والوجدان، وجَذَّابة للأفكار والخيال[٤٥٨] .

ب ـ نماذج من خطبه :

من نماذجه الكثيرة يقول الشاه ولي الله الدهلوي في إحدى خطبه : ((الحمدُ للهِ المتفرّدِ بجلالهِ وكبريائهِ ، المحمود على آلائه ونعمائه ، لا رادّ لحكمهِ وقضائهِ ، ولا

---

[٤٥٣]ـ في المصدر المنقول عنه (جملٌ) والصحيح ما أثبته ؛ لأنه اسم معطوف على مفعول به، فينصب مثله .

[٤٥٤]ـ سورة الإنسان : الآية /١/ .

[٤٥٥]ـ الآداب العربية في شبه القارة ص ٢٢٢، وينظر : ص ٤٣٨ .

[٤٥٦]ـ التفهيمات الإلهية ص ٢٥٢ .

[٤٥٧]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٥ .

[٤٥٨]ـ وقد طبعت هذه الخُطَب في كتاب : التفهيمات الإلهية بالهند .

مانعَ لجودهِ وعطائهِ ، لا تدركُه العيونُ ، ولا تبلغه الظنونُ ، ولا يصفُه الواصفون ، ولا يغيرهُ المنون ، غفّارُ الذنوبِ ، ستّارُ العيوبِ ، مقلّبُ القلوبِ ، مفرّجُ الكروبِ...)) ثم يقول:

((أما بعدُ : فإني أوصيكم بالتقوى ومجانبةِ الهوى ، وأذكركم هادم اللذات الموت والبلى، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يجمع، وعجبت لمن أيقن بالصبر كيف يضحك ، وعجبت لمن أيقن بالآخرة ونعيمها كيف يستريح عنها ، وعجبت لمن أيقن بالدنيا وزوالها كيف يطمئن بها ، وعجبت لمن هو عالم باللسان جاهل بالقلب ، ولمن هو متطهر بالماء غير طاهر بالقلب ، ولمن يشتغل بعيوب الناس غير مشتغل بعيوب نفسه ، ولمن يعلم أن الله مطلع عليه كيف يعصيه ، ولمن يعلم أنه يموت ويحاسب وحده كيف يستأنس بغير الله...))[٤٥٩].

ويقول في إحدى خُطَبِ عيد الفطر أيضاً : ((أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ ، فإنَّ التقوى أساسُ الحسناتِ ، وخلاصةُ الأعمالِ ، واعبدوا اللهَ ، فإنَّ العبادةَ دافعةٌ للسيئاتِ ، وناهيةٌ عن الفسادِوالضلالِ ، هل عرفتم فضائلَ شهرِ الصيامِ ، وهل أدركتم لما كُتِبَ عليكم الصيامُ في هذه الأيامِ ، وهل دريتم أنَّ الشهرَ ضيفٌ فماذا صنعتم له من الإكرامِ وهل فطنتم أنَّه وليٌّ راضياً عنكم أو ساخطاً ليشكرَكم إلى العزيز العلام ، يا ليت شعري كيف يعدُّ نفسه صائماً من يغتابُ طولَ نهارِه ويأكلُ لحومَ الإخوانِ...))[٤٦٠].

نرى الشاه ولي الله الدهلوي في هذين النصين المقتطفين من خطبه يدعو إلى التوحيد الخالص ، والتمجيد بصفاته وكبريائه ، والثناء على ذاته العلية ، والتعظيم لوحدانيته، والإيمان بربوبيته ـ عز وجل ـ ، كما نراه يذكّر المسلمين بيوم الحساب

---

[٤٥٩]ـ التفهيمات الإلهية ص ٢٥٣ـ ٢٥٤ .

[٤٦٠]ـ المصدر السابق ص ٢٥٦ .

والموت بعد الحياة، ويوعظهم بعدم الغفلة عن الله ـ عز وجل ـ ، والحثّ على التقوى ، واجتناب المعاصي ، وتظهير القلب من الذنوب والآثام ، والانشغال بالأعمال الصالحة دون غيرها من الآثام .

وكما نشاهده أيضاً في خطبته لعيد الفطر ، كيف يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، ويلف أنظارهم إلى السرّ في مشروعية الصيام ، والوقوف على مقدّساته بعدم ارتكاب الرذائل ، والتحلّي بالفضائل ، وعدم الخوض في اللغو واللهو ، وصون اللسان عن الفواحش والموبقات ، حتى لا يذهب صومه هدراً ، وطاعته سُدىً .

٢ ـ مجموعة الخطب :

أ ـ مؤلفها ومحتواها :ألّفها الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (ت ١٢٤٦ هـ) ، وهو حفيد الشيخ الشاه حجة الله الدهلوي السابق .

وقد كتب عدة خطب في مناسبات متعدّدة ، وهي مازالت مشهورة في بلاد باكستان والهند ، وقد أفلح الشيخ في خطبه ؛ حيث ذكر الكلمات المقفّى ، والتعبيرات المسجعة بطراز جميل ، وأسلوب جذّاب ، فاستعطف عواطف المحبّين ، وحرَّك مشاعرهم حيال الدعوة إلى الإيمان والاعتقاد بغيبياته ، والحثّ على الامتثال بأوامر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتخلّق بأخلاقه في سائر شؤون الحياة[٤٦١] .

هذا ولم أتمكن من الاطلاع على تلك الخطب وتصفّحها سوى إشارات مقتضبة من بعض المصادر المعتمدة في البحث ، وهي ميسورة الحصول عليها في البلدان العربية

---

[٤٦١]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٥، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤١ وقد أشار إلى تلك الخطب الدكتور زبيد أحمد في المصدر السابق ، وقال يوجد نسخة في المتحف البريطاني .

وتعذّر الوقوف عليها لكونها من المطبوعة الهندية التي طالما تكون المكتبة العربية شحيحة بمثلها في الأوساط العلمية ولدى روّادها .

٣ ـ الخطبات الهاشمية :

أ ـ مؤلفها ومحتواها :ألّفها حجة الإسلام ، محمد هاشم تهتوي .

وهو كتاب أُعِدَّ لخطب الجمعة ، يتناول موضوعات متعددة تدور حول الإيمان بالله والمواعظ ، والأخلاق ، وتذكير المسلمين بالقيم العليا للإسلام ، وأهدافه المُثلى .

ب ـ نماذج من الخطبة :

وإليك نموذجاً من خطبه ، وهي خطبته الأولى للجمعة ، فقال فيها الشيخ محمد هاشم : ((الحمدُ للهِ الذي قبل كل شيء حيث لا زماناً ولا مكاناً ، وكان كنزاً مخفياً ، فأظهر ذاته لبريّته فضلاً وإحساناً ، فخلق من نور جماله نور نبيّنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبَيَّنه تبياناً ، وأوجد من نوره الخلائق كلها ما يكون إلى يوم القيامة وما كانا ، وفضّله على جميعهم ، وأعلى قدره وصيّره سلطاناً ، وجعله شافعاً للمذنبين يوم الذين لا تنفعهم فيه الحسرة والندامى ، وأرسله رسولاً كافة الإيمان لتبليغ أحكامه مبشراً ونذيراً ، وجعله حجة ساطعة وبرهاناً))[٤٦٢] .

ويُرى في هذه الخطبة قوة التعبير ، والسجع المعتدل ، وموافقة القافية في أواخر الجمل ، نحو : زماناً مكاناً ، وإحساناً وتبياناً وسلطاناً ، وحجة ساطعة ، ونحو ذلك من الكلمات المقفّى ، والألفاظ المستعملة في تلك الخطبة[٤٦٣] .

---

[٤٦٢] ـ النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٦ .

[٤٦٣] ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارةالهندية ص ١٩٦، وقد طبع الكتاب في الهند ، سنده أكيمي ، دار العلوم مجددية نعيمية ترست سنة ١٤٠٦ هـ .

هذه مجموعة من كتب الخطابة التي أُلِّفت في موضوعاتها ، وتُعدُّ من أهم المصادر في النثر الفني وكتابته ، غير أنني لم أتمكّنْ من الاطلاع عليها والاستفادة منها بطريقة مباشرة سوى بعضها نظراً لنُدْرتها في المكتبة العربية من جهة ، ولافتقارها إلى الإخراج من خزن المخطوطات من جهة أخرى .

ومما لا شك فيه أن الظروف لو تهيأت بقراءة تلك الكتب دراسة نقدية ، وأمكن تدقيق النظر في مباحثها وعناصرها تحليلاً موضوعياً ، لكانت الدراسة عنها أكثر عمقاً ، وأغزر مادةً ، وأوفر إحاطةً .

وفضلاً عن هذا أن هناك قائمة بالكتب في شبه القارة الهندية قام علماؤها بالتأليف والإبداع ومازالت مخطوطة ، فبعضها يندرج تحت الخطب المنبرية ، والمواعظ الدينية التي تُلقى على رؤوس المنابر كالعيدين والجُمَع ، وبعضها منثورة في بطون الكتب ولم يدوّن بعدُ في كتاب مستقل ، وبعضها الآخر لم يتضح لي موضوعاتها ، وماذا يُراد بمضامينها ، وكان من تلك الخطب المتناثرة في المكتبة الهندية خطب عبد الأول الجونفوري ، ومنها خطبته البليغة التي يدعو فيها إلى التوحيد والإيمان بالغيبيات ، والحض على الأعمال الصالحة قبل الموت، وهي: ((معاشرَ الشَّبابِ والشِّيبِ ، انتهزوا نُهْزَة الشَّبابِ والمشيبِ ، ما الدُّينا إلا عيشٌ مرٌّ، وحياةٌ تمرُّ، وساعةٌ تكرُّ ، دارُ همٍّ ووصَبٍ ، ودائرةُغمٍّ ونصَبٍ ، أو هي كسحابةِ صيفٍ ، أو صحابةِ ضيفٍ ، غُضّوا أبصاركم ، وأبصِروا أنصارَكم ، أقِيلوا العَثَراتِ ، وأسِيلوا العَبَراتِ ، تُوبواوأَنِيبوا ، حاسِبوا قبلَ أن تُحاسبوا ، إنه من عاشَ ماتَ ، ومن ماتَ فقد فاتَ ، وكلُّ ما هو آتٍآتٍ، أسلافُكم أين ذهبوا ؟ وأينما نَهَبوا ووهَبوا ؟ ، إلامَ سارُوا ؟ وفيمَ صارُوا ؟ ، تَيقّظوا واتّعِظوا ، تَنبّهوا فانتهُوا ، واسجدُوا واركعُوا ، واعبدُوا واخشعُوا ، لا تُلحِفُوا ولا تُسَوّفُوا ، لا تحْلِفُوا ولا تُخلِفُوا ، أنفقُوا تُرزقُوا ، اصدقُوا تُصدّقُوا ، ارفقوا تُرمَقُوا ، اتّقوا وَقُوْا ، إخواني : اسمعُوا وعُوْا ، وإذا وُعِيتم فانتفعُوا ، عليكم بالدِّيانةِ ، وإياكم

والخيانةَ ، ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُرُ وألهى ، تأهّبُوا للمسيرِ ، فإلى اللهِ المصيرُ ، واعلمُوا أنكم خُلِقتم ، من ماءٍ مهينٍ ، فاعملُوا فإن كلَّ امرئ بما كسب رهين))[٤٦٤] .

وهناك مجموعة من الكتب في الخطابة ذُكِرت أسماؤها في كتب التراجم ولم أطلع عليها ، وإليك بيانَها بأسمائها ومؤلّفيها على النحو التالي :

١ـ شرح الخطبة الشقشقية لرَاجَهْ إمداد علي خان الكنتوري[٤٦٥] .

٢ـ شرح الخطبة الشقشقية لمولانا مسيح الدين الكاكوروي (ت ١٢٩٨ هـ)[٤٦٦] .

٣ـ شرح على خطبة القطبي للمفتي سعد الله ابن نظام الدين الحنفي المراد آبادي (ت ١٢٩٤ هـ)[٤٦٧] .

٤ـ حاشية على خطبة القاموس للقاضي عبد الحق بن محمد أعظم الكابلي (١٣٢١ هـ)[٤٦٨].

ثالثاً ـ أساليبها الأدبية :

جاءت الخطابة في شبه القارة الهندية قوية الأسلوب ، متلائمة الكلمة ، جزلة التعبير ، مترابطة الأفكار ، تشم منها رائحة العذوبة ، وجمال الفن ، وسهولة الفهم .

---

[٤٦٤] ـ عبد الأول بن علي الجونفوري ، الطريف للأديب الظريف ، مطبع أصحّ المطابع ، لكهنؤ ـ الهند . ـ د ط . ـ ١٣١٣هـ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

[٤٦٥] ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٢٥/٧ .

[٤٦٦] ـ ينظر : المصدر السابق ١١١٤/٧ .

[٤٦٧] ـ ينظر : المصدر السابق ٩٨٢/٧ .

[٤٦٨] ـ ينظر : المصدر السابق ١٢٦٣/٨ .

وبهذا الأسلوب كانت الخطب تُلْقى ، والمواعظ تبثُّ عبر المساجد والمراكز الدينية العامة إلى القلوب ، وتتلقّاها الآذان ، ويتأثر بها الشعب ، وتثار العاطفة ، وتتحرك المشاعر.

وكانت الخطابة في ذلك العصر بعيدة عن الحشو والندرة ، سليمة من اللحن واللهجة وإن كان أحياناً لا تخلو من العبارات الغريبة ، والتراكيب العجيبة ، وتتنمَّقُ بالسجع المعتدل ، والصناعة اللفظية المقبولة عند كتاب النثر الفني ، ونقّاد الكتابة الأدبية .

وكان الأئمة والخطباء الكرام يستفتحون خُطَبهم عادةً بمقدمة فيها الحمد لله والثناء على الله، والتصلية والتسليم على النبي المختار ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشفوعاً ـ في أغلب الأحيان ـ بتعظيم الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدين ، وتبجيل مواقفهم بالعزة والافتخار .

ثم يفيض الخطيب في موضوع الخطبة حسب المناسبات الشرعية ، ويخوض في عناصرها بقوة الفصاحة ، وحجة البلاغة ، وحُسْن الاستدلال ثم يختمها بـ : أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، وأحياناً بغير ذلك من العبارات .

وفي الواقع لم يكن هذا المنهج مبتدعاً لدى علماء شبه القارة ، ولا مستحدثاً في حياتهم الدينية ، وإنما كان ثمرة للدين الإسلامي الذي قد ورّثوه عمن قبلهم ، وغصناً من أغصانه المقطوفة .

يضاف إلى ذلك اقتباس الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وتضمين الأمثال الجميلة والأشعار الأنيقة ، والاستشهاد بها في الخطبة ، وظلالأمر قائماً على ما كان عليه في العصور الإسلامية ، وذلك تقوية للحجج والبراهين ، وتشويقاً للفكر والخيال ، وتأنيساً للقلوب والمزاج ، وبهذه الاقتباسات سيقت الخطب متوسطة الجمل ، متماسكة

الكلمات ، لبقة الألفاظ لا تكلّف فيها ، ولا تصنّع ، يقبلها السياق ، ويقتنع بها العقل ، وتتّسع لها الذاكرة ، ولعل نظرة واحدةً إلى نماذج الخطب التي أوردتها في هذا الموضوع كفيلةٌ بما قُلتُ، ومصدّقةٌ لما ادّعيت.

المبحث الثاني

الإنشاء والترسّل في شبه القارة الهندية

يُعدُّ الإنشاء والترسّل[٤٦٩] من الفنون النثرية المهمة في الأدب العربي ، وله مجالات واسعة وأغراض متعددة ، وتاريخ مجيد في الفكر الثقافي ، وهو فنٌّ يحتاج إلى عمق النظر ، وغزارة الفكر ، وقوة الأسلوب ، وتخيّر المفردات ، وانتقاء العبارات التي تدل على المعاني الكثيرة ، والألفاظ الدقيقة لتكون الكتابة واضحة ، والأداء جيداً ، والحبكة مترابطة ، وهذا ما أشار إليه أحمد حسن الزيات بقوله : ((الإنشاء مظهر العقل ، ومرآة الخاطر ، يتأثّر بما ينال المدارك والمشاعرَ من عوامل الحضارة ، ونتائج العلم ، وظواهر العمران))[٤٧٠] .

---

[٤٦٩]ـ الترسّلُ : مصدر مِنْ : ترسَّل ، يقال : ترسَّلتُ أترسَّلُ ترسُّلاً ، فأنا مترسِّلٌ ، ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر ، وأصل الترسّل أو الرِّسالة من مادة (رَسَلَ) ومنه الرِّسْل أو الرّسْلة بمعنى : الرِّفق والتؤدة ، أو هو الانبعاث على التؤدة ، والإرسال بمعنى: الإطلاق والتخلية. ينظر : ترتيب القاموس المحيط ٣٣٧/٢ ـ ٣٣٨ مادة (رسل) ، والمصباح المنير ص ٨٦ المادة نفسها .

[٤٧٠]ـ تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ١٥٦ وينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٨٠ .

وللرسائل في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية أهمية كبيرة ، ودور بارز ، لما لها تأثير في نشر الدعوة، وتبليغ الرسالة ، وإصلاح الحال ، ومكاتبة الملوك والأمراء، وبيان أحكام الدين ، وبيعات الخلفاء والولاة ، وإبرام العقود ، ونشر الدساتير ، ونحوها مما تقتضيه ظروف الحياة ، وحال الأمة، والكتابة الإنشائية في ذلك كله كانت بكلام مرسل ، وطبع أصيل، وسبك جميل دون تكلف في الإنشاء ، ولا سجعٍ متصّنع في الإلقاء[٤٧١] .

وكانت الكتابة في عصر الإسلام الأول إحدى دعائم الإسلام وركائزه المتينة ، فبها أقسم الله ـ عز وجل ـ في القرآن الكريم ، ورفع من شأنها في سوره العديدة ، كما أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شجّع على تعلّم الكتابة بطرق مختلفة ، وأثنى على طلابها في أحاديث كثيرة ، وكتبُ السنة ليست ببعيدة لكل من يريد الوقوف على هذا الثناء والتمجيد لشأن الكتابة والاهتمام بأمرها.

وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت ثمة حاجة ماسَّة لاستخدام الكتابة والاستعانة بها ، وذلك لكثرة الجيوش والفتوحات الإسلامية، وانتشار الدعوة في ربوع البلاد، وزيادة الغنائم ، ولاسيما في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ؛ حيث اتخذ ديواناً للجيش ، وهو بذلك أوّل مَنْ دوّن الدواوين من الخلفاء ـ رضي الله عنهم ـ ، وتلك الرسائل النبوية التي كانت يبعثها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الملوك مع الوفود، والوثائق المرسلة إلى العمال والولاة من قبل الخلفاء والأمراء كانت تُعدُّ من الفنون الأدبية للكتابة الإنشائية ، والصياغة الأنيقة للنثر المطبوع ، وكتابتها كانت تُسْند إلى كاتب يختاره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو الخليفة ، ويجعله في بطانته المقرّبة ،

---

[٤٧١] ـ ينظر : المفصّل في تاريخ الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ١٧٠ـ ١٧١ .

وذاك الشخص المختار للكتابة كان من ذوي العفة والأمانة ، فكيف ما يُملى عليه يكتب بحسن الأداء ، وجودة العملوفق المطلوب[٤٧٢] .

وقد انتشرت الكتابة ، وازداد الإقبال عليها ، واشتدت الحاجة إليها في العصر الأموي ، وذلك بفضل اتساع الفتوحات الإسلامية ، وتفرق الولاة والعمال في الأمصار والأقاليم ؛ حيث كانت الدولة بحاجة إلى تبليغ أوامر تتعلق بالسياسية ، أو الإدارة ، أو نظام الجيش ، أو غيره ، وإيصالها إلى أولئك الأمراء والولاة والعمال وغيرهم من أصحاب المناصب وزمام الأمور في المدن المختلفة ، والدولة في ذلك كله كانت تستعين بالرسائل الخطية المدوّنة ، وتعتمد عليها في كثير من الأحيان ، وهو ما جعل الكتابة الإنشائية منتشرة في العصر الأموي ، وفنّها مزدهراً في الدواوين .

ثم تطورت الرسالة نفسها ، وبدأت تتأنّق في التعابير والجمل ، وتتسع دائرتها حتى أصبح للكتابة مناصب في الدولة ، وجُعِل لها ديوان خاص ، وإدارة معينة منذ أيام معاوية بن أبي سفيان، وكان من الأمور المستحدثة لهذا الفنّ الأدبي ديوان الرسائل وعُيّن له رئيس فيُسمى بـ : الكاتب ، وهو مَنْ ينشئ المكتوبات التي كان يبعث بها الخليفة إلى الولاة والعمال المتفرقين في البلاد ، كما كان يتلقّى الرسائل الواردة إلى الخليفة أو الأمير ، وكانت تلك الرسائل تتضمن موضوعات عِدّة ، فمنها في الشؤون

---

[٤٧٢]- وللمزيد من فنّ الترسّل والإنشاء في العصر الإسلامي الأول ينظر: النثر الفني في القرن الرابع ص ٥٧، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٨٣ ـ ٨٤ ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ١٤٢ ، والوسيط في الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ١١١- ١١٢ .

السياسية والحربية والإدارية ، ومنها في الأمور الاجتماعية والدينية والأخلاقية ، ومنها في غير ذلك[٤٧٣] .

ولما جاء العصر العباسي ، واتسع نطاق الدولة ، واستبحر العمران ، وتفتّحت العقول ، وكثرت الميول إلى أقلام الكاتبين وتراث الباحثين ولم تعد الكتابة مقصورة على الدواوين ، وإنشاء الرسائل كما كانت في عهد الدولة الأموية ، بل تعدّت إلى مجالات أخرى ، وأغراض شتّى ، كالمقامات ، والمقالات ، والتصنيف ، وغيره ، ووجدت للرسائل أنواع ، كالرسائل الإخوانية ، والرسائل الديوانية ، والرسائل السلطانية، والرسائل الأدبية ، كما أن الكتّاب قد تنوّعوا بحسب الوظائف الموكّلة إليهم، وتعدّدت مواهبهم في المجالات العلمية ، والفنون الأدبية، فاستطاعوا استنباط المعاني ، وتخيّر الألفاظ ، وفتح الأبواب للصور البلاغية والبيانية في العلوم العربية وآدابها ، وبذلك كانوا أئمة البلاغة ، وأساتذة البيان ، وأدباء اللغة .

كما أن الكتابة في هذا العصر قد صادفت عناية خاصة ، ورعاية تامة حتى حلّت الكتابة ((محل الخطابة في قمع الأهواء ، وردع الأعداء ، وإطفاء الفتن ، وتأليف القلوب))[٤٧٤] ، وبهذه القوة في التعبير ، والصلابة في المتن ، والدقة في الاختيار ظلت الكتابة قائمة في العصر العباسي حتى أواخر عهده ؛ حيث ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله ، وسرى الضعف إلى الكتابة فجهل أربابها الغرض منها ، فحينئذٍ

---

[٤٧٣]- ينظر نماذج من هذه الرسائل في : تطور الأساليب النثرية ص ٣٧ وما بعدها ، وجواهر الأدب ص ٤٦ وما بعدها ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٩٠- ٩١، وأحمد الإسكندري وآخرين، المنتخب من أدب العرب ، دار الكتاب العربي ، مصر . - د ط . - ١٩٥٣ م ٣٠/٢ وما بعدها .

[٤٧٤]- تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ١٥٦ .

مالوا إلى زخرفة القول ، وصنعة اللفظ ، وضَعُفت الملكة ، وضاعت عيون المعاني[٤٧٥] .

ولفنّ الكتابة الإنشائية ظهر عدد كبير من كتّاب الدواوين و الرسائل في تاريخها الأدبي ، واشْتُهِرُوا بأناقة الإنشاء ، وحسن الصياغة ، وقوة التعبير ، وكان لهم آثار طيبة ، وذكر حميد في التراث الفكري، والأدب العربي ، وكان من أبرز هؤلاء الكتّاب والأدباء:

١ـ عبد الحميد بن يحيى الملقّب بـ : الكاتب ، أبو غالب (ت ١٣٢ هـ) ، وهو يُعدُّ أوَّل من ابتكر هذا الفن ـ أي الإنشاء الأدبي ـ بمعناه الاصطلاحي على ما ورد في كتب الأدب وكلام الأدباء المتقدمين ويكاد يكون مجمعاً عليه عند جمهور المحققين والكتّاب؛ حيث وضع نظاماً للرسائل وإنشائها ، وأوجد كيانها وأسلوبها بمعناها الفني في الأدب العربي[٤٧٦] .

٢ـ الجاحظ ، عمرو بن بحر، أبو عثمان (ت ٢٥٥ هـ) ، وهو الأديب الكاتب.

٣ـ ابن العميد ، محمد بن الحسين ، أبو الفضل ، المعروف بابن العميد (ت ٣٦٠ هـ) ، الأديب الناثر ، والكاتب البارع في الإنشاء والترسل .

٤ـ الصاحب بن عَبَّاد ، أبو القاسم إسماعيل (ت ٣٨٥ هـ) الأديب اللغوي البارع.

---

[٤٧٥]ـ ينظر فن الإنشاء في العصر العباسي في : تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ١٥٦ـ ١٥٧ ، والنثر الفني في القرن الرابع ص ١٩٤ وما بعدها ، والمفصّل في تاريخ الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ٣١١ .

[٤٧٦]ـ ينظر : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه لأحمد الإسكندري وآخرين ص ١٢٨ ، وتطور الأساليب النثرية ص ٤٢ .

٥ـ القاضي الفاضل ، عبد الرحيم البَيساني ، أبو علي (ت ٦٩٥ هـ) .

٦ـ بديع الزمان الهمذاني ، أحمد بن الحسين ، أبو الفضل (ت ٣٩٨ هـ)[٤٧٧] .

أولاً ـ أهميتهما العلمية في شبه القارة:

كان لعلماء شبه القارة أثر واضح في كتابة الرسائل الإنشائية ، وأهمية خاصة بالمكتوبات النثرية؛ حيث قام هؤلاء العلماء الأفاضل بكتابة رسائل ومكاتيب بأساليب مختلفة، وموضوعات متنوّعة ، فيتم التداول بالمراسلة فيما بينهم وبين غيرهم للتعبير عن المحبة ، والصدق ، والإخاء ، ونحو ذلك من الموضوعات ، وكان معظم تلك الرسائل تتخذ منهج الكتابة باللغة العربية في داخل البلاد .

هذا ولم يقتصر أمر الرسائل على الصعيد الداخلي فحسب ، وإنما كان أحياناً تتم مراسلة الأصدقاء والمحبِّين مع العرب خارج شبه القارة ، وكذلك مع السلاطين والأمراء ما جعل العلاقة فيما بينهم قوية ، والصلة وثيقة ، والترابط متيناً .

ومما يدلُّ على أهمية الإنشاء والترسل والعناية بهما من قبل السلاطين والأمراء في ذاك العصر وجود منصب للإنشاء في دواوين الدولة ، ومكاتب الملوك ، وهو ما دفع بالأدباء والعلماء إلى تأليف كتب مستقلّة في الإنشاء والمراسلة تارة ، وتدوين رسائل منثورة ومتفرقة ثم جمعها في كتاب مستقل تارة أخرى .

---

[٤٧٧]ـ ينظر هؤلاء الكتاب والأدباء في : تاريخ الأدب العربي للزيات ص ١٥٧ـ ١٥٨ ، ١٧٣ـ ١٧٤ ، ١٨٠ـ ١٨١ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٩٥ ، وتاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول ـ لشوقي ضيف ص ٥٠٧ وما بعدها ، والمفصّل في تاريخ الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ٣١٢ وما بعدها .

وهذا ما أشار إليه الدكتور أحمد إدريس ـ وهو يتحدث عن الإنشاء والرسائل ـ بقوله : ((فنّ الإنشاء من الفنون التي لازمت المدارس لتدريب الطلاب على الكتابة بالعربية ، وفي بيئة غير عربية كانت ممارسة الكتابة أمراً غير سهلٍ ، لكن الملفت للنظر أن الرسائل الإخوانية في هذه البيئة وجدت بكثرة عن غيرها ، وقد سهل وجودها مراسلات العلماء مع بعضهم ـ أحياناً ـ في الداخل باللغة العربية ، ومع رفاقهم وزملائهم العرب في الخارج في كل حين بهذه اللغة ، ومنهم من جمع رسائله في كتاب ، ومنهم مَنْ ألّف كتاباً في كيفية المراسلة باللغة العربية))[٤٧٨].

وكانت تلك الرسائل والمكتوبات تأتي مسجوعة ومنمقة بأساليب قوية ، وعبارات متينة ، ولغة فصيحة أُعطي أصحابها قدرة واسعة على التراكيب ، وملكة عجيبة في الكتابة ، وروحاً ملتهبة في الخيال ، وذاكرة نادرة في الفكرة .

ومع مرور الزمن وتطوّر النثر الفني أخذ فنُّ الإنشاء والترسل في شبه القارة مكانة القصائد الشعرية وخصائصها الفنّية ، وبدأ تتوسَّع دائرته ، وتنمو عناصره حتى شمل موضوعات كثيرة ، وأغراض مختلفة ، كالمدح ، والهجاء ، والتعزية ، والعتاب، والاعتذار ، والاستعطاف ، والوصف ، والنصح ، والمحبّة ، والصداقة ، والدعوة إلى الإيمان ، ومحاربة البدع والخرافات ، وغيرها من الموضوعات ؛ حيث كتب فيها العلماء الأفاضل في شبه القارة من الرسائل والمكتوبات لإصلاح الأمّة ، وتوجيه القادة ونشر الدعوة الإسلامية في كافة الحياة وفي مختلف المناسبات طمعاً في تحقيق الحق ، وإزالة الباطل[٤٧٩] .

---

[٤٧٨] ـ الأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٤٧ .

[٤٧٩] ـ وللوقوف على الإنشاء والترسل في شبه القارة الهندية مختصراً ينظر : النثر الفني في شبه القارة ص ٩١ـ ٩٢ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٤٧ .

ثانياً ـ كُتَّابُهما وأشهر المؤلَّفات فيهما :

١ ـ عَجَبُ العَجائِبِ فيما يفيد الكتّاب **:**

أ ـ مؤلفه ومحتواه :ألَّفه أحمد بن محمد اليمني الشرواني (ت ١٢٥٦ هـ)، وهو مقدّمة لفنّ كتابة الرسائل ، وقد جمع فيه مصنِّفه رسائل عديدة في موضوعات مختلفة وبذل جهده فيه ؛ ليكون هذا الكتاب مفيداً نافعاً ، ومُعيناً صادقاً لكل من اشتغل بالأدب الفني ، ورغب في تصوّره للغة العربية ، وتحمّس لترقية أسلوبه في فنونها .

والكتاب مقسَّم إلى ثلاثة أقسام ، الأول : يعالج مراسلات رجال الأدب ، وهي التي كانت تدور بين المؤلِّف وبين أصدقائه في موضوعات متعددة ، كإظهار المحبة للمُرْسَل إليه ، والإخلاص ، والشكر ، ونحو ذلك ، وكانت من ضمن تلك الرسائل واحدة موجهة إلى الشاه عبد العزيز الدهلوي[٤٨٠] ، وتحتوي على قصيدة ميمية فيها مدح المُرْسَل إليه ـ وهو الشاه عبد العزيز الدهلوي ـ والقسم الثاني : خصَّصه لرسائل السلاطين والوزراء والقضاة ، والقسم الثالث : ـ وهو الأخير ـ جعله لرسائل التجّار ، ثم أتمَّ كتابه بالخاتمة وهي تمثّل في حد ذاتها قسماً رابعاً ؛ حيث تضمّنت جمعاً وافراً لرسائل عائلية ، ورسائل الصداقة ، ويوميات تتناول الحياة العامة للإنسان[٤٨١] .

---

[٤٨٠]ـ ينظر : أحمد بن محمد اليمني الشرواني ، عجب العجائب فيما يفيد الكتاب ، مطبع الحيدري ، بندر المنبيء ـ الهند .ـ د ط . ـ ١٢٩٥ هـ ، ص ٩٢، وينظر رده عليه بتلك القصيدة في المصدر السابق ص ٩٥.

[٤٨١]ـ ينظر : عجب العجائب ص ١٠ وما بعدها ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٥ـ ٢٢٦ ، ومقامات ويلورية ص ١٠٩ (مقدمة المحقق) .

هذا الكتاب مهم ، وهو الأول من نوعه في الهند، كما قال الدكتور زبيد أحمد[٤٨٢]، وقد طبع في الهند أكثر من مرة .

ب ـ أسلوبه الأدبي :

يتمتع كتاب الأديب الشرواني بأسلوب جميل متأنّق ، ونثر منمق مزخرف ، جاءت كتابته محكمة البنيان ، سليمة اللغة ، جذّابة السياق في المفردات والتراكيب ، لا يملُّ منه القارئ ، ولا يسأم منه الباحث .

كما يتضمَّن معانيَ سامية ، وأفكاراً قيمة في تناوله للمسائل ، وطريقته للعَرْض فيما يقدم إليه من الموضوعات بأسلوب بديع، ونمط رائع مما تنشرح له الصدور، ويسرُّ بنسيمه السماع، وكلّ من يدقّق النظر في محتوى الكتاب ، ويتأمّل في موضوعاته يدرك هذا المعنى وذلك الأسلوب ، ولا سيما في تلك الرسالة التي وجَّهها إلى الشاه عبد العزيز الدهلوي ، ولكن الرد في أسلوبه كان أكثر جمالاً ؛ حيث ذكر الشاه وصفاً حياً ومحزناً للمرض الذي كان يعانيه أثناء كتابة هذا الرد ، كما سَجَّل إعجابه بقصيدة أحمد اليمني التي كانت تحتوي على قصيدة ميمية فيها مدح المُرْسَل إليه[٤٨٣].

ج ـ نماذج من الكتاب :

وقد كتب الشرواني في كتابه : عجب العجائب أنواعاً من نماذج الرسائل ، فذكر فيها طرازاً خاصاً لكتابة المكاتيب والرسائل ، منها :

---

[٤٨٢]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٦ .

[٤٨٣]ـ ينظر أسلوبه بشكل موجز في : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

رسالته التي تدل على نمط مراسلات التجار ذوي المكنة والفخار وأجوبتهم ، فقال : ((مولاي وسيدي المالك العزيز الأكرم المكرَّم المُحْتَرم الأجلّ الأكمل ، عمدتنا الشيخ فلان بن فلان ـ حفظه الله تعالى وأبقاه ـ ، وبعينه التي لا تنام رعاه ، آمين يا رب العالمين صدرتالأحرف من محروس بندر كلكتة لفرض السلام ومحبكم في أجلى نعمة وسرور ، لا يكدرهما إلا البُعْد عنكم ، جمع الله الشمل بكم عن قريب إنه سميع مجيب، نعم سيدي كتابكم الكريم وصل، وفهمنا ما عليه اشتمل، والودع الذي أرسلتموهُ صحبة الناخوذة عيار بن غدار في مركب فلان بن فلان وصل وقبضناه ، وعدة ظروفه خمسون ظرفاً ، وقد أخذنا لكم فيه النصيب وأضفنا ثمنه السنا إلى ثمن المكي ، والميعة واليسر واللوز، كما أمرتم والمطلوب نأخذه لكم ـ إن شاء الله تعالى ـ، والرجل الذي حولتم لنا عليه خمسمائة رُبية[٤٨٤] ذهبنا إليه بالحوالة فما قبلها ، وقال : لا أعلم لفلان شيئاً عندي ، وبالأمس جاءني منه مكتوب ولم يذكر فيه ما ذكرت ، ثم إنه أخرج الكتاب وأرانيه فوجدته كما قال ، هذا يا سيدي منتهى حوضه ، وفي هذه الأيام تحرك سعر الصحن العلي أبادي ، وارتقى إلى سبع رُبيات بعد ما كان بخمس روبيات ونصف ، والمحرك لذلك وصول مراكب العرب ، ولا ندري هل يبقى على هذا السعر أم كيف يكون قصارى أمرهالتحقيق يصلكم ـ إن شاء الله تعالى ـ والسلام))[٤٨٥] .

وله نموذج آخر في صورة الجواب ، فقال : ((السلامُ عليك ورحمة الله وبركاته ، وردَ إلينا من تلقائك أيّها الفاضلُ النبيلُ ، البارعُ الجليلُ ، مدرجٌ كريمٌ ، مخبرٌ بما لا يرضى به الرحمنُ الرحيمُ ، فلا يخفاكَ أن من فوهتَ باسمهِ ، وشكرتَ من تعديه وظلمه ، قد نفذَ حكمنا بعزلهِ ، وأقمنا فلاناً مقامهُ ، وهو لا شكَّ أميرٌ غيرُ خائنٍ ،

---

[٤٨٤]ـ وهي العملة الهندية الشائعة في البلاد .
[٤٨٥]ـ عجب العجائب ص ١٦٨ـ ١٦٩ .

ولطاعتنا ممتثلٌ وذاعنٌ، وعوائدُنا موصولةٌ بكَ ـ إن شاء الله تعالى ـ غيرُ منقطعةٍ من جنابِكَفطب نفسَنا ، وقرّ عيناً والسلام))[٤٨٦].

كما ترى هذين المقطعين من رسائله المكتوبة ، فيحتويان مواصفات تدل على حسن الخطاب ، وكيفية التعامل ، وردّ الجواب في الألفاظ المتبادلة ، كقوله : الكرم ، المكرم ، المحترم ، الأجل ، الأكمل ... ونحوه ، فهي تنسجم مع المقام ، وترتاح لها النفس ، وتسعد بها الروح مع التوقير والاحترام للمُرْسل إليه .

كما رُوِعي فيهما حسن الأسلوب ، وجودة الصيغة ، وسهولة الفهم لاستضاح المعاني ، وإدراك المقاصد ، وذلك بكلمات مزخرفة ، وألفاظ مستعملة لا تعقيد فيها ولا ندرة .

٢ ـ الظِّلُّ الممدودُ :

أ ـ مؤلِّفه ومحتواه :ألّفه المفتي محمد عباس التستري (ت ١٣٠٦ هـ) .

وهو مجموعة من رسائله قد جمعها في كتاب مستقلّ وسمّاه بالاسم المذكور ، وضمّنها رسائل في مختلف الموضوعات ، وخاصة ما يتعلق بالرسائل المتبادلة بين الأصدقاء والإخوة ، التي تحتوي على إظهار المحبة اتجاه بعضهم ، وصفاء الروح للآخرين ، ويرنِّق ذلك بالأشعار

اللطيفة تشويقاً للقارئ ، واستمالة للفكر[٤٨٧] .

---

[٤٨٦]ـ المصدر السابق ص ١١٤.

[٤٨٧]ـ لم أقف على الكتاب بالقراءة والتحليل في هذا الموضوع ، وإنما اعتمدت ـ فيما كتبته ـ على كتاب : النثر الفني في شبه القارة ، لذلك جاءت المعلومات شحيحة ، والدراسة محدودة ، والتفحص قليل . وينظر : الأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٤٧ .

وقد مهّد كتابه بمقدمة تناول فيها بعضاً من منهجه المتّبع في كتابة النثر الفني ، وطريقة عَرْضه ، وعمله الإنشائي في ذاك الكتاب ؛ إذ يقول فيه : ((الحمدُ للهِ الودودِ، والصلاةُ على صاحبِ المقامِ المحمودِ وآلهِ شفعاءِ يومَ الموعودِ ، وبعدُ : فهذا ظلٌّ ممدودٌ وطلحٌ منضودٌ جمعتُ فيه شتاتٍ ما صدرَ عني في أوقاتٍ وحالاتٍ عن صدورٍ أو ورودٍ ، أو قيامٍ وقعودٍ من النثرِ والنظمِ وحلِّ العقودِ مع الاعترافِ بما فيه قريحتي من الجمودِ[٤٨٨]والخمودِ ، وهو محتوٍ على ستةِ حدودٍ[٤٨٩] ، واللهُ ولي الخيرِ والجُودِ))[٤٩٠].

ب ـ أسلوبه الأدبي :

جاء هذا الكتاب في مجموع رسائله بعرض جميل ، وذوق رفيع ، وأسلوب رائع برزت فيها شخصية المؤلِّف قوية في الأساليب ، متمكنة في الصياغة ؛ حيث استطاع أن يصوّر في كتابه المناظر الطبيعية ، والمشاهد الحية بأحسن تصوير ، وأنجع بيان في موضوعاته المختلفة مما يدل على قدرته البيانية ، وخياله الواسع .

غير أنه قد تغلّب عليه السجع المتكلّف ، والصناعة اللفظية ، والديباجة المزخرفة حتى بات المعنى مختفياً من وراء توشحة الكلمات ، وتنميق العبارات في بعض

---

[٤٨٨]ـ في الأصل المنقول عنه (جمود) جاءت الكلمة نكرة ، ولعل الصواب ما أثبته لتناسب السياق اللغوي .

[٤٨٩]ـ في المصدر المنقول عنه (حددو) لعل ما أثبته هو الصواب .

[٤٩٠]ـ النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٩ ، وينظر ص ٢١٢ وما بعدها مع الهامش ، والكتاب مطبوع بالهند طبعة قديمة ، إحداهما : طبعُ لكهنؤ بالهند ، سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٦٩م.

الأماكن ، ولا يخفى هذا لكل من اصطحب رسائله ، واستأنس بقراءتها ، ولعلّ خير بيان على ذلك ما سيأتي نموذجه في ذكر المقتطفات من رسائله .

ج ـ نماذج من الرسائل :

يقول المفتي السيد محمد عباس التستري في إحدى رسائله ((أمَّا بعدُ : فقد وصلَ إليها صحيفةٌ وصفيحةٌ حبورٌ ، ورقٌ منشورٌ ، ودرٌّ منثورٌ ، كأنها نجمةُ نورٍ أو شمعةُ طورٍ ، أو زجاجةُ بلورٍ ، أو نفحةُ كافورٍ ، أو نفحةُ طورٍ ، لا أدري أهيَ سطورٌ دونها وجناتُ حورٍ ، واسعةُ النطاقِ ، بالغةُ الإشراقِ ، غاليةُ الصداقِ ، مكلّلةُ الشعورِ بالشذورِ ، ساطعةُ الجمالِ ، عادمةُ المثالِ ، ساحبةُ الأذيالِ في أرجاءِ القصورِ ، قد لفَّها إلينا الحبرُ الغطريفُ، الكريمُ الشريفُ ، العالمُ العريفُ ، الفاضلُ النحريرُ ، المولى القمقامُ، مجتهدُ الأنامِ ، جنابُ الشيخِ محمد حسن))[٤٩١] .

وله نموذج آخر ؛ حيث يقول في إحدى رسائله التي وجهها إلى السيد أبي الحسن محمد نجل المجتهد العارف بالله السيد علي شاه : ((يقول محمد عباس التستري .... أمّا بعدُ : فأتحفكَ برباعيٍّ خفيفٍ على اللسانِ ، ثقيلٍ في الميزانِ ، يبدأُ به ويختمُ، عليه روقٌ من السلسبيلِ ، وطرقٌ إلى سوى السبيلِ ، ووفقٌ ولفقٌ من جانبيهِ ، وثنائي شطرهِ الأول ضعف الثاني ، وأطراف الثاني منه عشرة أضعاف المثاني ، وهي غايةٌ في التعظيمِ، ورايةٌ للتكريمِ ، وآيةٌ من الكتابِ الكريمِ ، سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ ، ولنعمَ ما بعثتَ به إليَّ من مرسومٍ مفتتحٍ بمنظومٍ ، ينقصُ أبا تمام ، مشتملٌ على منثورٍ يزري بمنثورٍ ؛ لأنه نمامٌ ، فيالَها من دوحةٍ ممدوحةٍ عند المستملحينَ ، تُؤتي أُكلَها كلَّ حينٍ،

[٤٩١]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢١٣ .

فقرأتُ فقراتٍ منه مزدوجة فرائن فيها على ارتجالِها قرائن، وجدتُها في اشتباكِها واتساقِها حدائقَ وأعناباً ، وفي ارتباطِها واعتناقِها كواكبَ أتراباً...))[٤٩٢].

يلاحظ في هذين النموذجين قدرة الأديب محمد عباس التستري على التلاعب بالألفاظ ، والتحكم بصياغتها، وتمكنه من تنميق العبارات ، وسبك الجُمل ، ولطافة البيان ، مع التزامه بالسجع إلى حد التكلّف ، والتناسق بين الكلمات متزاوجات متناسقات بإيقاعات موسيقية ، وترابط قوي ، وتكرارات مقبولة للسماع لدى القارئ .

٣ ـ شَمائمُ الشَّمائِلِ في نظامِ الرسائلِ[٤٩٣] :

أ ـ مؤلِّفه ومحتواه : ألّفه الشيخ محمد باقر بن محمد مرتضى الشافعي المِدْراسي (ت ١٢٢٠هـ)، وهو يتضمن مجموعة من الرسائل التي جمع صاحبها بعدئذٍ في كتاب سمّاه بالاسم المذكور ، وقد جاءت تلك الرسائل ثمرةً لمنصب الإنشاء الذي تقلّده محمد باقر في ديوان الأمير الكبير النواب محمد علي الكوباموي بمِدْراس ووُظِّف فيه ، وجعله الأمير معلِّماً لابنَيه النواب أمير الأمراء، والنواب عُمدة الأمراء ، وكان محمد باقر يكتب الرسائل من جانب النواب محمد علي إلى شرفاء مكّة المكرّمة شريف[٤٩٤]

---

[٤٩٢]ـ نقلاً عن المصدر السابق ص ٢١٥ .

[٤٩٣]ـ هكذا ورد اسمه في الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٣١/٧ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص٩١ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤٠ ،والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٤٧ ، وفي مقامات ويلورية ص ١٦٠ (مقدمة المحقق) ورد اسمه هكذا : شمائم الشمائل بنشر الرسائل ، وبهذا العنوان نقل محقق الكتاب عن مصطفى شريف الأستاذ بجامعة مدراس بالهند في رسالة بعثها إلى المحقق ، كما في المصدر السابق الهامش ٥ .

[٤٩٤]ـ وكلمة ((شريف)) كانت تطلق على حكّام مكة المكرمة أيام الدولة العثمانية . ينظر :مقامات ويلورية ص ٦٠ الهامش ٤ .

غالب ، وشريف سرور .

ويكتب أيضاً إلى العلماء الأفاضل هناك باللغة العربية بمهارة بالغة، وموهبة فائقة، وملكة أدبية جذابة ما جعلهم أن ينبهروا ببراعته في التعبير، وسمّوه في المعاني، ورشاقته في الفكر[٤٩٥].

ب ـ أسلوبه الأدبي :

أمَّا أسلوب المؤلِّف الأدبي ، ولغته العربية ، وفصاحته البلاغية ، فلم أقف على رسائله لأحكمَ عليها بدراسة نقدية ، ووصف تحليلي لما له ، وما عليه لا مطبوعاً ، ولا مخطوطاً .

٤ـ المكتوبات :

أ ـ مؤلّفها ومحتواها : ألّفها الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي، الملقّب بمجدّد الألف الثاني (ت ١٠٣٤هـ).

وكتاب المكتوبات يتضمّن في المجلد الأول (٣١٣) ثلاثمائة وثلاثة عشر مكتوباً ، وفي الثاني (٩٩) تسعة وتسعين مكتوباً ، وفي الثالث (١٢٤) مائة وأربعة وعشرين مكتوباً ، وهذه المكتوبات تحتوي على الإيمان بالغيبيات وأسرارها، والعبادة وحقيقتها، وكيفية أدائها عن العباد ، وكما أنها تشتمل على مكتوبات عن علوم التصوف ، وأحوال الأولياء والصالحين ومعارفهم ، وأسرارهم .

ونظراً لهذه القدسية الخاصة للتصوف ، وسلوكه المتبعة لدى مريديه ، وأحواله السامية للمتسلّكين ، وتفادياً من الفهم الخاطئ لهذه المكتوبات ، وعدم إدراك مغزاها

---

[٤٩٥]ـ ينظر : مقامات ويلورية ص ١٦٠(مقدمة المحقق) .

وأسرارها بسبب مضامينها انتخب من المكتوبات البالغ عددها (٥٣٦) مكتوباً في الإيمان والعبادة ، وعرفت فيما بعد باسم : (المنتخبات من المكتوبات)[٤٩٦] ، وذلك تسهيلاً على الفهم ، وتقريباً للإدراك ، وإزالة للَبْس ، وهي تحتوي على (١٥١) مائة وواحد وخمسين مكتوباً منتخباً[٤٩٧] .

وكانت تلك المكتوبات تتناول ـ كما سبق ـ قضايا كثيرة ، كالدعوة إلى التوحيد الخالص ، والإيمان بالغيبيات ، وإصلاح العقائد ، وحماية الشريعة والدفاع عنها ، ومحاربة العقائد الفاسدة ، وتصوير واقع المجتمع الإسلامي ، وسياسة الحكم ، وإبداء النصائح ، وتبادل الرسائل مع السلاطين والأمراء والأصدقاء وتوجيههم إلى الدين الخالص وإقامة شعائره ، كما تعرض في تلك المكتوبات مؤلِّفُها إلى عجز العقل البشري وقصوره في إدراك الأمور الغيبية ، والعلوم التي هي وراء طور العقل الصِّرْف .

ج ـ نماذج من المكتوبات :

قال في إحدى مكتوباته إلى الملا شير محمد اللاهوري في بيان الفَرْقِ بين تصديق القلب ويقينه : ((إنَّ قبولَ القلبِ غير يقينه وإن لم يكن غيرَ التصديقِ ، ولكنه متفرع على اليقين ، فإن القلب لا يخلو بعد حصول اليقين من إحدى الحالتين إما التسليم والانقياد رضاء القلب بالمؤمن به وانشراح الصدر له ، وعلاقة الجحود والإنكار كراهية القلب بالمصدق به ، وضيق الصدر عليه ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ فمنْ يردِ اللهُ أنْ يهدَيهُ يشرَحْ صدرَهُ للإسلامِ ومَنْ يُرِدْ أن يُضلَهُ يَجعلْ صدرَهُ ضيّقاً حَرَجاً

---

[٤٩٦] ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٦ـ ٢٠٧ .

[٤٩٧] ـ ينظر : المصدر السابق .

كأنّما يَصّعّدُ في السَّماءِ﴾ الآية[٤٩٨] ، وحصول التسليم والانقياد ، للقلب بالمؤمن به بعد حصول التصديق واليقين به ، واليقين به بمحض الموهبة الإلهية ـ جلّ سلطانه ـ ، وبصرف كرمه اللامتناهي))[٤٩٩] .

ونموذج ثانٍ من مكتوباته ؛حيث يقول الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي في إحداها وقد وجَّهها إلى السيد مير محب الله في النصيحة : ((... أيّها المخدومُ المكرّمُ المشفقُ قد تمضي أوقاتُ الاشتغالِ بالعملِ كلما يمرُّ أن ينقصَ شيءٌ من العمرِ ، ويقربُ الأجلَ المسمّى ، فلو لم يحصلِ التنبيهُ اليومَ لا يكون نقدُ الوقتِ غداً غير الحسرةِ والندامةِ ينبغي الاهتمامُ في المعاملةِ على وفقِ الشريعةِ الغرّاءِ في هذه الأيامِ المعدودةِ حتى تتصورَ النجاةَ، وهذا الوقتُ وقتُ العملِ، لا وقت الراحةِ ، فإنَّ الراحةَ التي هي ثمرةُ العملِ أمامنا ، والاستراحةَ في وقتِ العملِ تضييعٌ للزراعةِ ، ومنعٌ لها عن الثمراتِ ، والزيادةَ على ذلك تصديعٌ ، نسألُ اللهَ ـ سبحانه ـ حصولَ الدولةِ الصوريةِ والمعنويةِ))[٥٠٠].

ونموذج ثالث يقول الإمام السرهندي في رسالة بعث بها إلى الأمير السيد فريد البخاري فور جلوس السلطان جَهَانْكِير على عرش المملكة، يدعو له باستقامته على جادّة آبائه الميامين ؛ وفيها : ((إنَّ السلطانَ في الدنيا كالقَلْبِ في البدنِ ، فإذا صَلحَ القَلبُ صلحَ الجسدُ ، وإذا فسدَ القَلبُ فَسدَ الجسدُ ، وإنَّ صلاحَ السلطانِ صلاحُ الدنيا ، وفسادَ السلطانِ فسادُ الدنيا . وأنتم تعرفون جيداً ما مُني به الإسلامُ في القرنِ الماضي ـ في عهدِالسلطانِ أكبر ـ من رَزِئيةٍ ونكبةٍ، ولم يكن الإسلامُ ـ رَغم غُربته في القرونِ

---

[٤٩٨] ـ سورة الأنعام : الآية /١٢٥/.

[٤٩٩] ـ المنتخبات من المكتوبات ص ٤٣٨ .

[٥٠٠] ـ المصدر السابق ص ٣٤٠ .

التي مضت قبله ـ ذليلاً مهاناً ، مثلما كان في هذا القرنِ ، فقد كانَ في الزمنِ الذي مضى قبله ، يتمسّكُ الكافرُ بكُفرهِ ، والمُسلِمُ بإسلامهِ ، و ﴿لكمْ دِينكُم وَلِيَ دِينِ﴾[٥٠١] ، ولكن ظهرَ أهلُ الكفرِ في القرنِ الماضي ، غلبوا أهلَ الإسلامِ ، وبدأوا ينفّذون أحكامَ الكفرِ بصورةٍ سافرةٍ في دارِ الإسلامِ ، وكانَ المسلمون لا يقدرون على إظهارِ أحكامِ دينهم ، ومَنْ تَجاسرَ على إظهارِ دينه لَقِيَ العقابَ ، وحُكمَ عليه بالإعدامِ ، وَاويلاه ، وامصيبتاه ، واحزناه ، واحسرتاه ! أتباعُ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي هو حبيبُ ربِّ العالمين أَذِلة ضُعَفاء مهانون ـ والجاحدون بِنُبّوته أعزةٌ أقوياء مُكَرَّمون...))[٥٠٢].

كما ترى في النص الأول يتحدث عن موضوع علمي صِرْف يتعلّق بعلم العقيدة ؛ حيث يقوم بالتفريق بين تصديق القلب ويقينه، ويبين بأن القلب إما أن يختار الاستسلام لله ـ عزوجل ـ والانقياد لأوامره ، وإما أن يختار الجحود وعدم القبول لذاته الشريفة، وإذا ما آمن الإنسان بالله فإن قلبه ينشرح ، ويشعر بالراحة والاطمئنان ، وإن لم يؤمن به فإن صاحبه يحس بالمضايقة النفسية،وعسرالحياة ، وعدم الاستقرار.

وفي النص الثاني يتحدث عن النصيحة وأهميتها في الحياة ، ويرشد فيها أن المسلم عليه أن يستدرك ما فاته من القصور ، وعدم القيام بالواجبات قبل فوات الأوان ؛ لأن العمر قصير ، ولا يدري صاحبه متى يأتيه الموت بغتةً وتنتابه الندامة والتحسّر وقتئذٍ.

وفي النص الثالث : يحاول إيقاظ المسلمين ، والتذكير بأحوالهم المزرية ، وتجسيد واقعهم المتدهور الذي نتج من وراء سياسة أولئك السلاطين والنواب والأمراء ممن حكموا باسم الدين وأساؤوا إليه ، وابتعدوا عن قيمه وأهدافه ، فجاء الخطاب معبّراً بألفاظ ومُلِئت بالحزن والأسى قائلاً : واأسفاه ، وامصيبتاه ، واحزناه ، واحسرتاه ...

---

[٥٠١] ـ سورة الكافرون : الآية /٦/.

[٥٠٢] ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام ٣١٢/٣ ، وينظر : المنتخبات من المكتوبات ص ٢٧ .

وهي كلمات تدل على إظهار التأسف ، وشدة التألم مما حلَّ بالعالم الإسلامي في ذلك العصر .

ب ـ أسلوبها الأدبي :

اتّبع الشيخ أحمد الفاروقي في المكتوبات أسلوباً علمياً رصيناً في كتابتها ، وطريقة رشيدة في مراسلتها ؛ حيث جاءت عباراته وسيعة المعاني ، وكلماته قوية المباني ، اصطبغت بفصاحة اللسان ، وصدق البيان ، وعمق التحليل ، وبُعْد المعنى.

لم يتقلّد الشيخ أسلوب الرسائل القديمة ، ولا الكتابة النثرية الموروثة ـ كما كان الحال في أواخر العصر العباسي من حيث السجع المتكلّف ، وزخرفة الألفاظ ـ وإنما كانت موضوعاته تنصبُّ في محور العقائد ، وإثبات صانع الكون ، ومحاربة البدع ، وتوجيه السلاطين إلى الإسلام ، ودعوته المحرِّضة لأمراء الدولة بالرجوع إلى الشريعة الغراء ، وتزكيّة النفوس وتربية الأخلاق ، وذلك بأسلوب علمي جميل ، وعرض أنيق رائع تزيّن بآيات نورانية ، وأحاديث نبوية ، وأشعار رائقة، وأمثال حكيمة غَطَّت المكتوبات بسحابة من الأسلوب الأدبي ، والذوق السامي .

وبما أن الشيخ أحمد الفاروقي من كبار أصحاب التربية والتزكية ، وأحد شيوخ الطريقة النقشبندية ، فقد كانت مكتوباته تتضمن أحياناً بعض اللطائف الربانية ، والأسرار الحكيمة من إشراقات القلب ، وصفاء الروح لا يفهمها إلا الخواصُّ من الناس ، وهو ما جعل ابنه الشيخ محمد معصوم أن يحل مغلقاته ، ويفكّ رموزه ، ويوضِّح مراده لبعض الكلمات الغامضة ، والألفاظ الغريبة التي طالما تلتمس عند أهل التصوف ، وأحوالهم الخاصَّة في مكتوباته التي سبق الحديث عنها[٥٠٣] .

[٥٠٣] ـ ينظر كتابه : المنتخبات من المكتوبات .

٥ ـ رسائل لحسن علي بن حاجي شاه اللكنهوي (ت ١٢٧٥ هـ) ، وهي رسائل عارض بها الحريري ، وبديع الزمان الهمذاني[٥٠٤] .

٦ـ رسائل لمولانا رشيد الدين الدهلوي (ت ١٢٤٣ هـ) ، وهي رسائل بديعة ، جمعها في كتاب مفرد[٥٠٥] ، وذكر الدكتور زبيد أحمد باسم المكاتيب ، ونسبه إلى رشيد الدين خان الدهلوي (ت ١٢٤٩ هـ)[٥٠٦] ، وقال : له نسخة في آصفية ١١٢/١ ، ونسخة أخرى مخطوطة توجد في دلهي برقم /١٢٩٧/[٥٠٧] .

٧ ـ قسط اللبيب وحظّ الأديب للشيخ محمد أعلم بن محمد شاكر السنديلوي (ت ١١٩٨هـ) ، وهو رسالة في الأدب العربي[٥٠٨] .

٨ ـ رسائل في الإنشاء لمولانا إمام بخش العمري الدهلوي (ت ١٢٧٣ هـ)[٥٠٩].

٩ ـ رسالة في الإنشاء لمولانا عبد القادر الهروي الدهلوي الرامبوري (ت ١٢٦٥ هـ)[٥١٠].

٥٠٤ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٥١/٧ـ ٩٥٢، النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٩١، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٤٧ .

٥٠٥ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٧١/٧ـ ٩٧٢، النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٩١، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٤٧ .

٥٠٦ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤١ .

٥٠٧ـ ينظر : المصدر السابق ص ٤٤١ ، وقال في هامش الصفحة المذكورة ـ تعليقاً على الكتاب المذكور سابقاً أي : المكاتيب ـ : ذكر في فهرست دلهي باسم رقعات .

٥٠٨ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ٨٠٤ .

٥٠٩ـ ينظر : المصدر السابق ٧ / ٩٢٢ .

٥١٠ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٨/ ١٠٢٦ .

١٠ ـ الرسائل البديعية للشيخ عبد الباقي بن عبد السلام البدخشي النقشبندي الدهلوي ، أبو المؤيّد ، المشهور بباقي بالله (ت ١٠١٤ هـ)[٥١١].

١١ ـ الأثمار الشهية في الإنشاء للشيخ السيد ناصر حسين اللكهنوي ، وهو مجموعة من رسائله جمعها في كتاب مستقلٍّ وسمّاه بالاسم المذكور[٥١٢] .

١٢ـ النَّجْمُ الثَّاقب لِمنْ يكاتب للشيخ بناه عطاء بن كريم عطا السلوني (ت ١٢٧٥ هـ) ، وقد كتب عن الرسائل وكيفيتها ، وتعليم الإنشاء[٥١٣] .

١٣ ـ رسالة بطريق الجدول لإله داد اللكنوي (ت في القرن العاشر الهجري)[٥١٤].

١٤ ـ حدائق الإنشاء لعماد الدين محمد عارف العثماني ، المدعوّ عبد النبي الشطاري (ت بعد سنة ١٠٢٠ هـ)[٥١٥] .

١٥ ـ المكاتيب لعبد القادر العيدروسي الأحمد آبادي (ت ١٠٣٥ هـ)[٥١٦].

---

[٥١١]ـ ينظر : رجال الفكر والدعوة ١٥٤/٣ ، والإعلام لعبد الحي الحسني ٥٥٣/٥ .

[٥١٢]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٩١ .

[٥١٣]ـ ينظر : المصدر السابق ص ٩١ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٤٧ .

[٥١٤]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٣٧ ، وقد شرح الدكتور زبيد أحمد في المصدر المذكور بأنه موجود في بدايواني ٨٥/٣ .

[٥١٥]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥١٦]ـ ينظر: المصدر السابق ، وقد أشار المؤلف بأنه موجود في دلهي برقم /١٢٧٢/ ، وبرلين برقم /٨٦٣٣/.

١٦ ـ المكاتيب للشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١٢٣٩ هـ)[٥١٧].

١٧ـ مراسلات المتحف البريطاني للسيد أحمد الشهيد (ت ١٢٤٦هـ)[٥١٨].

١٨ـ المكتوبات للشيخ حميد الدين الصوفي السوالي[٥١٩] .

١٩ـ المكتوبات للشيخ أبي علي شرف الدين القلندر الباني بتي [٥٢٠].

٢٠ـ الصحائف للشيخ صدر الدين الدهلوي الحكيم[٥٢١] .

٢١ـ المكتوبات للشيخ الإمام شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري[٥٢٢] .

٢٢ـ المكتوبات للشيخ حسين بن معز البلخي البِهاري[٥٢٣] .

٢٣ـ المكتوبات للشيخ نور الدين بن علاء الدين الجشتي البندوي[٥٢٤] .

٢٤ـ المكتوبات للسيد أشرف جهانكير السمناني ، جمعه السيد عبد الرزاق[٥٢٥].

---

[٥١٧]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤٠ ، وقال عنها المؤلِّف : إنها موجودة في دلهي برقم /١٢٧٩/ .

[٥١٨]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤١ ، وقال عنها المؤلِّف : إنها موجودة في الفهرست الوصفي ص ١٤ .

[٥١٩]ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٠١ .

[٥٢٠]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٢١]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٢٢]ـ ينظر : المصدر السابق . وهو يقع في ثلاث مجلدات ، كما في المصدر السابق .

[٥٢٣]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٢٤]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٢٥]ـ ينظر : المصدر السابق .

٢٥ـ المكتوبات للشيخ حسام الدين المانكبوري[٥٢٦] .

٢٦ ـ المكتوبات للشيخ محمد بن الحسن الجَونْبوري[٥٢٧] .

٢٧ـ المكتوبات للشيخ عبد القدوس بن إسماعيل المنفي الكنكوهي[٥٢٨].

٢٨ـ المكتوبات للشيخ عبد الرزاق الجَهَنْجهانْوي[٥٢٩].

٢٩ـ المكتوبات للشيخ جلال الدين محمود الجشتي التهانِيسْري[٥٣٠].

٣٠ـ المكتوبات للشيخ عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي[٥٣١].

٣١ـ المكتوبات للشيخ مجتبى بن مصطفى اللاهوبوري القلندر[٥٣٢] .

٣٢ـ المكتوبات للشيخ أحمد بن عبد الأحد العمري السرهندي إمام الطريقة المجددية[٥٣٣] .

٣٣ ـ المكتوبات للشيخ محمد معصوم بن أحمد بن عبد الأحد السرهندي[٥٣٤] (ت

---

[٥٢٦]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٢٧]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٢٨]ـ ينظر : المصدر السابق ص ٢٠١ـ ٢٠٢ .

[٥٢٩]ـ ينظر : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

[٥٣٠]ـ ينظر :المصدر السابق .

[٥٣١]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٣٢]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٣٣]ـ ينظر : المصدر السابق . وهو يقع في ثلاث مجلدات كبار .

[٥٣٤]ـ ينظر : المصدر السابق . وهو يقع في ثلاث مجلدات ، ورجال الفكر والدعوة ٣٤٨/٣ .

١٠٧٩هـ) ، وهي مثل مكاتيب والده متضمنة لغوامض الأسرار واللطائف ، أكثرها يحل مُغْلقات معارف والده المرحوم .

٣٤ـ المكتوبات للشيخ كليم الله الجهان آبادي[٥٣٥] .

٣٥ـ المكتوبات للشيخ يحيى بن أمين العباسي الإله آبادي[٥٣٦] .

٣٦ـ مكتوبات المعارف للسيد أبي القاسم بن عبد العزيز الحسيني الواسطي الفتح بوري، وهو مجموع صغير ، جمع فيه مكتوبات الشيخ ولي الله المحدّث الدهلوي[٥٣٧].

٣٧ـ كلمات طيبات للشيخ محمد أحمد البجهرايُوني ، جمع فيه مكتوبات الشيخ جان جانان العلوي الدهلوي ، والشيخ ولي الله المحدّث ، والقاضي ثناء الله الباني بتي ، والشيخ غلام علي الدهلوي[٥٣٨] .

هذه جُلُّ الرسائل والمكاتيب ، والكتب التي تناولت الترسل والإنشاء في شبه القارة خلال العصر المغولي على ما اطلعت عليه ، وذلك بعد بذل الجهد ، والاطلاع الواسع، والبحث الجاد في بطون الكتب وفهارسها وآثار مرتّبيها ، وتراجم الرجال ومعاجمهم .

---

[٥٣٥]ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٠٢ .

[٥٣٦]ـ ينظر : المصدر السابق . وهو يقع في ثلاث مجلدات .

[٥٣٧]ـ ينظر : المصدر السابق .

[٥٣٨]ـ ينظر : المصدر السابق .

المبحث الثالث

المقامات في شبه القارة الهندية

وقد ظهر أدب المقامة[٥٣٩] في القرن الرابع الهجري كما يقول الأدباء ، وانشغل به الكُتّاب في عهدٍ ازداد الترف الأدبي ، والإنشاء الصناعي ، فكان هذا النوع من الأدب يحتوي على قصصٍ قصيرةٍ ، وحكاية أنيقةٍ يعبِّر فيها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية ، أو نظرة فلسفية ، أو خاطرة وجدانية ، أو وصفة غرامية ، أو مَلْحة لغوية ، أو نادرة طريفة ، أو غيرها من المعارف المتنوّعة عما يجيش في القلوب ، ويثير العقول ، ويشوّق الأذواق .

وفنُّ المقامة في تاريخه الأدبي كان قد تأثّر بأصولفارسية أو هندية قبل هذا العصر، ودخلت إلى لغة العرب عن طريق الترجمة التي قام بها ابن المقفّع (ت ١٤٢ هـ) ، وسهل بن هارون (ت ٢١٥ هـ)، وغيرهما واتصال كتّاب العربية بغيرهم من الأمم ، وتنقلهم في بلاد الفرس وخراسان وأفغانستان ـ كما يقول أحمد الإسكندري وغيره[٥٤٠]

---

[٥٣٩]ـ سيأتي تعريفها اللغوي والاصطلاحي لاحقاً .

[٥٤٠]ـ ينظر: حسن عباس ، نشأة المقامة في الأدب العربي ، دار المعارف [القاهرة] . ـ د ط . ـ دت، ص ٥٨ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٧٢ـ ٧٣ ، والمفصّل في تاريخ الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ٣١٩ .

ـ فظهر أثر ذلك في الكتابة النثرية، والصياغة الإنشائية، والمقاماتُ بقصصها وأحاديثها هي جزء منها، غير أن مفهومها الاصطلاحي لم يستقر إلّا في أواسط الدولة العباسية وهو القرن الرابع الهجري ـ كما سبق ـ ، وكان النثر الأدبي إلى هذا العصر مقصوراً على الرسائل، وكتابة الدواوين ، والفصول الأدبية، ولم يكن الأسلوب القصصي قد تسرَّب بعد إلى الكتابة الأدبية ، واحتلّ مكانها ، واتخذ مفهومها الدقيق المسمّى بـ : أدب المقامة[٥٤١] .

وأول من ابتكر فنّ المقامات ، وفتح باب عملها في الأدب العربي بمعناها الاصطلاحي هو بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) ، الذي يُعَدُّ المبتكر الأول في مجال الأدب العربي على الراجح[٥٤٢] ، وهو الذي مَهَّد الطريق لهذا الفنّ، وعَبّدَه باللّباقة، واتخذ في ذلك خطّة بارعة ترتبط بالقصة القصيرة، والحكاية الأنيقة ، وتشتمل على الحوار القصصي بين البطل والراوي، والنكتة الطريفة.

ثم سار على أسلوبه مَنْ جاء بعده من الكُتّاب والأدباء أصحاب المقامات وفنون الأدب ، واستحسنوا مقاماته استحساناً بالغاً ، ولقّبوه ببديع الزمان ، وحَذا حَذْوه بعض الأدباء ، وأولُ مَنْ تأثر به واتبع خطواته في القرن الرابع الهجري هو ابن نباتة السعدي (ت ٤٠٥ هـ) ، ولم تحفظ عنه إلا مقامة واحدة ، كما نقل عنه .

---

[٥٤١] ـ ينظر : تطور الأساليب الكتابية ص ٥٩ ـ ٦٠، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٧٤ .

[٥٤٢] ـ ينظر : النثر الفني في القرن الرابع ص ٢٠٠ـ ٢٠١ ، وحنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ الأدب القديم ـ ، دار الجيل ، بيروت . ـ ط ١. ـ ١٩٨٦ م ، ص ٦١٧ ـ ٦١٨ ، لجنة من أدباء الأقطار العربية منهم شوقي ضيف، المقامة ـ فنون الأدب العربي ـ ، دار المعارف، بمصر القاهرة ، . ـ ط ٣ . ـ ، د ت ، ص ٥، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٦٥ ـ ١٦٩ ، ونشأة المقامة ص ٢٥ وما بعدها .

ثم ابن ناقيا ، عبد الله بن محمد بن الحسين (ت٤٨٥ هـ) الذي جاء في القرن الخامس ، وأنشأ عدة مقامات تختلف عن مقامات بديع الزمان في بعض جوانبها الفنية من حيث الأسلوب والموضوع ، فالرواة متعددون ، والبطل واحد ، وهو اليشكري ، والأساليب مغايرة ، ثم اتَّبعه الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي (ت ٥١٦ هـ) في القرن السادس الهجري ، الذي يُعدُّ أشهر من نظم المقامات ، وإليه يرجع الفضل في ذيوع أدب المقامة ، فانتشرت مقاماته في جميع الأقطار العربية وغيرها ، حتى صارت مضرب المثل في الفصاحة والبيان .

وكان من بين تلك الدول التي أعطت أهمية خاصة لمقامات الحريري ، واعتنت بشأنها ودراستها شبهُ القارة الهندية بأدبائه ، وعلمائه ، وكُتّابه ، وتلاميذه ؛ حيث قاموا بتقليد مقامات الحريري وشرحها ، وتأثروا بأسلوبها ومنهجها ، وكان من أبرز من تأثّر به من أدباء شبه القارة الأديب الناثر باقر المِدْراسي .

وكذا جاء بعده في القرن نفسه السرقسطي (ت ٥٣٨ هـ)، وهو أول من حاول تقليد الحريري، وأنشأ خمسين مقامة معارضة لها غير أنها فقدت ولم يصل إلينا شيء.

وأيضاً الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ؛ حيث أنشأ مقاماته ، ولكنها كانت تدور حول الوعظ ، وليس فيها راوٍ ولا بطلٌ ، ولا قصة ، ولم يكن في ذهنه تقليد الحريري .

وكذلك كان ممن صنّف مقاماته على نسق الحريري ، وقلّده في أفكاره وأسلوبه الحسن ين صافي المصري الملقّب بـ: ملك النحاة، وآخرون ، وهكذا استمرت سلسلة المقامات واصحابها عبر العصور وتوالت حلقاتهم ، واشتهرت مقاماتهم في الأوساط الأدبية ، والمراكز العلمية ، حتى أصبحت المقامات منذ أيام بديع الزمان الهمذاني باباً

من أهم أبواب الأدب العربي[٥٤٣] .

هذا وقد تضمنت تلك المقامات أنواعاً من الفنون اللغوية ، كالصور البلاغية بأنواعها المتعددة ، والشوارد النحوية والدلالية ، والإشارات إلى بعض الاشتقاقات العجيبة ، والأبنية الغريبة ، والألغاز الشعرية ، والمهارات النقدية ، وغيرها مما يعود إلى اللغة العربية وعلومها البليغة .

كما اشتملت على نواحٍ كثيرةٍ من الشؤون الثقافية والحضارية ، والأفكار الفلسفية ، والانفعالات الوجدانية ، والأمور الاجتماعية والتاريخية ، والعلوم الفلكية والطبية ، والخواطر الفكرية ، والمناظرات الوعظية ، والمواصفات المدحية ، والمناظر الطبيعية ، ونحو ذلك مما يتعلق بالحياة الإنسانية ، والنهضة الثقافية التي ينبني عليها التقدم الحضاري ، والازدهار العلمي .

وهذه المعلومات التي جاءت في تلك المقامات كانت موشَّحةً في معظمها بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال الحكمية ، والأشعار الأنيقة المختارة ، والأقوال المأثورة مما أعطى لها لوناً رائعاً لمضامينها ، ودلالة قويةً في موضوعاتها .

وكان فيها أربعة عناصر مهمة ، وهي : الراوي ، والبطل ، والموضوع ، والأسلوب ، وفي كلّ منها بطلٌ واحدٌ ، ونكتة تدور الحكاية كلها عليهما ، ولا تحل هذه النكتة إلا بعد ظهور أمر البطل الراوي ، كذا لكل مقامة موضوع يختلف بحيثيات عديدة ، غير أن بعضها كانت تدور حول الوعظ ليس فيها راوٍ ، ولا بطلٌ ، كمقامات

---

[٥٤٣]- ينظر هؤلاء الأدباء وكتاباتهم في أدب المقامة وتطورها مفصّلاً في : المقامة لشوقي ضيف ص ١٥ ، ٧٦- ٧٧ ، ومقامات ويلورية ص ١٣٠- ١٣٢ ، ١٣٤- ١٣٦ ، والنثر الفني في القرن الرابع ص ٢٠٢/١ ، ٢٦٣/٢ ، المفصّل في تاريخ الأدب العربي لأحمد الإسكندري وآخرين ص ٣١٩ وما بعدها ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٧٢- ٧٥ .

الزمخشري ، والسيوطي، وقد جاءت تلك المقامات بأسماء متعددة وألقاب متباينة ، كالبغدادية ، والدمشقية ، والوَرْدية ، والتّفاحية ، والياقوتية، والذهبية،وبعضها الآخر بأسماء الحيواناتوالأشخاص والموضوعات، كالحَمْدانية، والجاحظية ، والبشرية ، والإبليسية ، والشعرية ، والوعظية ، والوصية ، والأسدية ، والقِردية ، وغيرها من الأسماء والألقاب التي أطلقت على المقامات الفنية ، وجُعلت عناوين في أبوابها[٥٤٤] .

فهؤلاء الأدباء قد عبّروا من خلال هذه الأماكن ، والتسميات ، والموضوعات عن ذوقهم السليم ، وحسِّهم المُرْهف ، ووصفهم الجميل ، وساقوا ذلك كله بأسلوب مُحْكم ، وبراعة فائقة ، وصياغة متينة ، وصناعة لفظية ، وصور بيانية ، وبذلك أُعطيت اللغة العربية ، وأدبها الفني خزينة لغوية ، ومفردات طريفة ، ونكات ظريفة ، ونوادر شاردة ، وأضيفت إلى رصيدها اللغوي ، ومعجمها الدلالي في المكتبة العربية ، ومراكزها العلمية .

ولقد صُنِّفت في أدب المقامة كتب عديدة ، وشاع انتشارها في جميع أقطار العالم ، وأقبل عليها الأدباء بدراسة فنونها ، وتحليل عناصرها ، واستحسان صياغتها ، حتى أصبح فنّ المقامات من أهم أقسام النثر الفني في الدراسات الأدبية والتأليف فيها ، واحتلّت حيزاً كبيراً من المكتبة العربية ، وهي كثيرة منها :

١ـ مقامات بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) وهو أوّل كتاب في أدب المقامات على الراجح ، وكان راويه في المقامات عيسى بن هشام ، وبطله أبا الفتح الإسكندري.

---

[٥٤٤]ـ وللوقوف على مضامين المقامات وموضوعاتها وعناوينها بالتفصيل ينظر : ومقامات ويلورية ص ١٢١ـ ١٢٣ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٧٦ .

٢ـ مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري (ت٥١٤هـ)، وراوي المقامات عنده الحارث بن همام ، والبطل أبو زيد السروجي .

٣ـ مقامات السرقسطي لأبي الظاهر محمد بن يوسف (ت ٥٣٨ هـ) وهو أول من حاول تقليد الحريري في أسلوبه ، وأنشأ خمسين مقامة معارضة لها ، واتخذ راويه المنذر بن حمام ، والبطل السائب بن تمام ، وهذه المقامات سقطت من يد الزمان ، فلم تصل إلينا .

٤ـ المقامات الجوزية في المعاني الوعظية لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، وقد ألّفها في موضوعات أدبية ووعظية ، وعددها خمسون مقامة .

٥ـ المقامات المسيحية ليحيى بن سعيد النصراني الطبيب أبي العباس (ت ٥٨٩هـ)، وقد نسجها على منوال الحريري ، واشتهرت باسم : المقامات المسيحية ، وصنّفها بحسب عقيدته النصرانية .

٦ـ المقامات الزينية لزين الدين صيقل الجزري (ت ٧٠١ هـ) وله فيها خمسون مقامة عارض بها المقامات الحريرية ، وهي في موضوعات الحديث ، والفقه ، والنحو ، وسمّاها المقامات الزينية ، راويها القاسم بن جريان الدمشقي ، والبطل أبو النصر المصري .

٧ ـ مقامات الزمخشري ، لجار الله (ت ٥٣٨ هـ) وهي تدور حول الوعظ والإرشاد ، فيبدأ مقاماته بخطاب إلى نفسه ، ولم يكن في ذهنه تقليد الحريري ، ولا اتباع أسلوبه سوى استعارة الاسم منه فقط ، وليس في مقاماته راوٍ ولا بطلٌ ، وهي رسائل أشبه منها بالمقامات .

٨ ـ مقامات السيوطي ، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، وهذه المقامات تعدُّ من أشهر ما كتب في العصور الوسطى من المقامات الأدبية ؛ حيث جاءت خالية من الراوي والبطل في حين أننا نجد غيرها لدى كُتّاب الفن قد أقيمت على أربعة دعائم ، وهي الراوي والبطل ، والموضوع ، والأسلوب ، وبذلك كانت مقامات السيوطي تشبه الرسائل النثرية كما فعل الزمخشري ، وعددها تسع وعشرون مقامة ، فجاءت في موضوعات تاريخية ، وفقهية ، وطبية ، وغيرها ، ومن منهجه أنه كان يأتي أحياناً براوٍ حسب الموضوع بدون أن يكرِّر الروي نفسه .

٩ـ مقامات الرازي، لأبي العلاء أحمد بن أبي بكر بن أحمد الرازي وقد كتبها في سنة (٦٣٠ هـ) وقيل في سنة (٧٣٠ هـ) ، وهي تقع في ثلاثين مقامة ، وفيها قلّد الحريري في بعض أساليبه الأدبية ، وكان أحياناً يجعل المقامة في وصف حمام ، أو دواةٍ ، أو قلم ، أو غير ذلك ، واتخذ راويها الفارس بن بسّام المصري ، والبطل أبا عمر التنوخي[٥٤٥] .

أولاً ـ مفهوم المقامة:

المقامات بمفهومها الدلالي والفني تأتي لعدة معانٍ ، وقد قام بدراستها الأدباء واللغويون في كتب المعاجم والدراسات الأدبية، وتعرّضوا لمفاهيمها المتعددة بشقّيها اللغوي والاصطلاحي ، وكان من أبرز تلك الدلالات ما يلي :

---

[٥٤٥]ـ وللوقوف على هذه المقامات ومؤلّفيها ، والاطلاع على غيرها بالتفصيل ينظر : النثر الفني في القرن الرابع ص ٢٠٣/١ ، ومقامات ويلورية ص ١٣٤ـ ١٣٦ ، ١٣٩ وما بعدها ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٧٣ـ ٧٤، ٧٧ـ ٧٨ ، المقامة لشوقي ضيف ص ٤٦ ، ٧٥ـ ٧٦ ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٢٩٢ـ ٢٩٣ .

ـ المقامات جمع ، مفردها المقامة ، وهي في الأصل بمعنى : المَجْلس ، وعليه مجلس القبيلة أو ناديها ، أو المَوْقِف ، أو موضع الإقامة ، فيقال : موقف السائل ، أو موقف الشخص في المساجد والأسواق ، والمراد به : المقام ، ومن هنا جاء قولهم : اِرْحموا مقامي هذا ، أي : موقفي .

والمَقامة ـ بالفتح ـ : القيام ، والمُقَامة ـ بالضم ـ : الإقامة ـ كما قال ابن منظور[٥٤٦] ـ فيقال : أقام الرجلُ إقامةً ومقامةً ، كالمَقام والمُقام ـ بالفتح والضم ـ ، وقد يكونان للموضع ؛ لأنك إنْ جعلته مِنْ :قام يَقوم فمفتوح ، وإنْ جعلته مِنْ : أقامَ يُقيمُ فمضموم .

ـ والمَقَام بالتذكير ، وجمعها : المقامات، أي : الخُطْبة أو العِظة أمام الملك أو الحاكم.

ـ والمَقامَةُ بمعنى جماعة الناس في المجلس أو النادي[٥٤٧] .

ـ وتأتي بمعنى الحديث ، أو المحاضرة قائماً أو جالساً ، وهذا ما يعبّر به بديع الزمان في مقاماته المعروفة ، وهي جميعها تصور أحاديث تُلقى في جماعات ، فكلمة: مقامة عنده قريبة المعنى من كلمة : حديث[٥٤٨] .

ـ وبمعنى المحاورات الأدبية ، كما جاء في قول الدكتور زكي مبارك : إن للمحاورات ألواناً مختلفة ... ، وذلك ـ نقلاً عن الرسالة العذراء لابن المدبّر ـ بأن أهل

---

[٥٤٦]ـ ينظر : لسان العرب ١٢/ ٤٩٨ مادة (أقام) ، وأحمد بن علي القلشقندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، . ـ د ط . ـ د ت ، ١٢٤/١٤، وتاج العروس ٣١٠/٣٣ مادة (قوم).

[٥٤٧]ـ ينظر : صبح الأعشى ص ١٤/ ١٢٤ ، ولسان العرب ٤٩٨/١٢ مادة (أقام) .

[٥٤٨]ـ ينظر : المقامة لشوقي ضيف ص ٧ .

القرن الثالث كانوا يعرفون ألواناً من المحاورات الأدبية تُسمَّى بالمقامات[٥٤٩] ثم عرفها بقوله : ((وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية ، أو فلسفية ، أوخطرة وجدانية ، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون))[٥٥٠].

ـ والمقامة بمعنى الحكاية الأدبية القصيرة ، أو عبارة عن قصص قصيرة بدون عقدة ولا حبكة تدور حول الكدية وهو ما صرح به الدكتور شوقي ضيف[٥٥١] .

وبناء عليه ، فتكون المقامة حكاية أدبية قصيرة يدور أغلبها حول الكدية والاحتيال لجلب الرزق ، وتحتوي على نكتة أدبية مسجوعة سيقت لطلب النفع ، وجلب المصلحة[٥٥٢] .

ثانياً ـ عناصرها :

لفنّ المقامة الأدبية ، وتكوينها العلمي ثلاثة عناصر مهمة لا يستغنى عنها في الدراسات الفنية ، وقد وجدت هذه العناصر في مقامة الأدب في شبه القارة الهندية وتناولها أدباؤها في حياتهم الأدبية وأساليبهم الفنية وهي :

ـ الراوي : وهو يروي ما يجري في المقامة من الواقعات والأحداث، ويتحدث عنها.

---

[٥٤٩]ـ ينظر : النثر الفني في القرن الرابع ص ٢٠٢ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٦٨ .

[٥٥٠]ـ ينظر : النثر الفني في القرن الرابع ص ١٩٩ـ ٢٠٠ .

[٥٥١]ـ ينظر : المقامة لشوقي ضيف ص ٨ .

[٥٥٢]ـ وللمزيد من المعاني اللغوية والاصطلاحية ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٦٨ـ ٦٩ ، وتطور الأساليب الأدبية ص ٥٩ـ ٦٠، والمقامة ص ٧ـ ٩ ، ونشأة المقامة ص ٩ وما بعدها، والجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٦١٥ ـ ٦١٦ .

ـ البطلُ أو المُكْدِي (أي صاحب الكِدْية) : وهو الأديب المُحْتال الذي يسعى إلى الكِدْية عن طريق الأساليب البلاغية ، والصور البيانية ، والأقوال الغريبة ، والأحاديث الجذّابة ، والأشعار الرائعة ، ويعرف كيف يلعب بعقول الناس ، ويستميلها نحوه بحذاقته الماهرة ، وفصاحته البليغة ، ولذلك تدور القصة كُلُّها حول المُكْدي ، وتنتهي بانتصاره في كل مرة ، ويكون دائماً متنكِّراً .

ـ مَلْحة أو نُكْتة : وهي عبارة عن قصة تُحاك حولها المقامة ، وقد تكون هذه المَلْحة حميدة في موضوعاتها ، قيمة في صورها وهي كذلك في معظمها، وقد تكون غير ذلك مما يتنافى مع الأخلاق الكريمة ، والشيم الإنسانية وهي أقلها[٥٥٣] .

ثالثاً ـ أشهر المقامات ومؤلفوها وأساليبهم الأدبية :

١ـ مقامات وَيلُورية[٥٥٤] **:**

أ ـ مؤلّفها ومحتواها : ألّفها محمد باقر بن محمد مرتضى الشافعي البيجابوري المِدْراسي ، الموصوف بـ : آكاه (ت ١٢٢٠ هـ) .

---

[٥٥٣]ـ وللوقوف على هذه العناصر للمقامات ينظر : المقامة لشوقي ضيف ص ٧٦ـ ٧٧ ، وتاريخ الأدب العربي للزيات ص ٥١٩ ، ومقامات ويلورية ص ١١٩ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٧٦ ، والنثر الفني في القرن الرابع ص ٢٠٧ ، والجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٦١٨ ـ ٦٢٢ .

[٥٥٤]ـ نسبة إلى : وَيْلُوْر ـ بفتح الواو وسكون الياء التحتية وضم اللام وإسكان الواو بعدها راء مهملة ـ، وهي مدينة عامرة بقرب مدراس في صوبة حَيْدَرْ آباد الدكن بالهند . ينظر : الهند في العهد الإسلامي ص ١٢٣ .

والكتاب قد قام بتحقيقه محمد عارف نسيم ونال به درجة الدكتوراة في اللغة العربية بجامعة بشاور في باكستان عام ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م وهو مكتوب بخط اليد وغير منشور .

وهذا الكتاب يحتوي على خمس مقامات ، وأسماؤها هي :

ـ المقامة الأولى : الشّمامة الكافُوْرية[٥٥٥] في وصف المعاهد الأيلُوريّة[٥٥٦] .

ـ المقامة الثانية : الخِطْفة العُقابيّة للفأرةِ المِسْكِيّة[٥٥٧] .

ـ المقامة الثالثة : المقامة الترشنافليّة[٥٥٨] .

ـ المقامة الرابعة : المقامة الأركاتيّة .

---

[٥٥٥]ـ أي تفوح شميماً مثل الكافور ، وهو نوع من الطيب . لسان العرب ١٤٩/٥ مادة (كفر) ، وتاج العروس ٥٩/١٤ المادة نفسها .

[٥٥٦]ـ وجاء في كتاب : الآداب العربية في شبه القارة الهندية للدكتور زبيد أحمد ص ٤٤٠ اسمها هكذا: مقامة الشمامة الكافورية في وصف المعاهد الألورية ، وهذا الاسم وإن كان قريباً مما ذكره المؤلّف محمد باقر لعلّه تعرّض لخطأ مطبعي ، أو حُرِّفَ من قبل النسّاخ فنقل كما هو ، وما جزم به المؤلِّف وتعقّبه المحقق يُظَنُّ أنه الأرجح في القول وأقرب إلى الصواب . والله أعلم .

[٥٥٧]ـ الفأرةُ المِسْكية : قيل : إنها ليست فأرةً ، بل أشبه بالخِشف ، وتكون بناحية تبّت بجبال همالايا في شمال الهند وجنوب الصين يصيدها الصيَّاد فيُعصب سُرَّتها بعصاب شديد فيجتمع فيها دمها ثم تذبح، فإذا سكنتْ قوّرَ السرّة المعصّرة ، وتدفن في الشعير حتى يستحيل الدم الجامد مسكناً ذكياً بعدما كان دماً لا يرام نتْناً . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٥٤ الهامش ١ ، ولسان العرب ٤٢/٥ ـ ٤٣ مادة (فأر) ، وتاج العروس ١٣ /٢٩١ المادة نفسها .

وفي كتاب : الآداب العربية في شبه القارة الهندية للدكتور زبيد أحمد ص ٤٤٠ المسكينة ـ بزيادة النون ـ ، ولعله خطأ مطبعي ، إذ المؤلف محمد باقر نص على المسكيّة وهو ما يكون راجحاً .

[٥٥٨]ـ نسبةً إلى : ترشنافلي ، وهي مدينة في جنوب الهند . ينظر: مقامات ويلورية ص ٢٦٩ الهامش ٥.

ـ المقامة الخامسة : المقامة الحيدر آباديّة[٥٥٩] .

وهكذا صرَّح به مؤلِّفها في المقامات المذكورة[٥٦٠] ، وأوردها محقِّقُها الدكتور محمد نسيم عارف بالدراسة والتحقيق والتحليل[٥٦١] ، وهو ما أشار إليه أيضاً مؤرِّخو الأدب العربي في شبه القارة ، كالسيد عبد الحي الحسني ؛ حيث ذكر الكتاب بمقاماته الخمس تحت ترجمة مولانا محمد باقر آكاه[٥٦٢] ، والدكتور زبيد أحمد غير أنه ترك المقامة الثالثة المسمّاة بـ : المقامة الترشنافليّة ، ولم يذكرها في كتابه[٥٦٣] ، والدكتور رضوان علي الندويمثله ، فذكر الأربعة فقط بإهمال المقامة الثانية[٥٦٤] .

وهؤلاء المؤرِّخون والأدباء جميعاً قد صرّحوا بذكر كتاب المقامات لمحمد باقر المدراسي، وعَزَوْه إليه في مصنّفاتهم ، واعتبروه من أمهات كتبه الأدبية الطريفة في النثر الفني ، غير أن الأخرين من المترجمين له والنقادين لآثاره ومرتّبي الفهارس لكتبه، كالعلامة صديق حسن خان القنّوْجي في كتابه :أبجد العلوم[٥٦٥] ، ومولوي أبو

٥٥٩ـ نسبة إلى حيدر آباد : وهي مدينة كبيرة في الهند بالدكن ، وقبل تقسيم الهند كان يطلق على حكّامها لقّب النِّظام ، وأسهمَ أهلها إسهاماً كبيراً في ترويج العلوم الإسلامية. ينظر: مقامات ويلورية ص ٢٩٧ الهامش ١.

٥٦٠ـ ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٠٦، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٩٧ .

٥٦١ـ ينظر : مقدمة المحقق لمقامات ويلورية ص ١٣٧، ١٧٣ .

٥٦٢ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٣٢/٧ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٣ـ ٥٤ .

٥٦٣ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤٠ .

٥٦٤ـ وذلك نقلاً عن الدكتورة خالدة أمجد في كتابها : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٤٨ . وينظر : اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية ص ٣٢٢ .

٥٦٥ـ ينظر ٢٥٥/٣ .

تراب محمد عبد الجبار خان[٥٦٦] مرتِّب كتاب : محبوب الزمن تذكرة شعراء دكن ، والسيد محي الدين القادري زور في كتاب : تذكرة المخطوطات الأردية ، ومولانا محمد يوسف الكوكن في مقالته عن الأدباء المشهورين في مِدْراس[٥٦٧] مع ذكر العلامة محمد باقر وكتبه ، وغيرهم الذين قاموا بترجمته الذاتية ، وبراعته الفائقة في العربية والفارسية والأردية ، فهؤلاء لم يذكروا كتابه المقامات في قائمة كتبه لا تصريحاً ولا تلميحاً ، ولعل عدم ذكر كتاب المقامات لمحمد باقر المِدْراسي بسبب اختفائه عن الأنظار في زاوية بيت ، أو مدرسة ، أو مسجد في وَيْلوْر ، أو أنه لم تُقدّر مزاياه العلمية ، أو أُكْتُفِي بذكر بعض مصنفاته في أثناء ترجمة المؤلِّف اختصاراً[٥٦٨].

وأمّا محتويات هذه المقامات وموضوعاتها ، فهي كالتالي : ـ

فالمقامة الأولى[٥٦٩]: تتضمّن الحديث عن وصف بلده، ومشاهده ، ومعاهده ، وأهله، وأشجاره ، وأزهاره ، وأثماره ، وحكّامه ، وأستاذه .

والمقامة الثانية[٥٧٠] : موضوعها يدور حول النقد والسخرية عن رجلٍ عربيٍّ قد ادَّعى أنه فاضل كبير ، وقد أحصى أغلاطه في رسالة كتبها هذا المدّعي إلى الإمارة ،

---

[٥٦٦]ـ ينظر : مقامات ويلورية ص ١٧٤ الهامش ٣ ، ص ١٨٠ـ ١٨١ الهامش .

[٥٦٧]ـ ينظر : قصة الحضارة ١٢/٣، ٣٧٨ ، ١٥٩/٤ .

[٥٦٨]ـ ينظر هذا الموضوع بالتحقيق في : مقامات ويلورية ص ١٧٣ـ ١٧٤، ١٨٠ـ ١٨١ مقدمة المحقق.

[٥٦٩]ـ وهي الشّمّامة الكافُوْرية في وصف المعاهد الأَيْلُوْرية . ينظر محتوياتها بالتفصيل في : مقامات ويلورية ص ٢٠٨ وما بعدها .

[٥٧٠]ـ وهي المسمَّاة بـ : الخِطْفة العقابيّة للفأرة المِسْكِيّة . . ينظر محتوياتها بالتفصيل في : المصدر السابق ص٢٥٤ وما بعدها .

فأجابه بأسلوب أنيق ، وبراعة ممتازة .

والمقامة الثالثة[٥٧١] : تتحدث عن التصوف ، وترى فيها سخريّة عن متصوّف قد اجتمع حوله الناس ، وتحتوي كذلك على معلومات ثمينة ، وأفكار عجيبة حول طريقة السلوك بأسلوب خاص تهتزّ لها النفوس ، وتطّرب لها القلوب .

والمقامة الرابعة[٥٧٢] : تشتمل على الدعابة العجيبة في ذكر مناكحة ، والناكح البارع هنا قد ألقى خطبة النكاح العجيبة الرائعة يذكر فيها صفات النساء الجديرات بأن يُنْكَحْن، وصفات اللاتي ينبغي الاجتناب عن زواجهنَّ ومعاشرتهن .

والمقامة الخامسة[٥٧٣] : ـ وهي الأخيرة من بين المقامات ـ تُعدُّ خير مثال للتَّورية الرائعة التي لم يُسبق مثلها بين الزوجين بمحاكمتهما أمام القاضي[٥٧٤].

ب ـ أسلوبها الأدبي :

أسلوب كتابة المؤلّف في المقامات الخمس كان جَزْلاً جميلاً ، ورائعاً أنيقاً ، وبارعاً فصيحاً يتمتع بقراءته اللبيبُ ويستأنس بذوقه الأديبُ ، وقد استعمل المؤلف فيها اللغة البليغة العامرة ، والكلمات العربية الشاردة ، والتراكيب المستعملة النادرة لا تخلو أحياناً من عسر الفهم ، وصعوبة الإدراك ، جاءت بذلك مكسية بالكلمات المسجوعة الزاهرة ، والأشعار العذبة الساحرة ، والآيات القرآنية الباهرة ، والأمثال السائرة ،

---

[٥٧١]ـ وهي المسمَّاة بـ : المقامة الترشنافليّة . ينظر الحديث عن محتوياتها بالتفصيل في : المصدر السابق ص ٢٦٩ وما بعدها .

[٥٧٢]ـ وهي المسمَّاة بـ : المقامة الأركاتيّة . ينظر : المصدر السابق ص ٢٧٧ وما بعدها .

[٥٧٣]ـ وهي المسمَّاة بـ : المقامة الحيدر آباديّة. ينظر موضوعاتها بالتفصيل في : المصدر السابق ص ٢٩٧ وما بعدها .

[٥٧٤]ـ ينظر مضامين هذه المقامات في : مقامات ويلورية ص ١٧٦ .

والصور البلاغية اللطيفة التي تجمع أساليب البديع ، والمعاني ، والبيان، وفروعها المتعددة من الكناية والتورية والجناس والطباق ، والتشبيه والاستعارة ونحوها ، وضرب لذلك أمثلة رائعة ، وصوراً قيمة تشهد له بقوة أسلوبه ، وعجيب ذاكرته ، واتساع أفقه ، وفصيح لسانه .

وكذلك مما يدلُّ على تنويع فكرته ، وحسن استعماله ، وتمام مهارته تناول المصطلحات العلمية والاستعانة بها في ربط الأفكار ، وتركيب السياق ، وأداء الفكرة مما يضيف إلى كتابه قوة التأليف ، والتحكم في الكلمات ، والسيطرة على التعبير باستعمال تلك المصطلحات الفنية ، كمصطلحات الأصول الإسلامية ، والمنطق ، والفلك، والهندسة، والجغرافية ، واللغة العربية ، وكذا أسماء الفواكه والأزهار المحليّة نثراً ونظماً ، ونحوها بمهارة تامة ، وقدرة عجيبة في التعامل مع معانيها السامية ، وأساليبها الراقية ، وآدابها الرفيعة[٥٧٥] .

وكان الراوي[٥٧٦] عند محمد باقر المدراسي السالم بن هاشم ، والبطل[٥٧٧] أبو الفرج البَدْري ، وهو يكون في زيٍّ متنكّر يقابله الراوي .

---

[٥٧٥]- وللمزيد من أسلوب المؤلف ولغته والاطلاع عليه ينظر : المصدر السابق ص ٢٠٦ وما بعدها، فثمة نماذج كثيرة وصور متعددة فليراجع هناك وينظر :ص ١٧٦- ١٧٧ (مقدمة المحقق).

[٥٧٦]- هو الذي يروي ما يجري في المقامة من الواقعات والأحداث . ينظر: مقامات ويلورية ص ١١٩ (مقدمة المحقق) .

[٥٧٧]- (أو المُكدي) : هو الأديب المحتال الذي يسعى إلى الكِدْية عن طريق البلاغة وروائع البيان ، وغرائب الأقوال والأحاديث والأشعار الرائعة ، ويظهر كأنه شحّاذ وأديب آخّاذ في آنٍ واحدٍ ، وهو يعرف كيف يلعب بعقول الناس بحذاقته وفصاحته ، فالقصة تدور حوله ، وتنتهي بانتصاره . ينظر: مقامات ويلورية ص ١١٩ (مقدمة المحقق).

ويبدو من خلال الدراسة والتحليل أن العلامة محمد باقر المدراسي قد تأثّر بمقامات بديع الزمان والحريري وغيرهما وإن لم يصرح بذلك، واستفاد منهم أدب المقامة الفني، وكتابة النثر بما فيه من الكتابة الأنيقة المزخرفة ، والتزام السجع المتصنَّع أحياناً ، وضرب البلاغة العذبة بالأمثلة ، ويحتملبأنه أتمّ رحلته الفنية بالمقامات الهندية لأبي بكر محسن باعبود العلوي الذي قد قضى حياته في الهند ، مستفيداً منه الجوانب الأدبية في الكتابة النثرية ، وربما يكون رأى الدكتور محمد عارف نسيم مصيباً لمّا ذهب في موضوع أسلوب كتابته عن المقامات قائلاً : ((إنه أخذ الشكل ولم يتبع أسلوبهم ، له أسلوب ـ وهو رجل ذكيّ فطن فنّان ـ كما كان بديع الزمان والحريري وغيرهم ، وهو لم يأخذ عباراتهم وتراكيبهم ولم يُحاكِهِمْ ، بل طوَّر أسلوبه بما هو جديدٌ وعجيبٌ ومتباينٌ إلى حدٍّ ما))[٥٧٨] .

ج ـ نماذج من الكتاب :

يقول العلامة محمد باقر المِدْراسي في المقامة الثالثة ، وهي المقامة الترشنافليّة[٥٧٩] :((حكى السالم بن هاشم[٥٨٠]، قال : كنت في ريعان الشباب طموحاً

والعلامة محمد باقر المدراسي ههنا ذكر الراوي والبطل ـ أي صاحب الكدية ـ مقلّداً في ذلك بديع الزمان والحريري والقاضي الفاضل وغيرهم ؛ حيث كانوا يذكرونهما في مقاماتهم خلافاً للزمخشري والسيوطي فإنهما لم يذكرا فيهما الراوي والبطل كما جرت العادة في كتابة المقامات . ينظر : المقامة لشوقي ضيف ص ٧٧ـ ٧٨ ، مقامات ويلورية ص ١٢٢ (مقدمة المحقق).

[٥٧٨]ـ مقامات ويلورية ص ١٧٧ (مقدمة المحقق) .

[٥٧٩]ـ نسبةً إلى ترشنافلي: وهي مدينة في جنوب الهند. ينظر: مقامات ويلورية ص ٢٦٩ الهامش ٥.

[٥٨٠]ـ وهو الراوي ينقل رواية عن مجلس تحدّث فيه .

في اقتناء الآداب، ألج في طلبها كلّباب ، وانكشف عن وجوه مخدّراتها الجلباب[٥٨١] ، أَرُوْدُ[٥٨٢] أهلها في كل وقت ومكان ، واستطلع طلعهم من كلّ قاصٍ ودانٍ إلى أن طرق سمعي وصف ترشنافلي[٥٨٣] ، وتحلّى قطّانها بالفضل الجليّ ، فسقاني ساقي الشوق كأس الغَرام ، وساقني إلى التشمير[٥٨٤] عن ساقي الاهتمام ، وأوقد في خَلَدي[٥٨٥] جمر الغَضَا[٥٨٦] ، وهوَّن عليّ السَّفر الذي هو قطعة من اللظى ، فحصلت فيها بعد مقاساة العنا من الرّضا، وألِفْتها كما نَعَتْها أَلْسِنَةُ الورى ...))[٥٨٧] .

٢ـ المقامات الهندية : وتُعرف أحياناً بـ : مقامات الهندي :

أ ـ مؤلّفها ومحتواها: ألّفها السيد أبو بكر محسن باعبود العلوي اليمني صنّفه سنـــة

٥٨١ـ هي الثوب الواسع ، أو القميص ، أو الإزار، أو الخمار دون الرداء تغطي المرأة به رأسها وصدرها . ينظر: تهذيب اللغة ٦٤/١١ـ ٦٥ ، مادة (جلبب)، ولسان العرب ٢٧٣/١ المادة نفسها.

٥٨٢ـ ماضيه : رادَ يَرود بمعنى : أطلبُ وأختار ، والمصدر الرّوْرُ : الإرادة والمشيئة . ينظر : تهذيب اللغة ١١٣/١٤ مادة (رود) ، والصحاح ٤٧٨/٢ المادة نفسها ..

٥٨٣ـ وهي مدينة في جنوب الهند . ينظر : مقامات ويلورية ص ٢٦٩ الهامش ٥ .

٥٨٤ـ التشمير : مصدر مِنْ : شمَّر الثوب عن ساقيه : رَفَعه ، أو أراد الشيء وتهيّأ له . ينظر : الصحاح ٧٠٣/٢ مادة (شمر) ، ولسان العرب ٥٠١/٢ المادة نفسها.

٥٨٥ـ خَلَدٌ : بال، أو قلب، أو خاطر أو النفس وجمعه أخلاد. ينظر: لسان العرب ١٦٥/٣مادة (خلد).

٥٨٦ـ جمر الغَضَا : الغض : شجر من الأثل ، خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمناً طويلاً . ولسان العرب ١٩٦/٧مادة (غضا)، وتاج العروس ١٧٢/٣٩ المادة نفسها، ومقامات ويلورية ص ٢٦٩ الهامش ٨.

٥٨٧ـ مقامات ويلورية ص ٢٦٩ .

/١١٢٨هـ/[٥٨٨] .

وهذا الكتاب يحتوي على خمسين مقامة ، سُمِّي كل واحدة منها باسم مدينة هندية مثل : المقامة اللّاهَوْرية[٥٨٩]، والسُّورتية[٥٩٠]، والأحمد نَكَرية[٥٩١]، والمُلْتانية[٥٩٢]... ونحوها، وقد تحدّث في تلك المقاماتعن أوصاف المدن، وأعيانها وأهلها بإتقان، وأحسن دراسة الطبائع، وتصوير المصائب ، وعرض مساوئ المجتمع ومحاسنه .

وقد ذكر هذا الكتاب كلُّ من تعرض لترجمة المؤلِّف وأثبتوه له في كتب التراجم ، كالعلامة عبد الحي الحسني[٥٩٣] ، والدكتور زبيد أحمد[٥٩٤] ، والدكتور محمد عارف نسيم[٥٩٥] ، والدكتورة خالدة أمجد[٥٩٦] ، وغيرهم .

وسبب تأليفه : فقد ذكره المؤلِّف في المقدمة بقوله : ((لمَّا رماني البينُ بسهامِ الاغترابِ ، وفارقَ بيني وبين الوطنِ والأحبابِ ، خرجتُ ذاتَ يومٍ بعد صلاةِ العصرِ إلى متنزّهٍ مع بعضِأدباءِ العصرِ ، واصطحبتُ معي المقاماتِ الحريريةَ والتوابعَ ،

---

[٥٨٨]- وقد طبع الكتاب بمطبعة حجرية في الهند أكثر من مرة وتقتني مكتبة المكتب الهندي نسخة منه. وينظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، القسم التاسع ص ٢٢٩ .

[٥٨٩]- نسبةً إلى مدينة لاهور .

[٥٩٠]- نسبةً إلى مدينة سورت وهي مدينة في الهند .

[٥٩١]- نسبةً إلى مدينة أحمد نكر .

[٥٩٢]- نسبةً إلى بلدة ملتان من بلاد باكستان ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٨، ٢٠٠.

[٥٩٣]- ينظر : الإعلام ٦٨٤/٦ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٣ .

[٥٩٤]- ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٩، ٤٣٨ .

[٥٩٥]- ينظر : مقامات ويلورية ص١١٠ ، ١٣٧ (مقدمة المحقق)

[٥٩٦]- ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٧٨ ، ١٩٨ وما بعدها.

والمقاماتِ الزينية[٥٩٧] ، وكان معنا جماعةٌ ليس لهم تعلّقٌ بعلومِ العربيةِ ، ولا اطلاعٌ على النكتِ الأدبيةِ ، فنفرتْ طباعُهم حتى صارَ الواحدُ منهم لا يحبُّ مَنْ ناداه ، ولا شكَّ أن مَنْ جهلَ شيئاً عاداه ، فعند ذلك أشارَ عليَّ بعضُ مَنْ حضرَ بإنشاءِ مقاماتٍ يفهمها الأصي[٥٩٨] والداني غير محتاجةٍ ألفاظُها إلى التفتيشِ في كتبِ اللغةِ والمعاني ، فأنشأتُ هذه المقاماتِ حسبَ الإشارةِ، وتجنّبتُ الوحشَ والغريبَ في العبارةِ ، وعزوتُ روايتها إلى الناصرِ بن فتّاح ، ونشأتها إلى أبي المظفّرِ الهندي السيّاحِ ، فليعذرِ الواقفُ عليها والناظرُ إليها ، وهي ـ وإن كانت غيرَ محكمةِ الصياغةِ ـ لا تخلو من مُلَحٍ يعرفُها أهلُ البراعةِ))[٥٩٩].

والراوي عند أبي بكر محسن باعبود العلوي الناصر بن فتّاح[٦٠٠] الذي يرويبطولات أبي المظفّر الهنديومغامراته[٦٠١] ، وهذان الدوران أنفسهما قد لعبهما عيسى بن هشام[٦٠٢] وأبو زيد[٦٠٣] على الترتيب في المقامات الحريرية.

كما تكلّم عن أزهار الطبيعة ، وأنواع الفواكه والرياحين ، وسماتها الرشيقة التي كانت تغطّي تلك المدن بسحابة من المناظر الخلّابة ، والمظاهر الرائعة ، ويزّين ذلك

---

[٥٩٧]ـ هذه المقامات لزين الدين صقل الجزري (ت ٧٠١ هـ) .

[٥٩٨]ـ في الأصل المنقول عنه هكذا ، ولعل الصحيح : القاصي .

[٥٩٩]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٢ ، وينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٩.

[٦٠٠]ـ وهو يروي ما يجري في المقامة من الأحداث .

[٦٠١]ـ وهو بطل المغامرات .

[٦٠٢]ـ هو الراوي يروي ما يجري في المقامة من الأحداث والوقائع .

[٦٠٣]ـ وهو بطل المغامرات .

كله بالآيات الحكيمة، والأشعار الفائقة ، والأمثال السائرة ، والصور البلاغية الساحرة، ويقدّمه في أجمل العَرْض ، وأبدع التصوير .

والأديب باعبود العلوي لم يتورّع أحياناً من عرض بعض الصور التي تتضمّن المجون والإيماءات الجنسية ، والإشارة إليها خلال عرض المادة في بعض مقاماته، وإنما يأتي بالصور الفاحشة بدون التورية ولا الكناية .

ب ـ أسلوبها الأدبي :

أسلوب الكتاب ليس مُزَخْرفاً متكلّفاً في الغالب، ولا معقَّداً منفِّراً، وإنما سهل ممتع ، وسَلِسٌ مقبول ، له سجع خفيف رشيق يتمتع صاحبه بخفة الروح ، وفصاحة اللسان ، وعذوبة العبارة ، وحسن الابتكار ، وقد أجاد في مقاماته السَّبْرَ ، والوصف الحسِّي ، والتحليل ، وأفلح في إعطاء اللغة العربية وآدابها زخماً قيماً من التراكيب الجميلة ، والمفردات الحسنة ، وأتقن فنّاً محكماً في سرد القصص والحكايات بما يتلائم مع الطبيعة العربية ، ويتناسب لأذواقها السامية ، وذلك بفضل فُكاهة القصّة ودعابة الأسلوب ، وجودة الحوار، ووضوح الفكرة.

وقد تأثّر أبو بكر باعبود العلوي في كتابه : المقامات الهندية بمقامات الحريري وتقلّد أسلوبه الأدبي ، فكتب عدة مقامات باسم مقامات الهندي على منوال الحريري ، ونسج أفكاره كأفكاره ، واتبّعه في التزام سجع الألفاظ ، وصياغة العبارة ، وتسمية المقامات باسم المدن ونحوها ، وعلى الرغم من استعارة أفكار الحريري ، وزخرفة ألفاظه وتكلّف سجعه أحياناً إلا أنه كتب مقاماته بأسلوب رائع ، وطراز جميل تمثّل فيه جمال النثر الفني ، والعَرْض الخلاب ، والشعور المرهف ، واستطاع في مقاماته اختيار الكلمات المناسبة، والعبارات الرشيقة الخفيفة، ووضعها في مواضعها المتلائمة بحسن الاهتمام ، وقبول الانسجام في عذوبة الفكر ، وسلاسة التعبير ، والأديب أبو

بكر باعبود العلوي نال بكتابه هذ اعترافاً وتقديراً من الجهات الأدبية ، وإقبالاً واهتماماً من المكتبة العلمية[٦٠٤] .

ج ـ نماذج من الكتاب :

سأقدِّم نموذجاً واحداً من مقامات باعبود العلوي الكثيرة ، وأكتفي به ذكراً ؛ ليرى القارئ منهجه في العرض ، وأسلوبه في النثر ، وفصاحته في اللغة ، وإليك ما يلي :

يقول باعبود في مقامته السُّورية : ((روى الناصر بن فتّاح، قال: سمرت مع بعض الإخوان ، فتذاكرنا محاسن البلدان ، فقالوا قد شاع وذاع، وملأ الأسماع أن أرض الهند جمعت جميع المحاسن الدنيوية، وفيها من الراحة ما يعين على المطالب الأخروية ، فاشتقت إليها اشتياقَ الصَّادي[٦٠٥] إلى الزلالِ، والمهجورِ إلى الوصالِ ، والحزينِ إلى الفرحِ، والعديمِ إلى المنح، وبقيتُ أفكِّر في الحيلةِ التي توصلُ إليها، وترميني بأي وجهٍ عليها، فقيل لي: إن أهل هذه المدينة يريدون أن يبعثوا إليها سفينة، فاتخذتُ الأُهْبةَ ، وتهيأت لركوبِ مركبِ الغُرْبة ، وتوكلتُ على مالكِ الملكِ ، وركبتُ في ذلك الفُلْكِ[٦٠٦]

---

[٦٠٤]ـ بعض الأدباء المعاصرين تحدثوا عن أسلوبه في الكتاب المذكور بشكل موجز ، وللوقوف عليه ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٠ وما بعدها ، ومقامات ويلورية ص ١٣٧ (مقدمة المحقق) ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٩ـ ٢٣٠ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، القسم التاسع ص ٢٢٩ .

[٦٠٥]ـ الصَّدى : وهو شدّة العَطَش ، والجمع صِداءٌ ، يقال : صَدِيَ يَصْدى فهو صادٍ . ينظر : لسان العرب ٤٥٣/١٤ مادة (صدى) .

[٦٠٦]ـ الفُلْك : السُّفن ، الواحدة والجمع سواء . ينظر : جمهرة اللغة ٩٦٩/٢ مادة (فكك) ، والصحاح ١٦٠٤/٤ المادة نفسها .

ومنذ مشينا من المَراسي[٦٠٧]، ونحن نقاسي من الأهوالِ ما نقاسي، وحين خفنا على ذهابِ النفوسِ لاحَ لنا بندرُ سورة المحروس، فنزلنا إلى تلك الأرضِ المؤنسةِ...))[٦٠٨]

وبعد الدراسة وتدقيق النظر في هذا المقطع من المقامة ترى النثر الفني المقبول ، والسجع المعتدل ، وقد استعمل صاحبها الألفاظ المترابطة بالحروف المتقاربة مثل : المدينة والسفينة ، والملك والفلك ، والنفوس والمحروس ، والأهبة والغربة ، وغير ذلك من الكلمات المناسبة .

وإذا أردنا المقارنة بينه وبين الحريري في مقاماته ، فنرى انسجاماً في الأفكار ، وترابطاً في الأسلوب ،، وتوافقاً في الأداء في مجمل موضوعات المقامات لكلٍّ من الأديبين الحريري وباعبود العلوي .

وعلى هذا الطراز استمرت مقامات الهندي إلى نهايتها في هذا المجال العلمي الأدبي ، وجاءت كتابتها على منوال الحريري .

٣ـ القيطون :

مؤلِّفه : مولانا إله داد بن كمال اللكهنوي (ت ٩٩١ هـ) ، وهو يحتوي على خمس مقامات منسوجة على منوال الحريري ، هكذا أورده العلامة عبد الحي الحسني،

---

[٦٠٧]ـ جمع : المِرْساةُ ، هي ثقل يُلقى في الماء فيمسك السفينة أن تجري ، يقال : ألقى القوم مراسيهم : أقاموا ، وألقى السحاب مراسيه : ثبت في مكان وأمطر . ينظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة [القاهرة] . ـ د ط . ـ د ت ، ٣٤٥/١ مادة (رسو) ، وتاج العروس ١٥٠/٣٨ المادة نفسها .

[٦٠٨]ـ نقلاً عن النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٢٠٢ـ ٢٠٣ ، وللمزيد من النماذج للمقامات الهندية ينظر : المصدر السابق ص ١٩٨ وما بعدها ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٩ـ ٢٣٠ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٧٠ـ ١٧٣ .

وصرَّح بنسبته إليه في كتابه : الإعلام[٦٠٩] ، والدكتور زبيد أحمد[٦١٠]، وأُكْتُفِي بذكر الكتاب فقط .

٤ ـ مقامات مظهري :

ألّفها الشيخ غلام علي العلوي النقشبندي البتالوي الدهلوي (ت ١٢٤٠هـ) ، ذكره عبد الحي الحسني في كتابه الإعلام[٦١١]، ولم أجد عند غيره من المترجمين له.

رابعاً ـ شروح المقامات وحواشيها :

كان لعلماء شبه القارة الهندية مصنّفات جليلة ، وأعمال مجيدة ، وإسهامات واضحة ، وآثار طيبة في شتى مجالات العلوم ،فتركوا بصماتهم في سائر الفنون العقلية والنقلية ، والنثرية والنظمية ، وشاركوا بالتأليففيمجالات عديدةلم يعدلوا عن باب علمي إلا ودخلوا فيه ، ولم يغفلوا عن مسألة مستجدة إلا واجتهدوا فيها ، وكان من الأعمال البديعة ، والمؤلفات المفيدة التي تركها هؤلاء الأدباء للمكتبة العربية تلك الحواشي والشروح لكتب المقامات إلا أن العناية بمقامات الحريري كانت حاضرة ، والاهتمام بها كان بالغاً خلافاً للمقامات الأخرىالتي انتشرت سمعتها في العالم العربي الإسلامي، كمقامات الهمذاني ـ مثلاً ـ فلا نجد لها شُرّاحاً ولا حواشيَ سوى شرح واحد قام به وكيل أحمد وسيأتي بيانه لاحقاً ، وإليك بيان تلك الشروح والحواشيعلى النحو التالي :

---

[٦٠٩]ـ ينظر : ٤/ ٣١٢ـ ٣١٣ .

[٦١٠]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٣٧ .

[٦١١]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ١٠٥٦ .

١ـ شرح على المقامات الهندية لمولانا محمد شكور المجهلي شهري (ت ١٣٠٠ هـ)[٦١٢].

٢ـ الياقوت الرّماني شرح المقامات للبديع الهمذاني للمولوي وكيل أحمد السكندربوري (ت ١٣٢٢ هـ)[٦١٣]، ولم نجد شرحاً لمقامات الهمذاني في شبه القارة الهندية إلا هذا الشرح فقط .

٣ـ شرح على مقامات الحريري للشيخ أوحد الدين العثماني البلكرامي (ت ١٢٥٠هـ)[٦١٤].

٤ـ شرح على مقامات الحريري لمولانا رَوْشَن علي الجونبوري[٦١٥] .

٥ـ شرح على مقامات الحريري لراجه إمداد علي خان الكنتوري (ت١٢٩١هـ)[٦١٦].

---

[٦١٢]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ١٠٩٥/٧ـ ١٠٩٦ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٥ ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤٢ .

[٦١٣]ـ هكذا جاء اسمه في كتابي عبد الحي الحسني : الإعلام ١٤٠٠/٨ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٥ ، وكتاب الأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٦٨، وفي كتاب : الدعوة الإسلامية وتطورها ص ٤٢٠ جاء كذا : الياقوت الرّماني شرح مقالات الهمذاني ، وأرى ترجيح ما ورد عند عبد الحي الحسني في كتابيه وأولويته في الإثبات ، وذلك لكونه من كبار مؤرّخي الهند ، ومن أشهر مدوِّني الكتب العلمية والثقافية في شبه القارة ، ومثله لا يخفى عليه هذا الأمر ، وهو ليس ببعيد عنه ، والله أعلم .

[٦١٤]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ٩٢٩ـ ٩٣٠ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٥ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٦٩ .

[٦١٥]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ٩٧٧ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٥ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٦٩ .

٦ـ شرح على مقامات الحريري للقاضي نجف علي بن عظيم الدين الجَهْجَهْري (ت ١٢٩٩ هـ)[٦١٧]، وهو شرح بألفاظ غير منقوطة[٦١٨] .

٧ـ حاشية على المقامات الحريرية للقاضي فتح علي القنّوْجي (ت في حدود ١٢٠٠هـ)[٦١٩].

٨ـ حاشية مقامات الحريري للشيخ محمد حبيب الرحمن بن فضل الرحمن الديوبندي العثماني ، وهي تقع في ثلاثة أجزاء مع شروحها .

---

[٦١٦]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٩٢٥/٧ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٥ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٦٩ .

[٦١٧]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ١١٢٠ ، والثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٥ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٦٩ .

[٦١٨]ـ ينظر الحديث عن صنعة الإهمال والإعجام في المبحث الخامس .

[٦١٩]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٦/ ٧٧٩ .

المبحث الرابع

القصص والحكايات في شبه القارة الهندية

وهي تُعدُّ عملاً فنياً في الأدب العربي ، لها أهمية في النثر الفني، ومكانة في الفكر اللغوي؛ حيث انشغل بها الأدباء ، ودرسوا أقسامها ، واعتنوا بتاريخها نقداً ودراسة ، وتحليلاً وتفريعاً ، وهو ما لا يخفى على كلّ مَنْ يطرق بابها ، ويتتّبع تطورها ، ويدقّق النظر في أحداثها .

كما أنها نالت قسطاً كبيراً من آداب الأمم السابقة ، وورعايةبذكرها في الكتب السماوية المقدّسة ، وزخرفت كلماتها بالدراسات اللاحقة ، وذلك لاتصالها بحياة البشر وبيئتهم الطبيعية ، وتصويرها لأعمال الناس وتصرفاتهم السلوكية ، وقيامها بمعالجة المشكلات الاجتماعية والنفسية بأسلوب نثري ، وذوق أدبي، وتعبير فني[٦٢٠].

---

[٦٢٠]ـ ينظر مفهوم القِصة في الأدب العربي وأهميتها في : إبراهيم شمس الدين ، قصص العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ ط ١. ـ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م ،٣/١ وما بعدها ، وتطور الأساليب الكتابية ص ١١١ ، وأحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ـ مصر . ـ ط ١٠. ـ ١٩٩٤ م ،ص ٣٣٢ـ ٣٣٣ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٣٤ـ ٣٦ ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٢٨٩.

وأقدم قصص عربية مدوّنة ما أورده القرآن الكريم عن الأمم الماضية ، وكانت تلك القصص تتضمّن مجموعة من الأخبار التي أخبر الله بها رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أحوالها الغابرة ، وعن الرسل والأنبياء السابقين الذين بُعثوا بالرسالات السماوية قبل نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ولمّا كانت هذه القصص القرآنية واردة في كلام الله المقدّس عُني بتفسيرها وتكملتها المفسرون ، واهتموا بتفاصيلها ، حتى نشأت القصص الدينية ، ثم اختلطت بالروايات الإسرائيلية الواردة في التوراة والإنجيل ، وأضيف إليها مالم يُذكر في كتاب الله ، وبدأت تتوسّع وتطول في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي ذلك يرى الدكتور شوقي ضيف بأن القصص نشا منذ عصر عمر بن الخطاب ؛ حيث كان هناك قصَّاص يقصّون في المساجد الوعظ وقت السلم ، وآخرون يقصّون في مقدّمة الجيوش الفاتحة للأمصار وقت الحرب .

وهؤلاء القُصّاص كانوا يمزجون قصصهم بالحديث عن الرسل والأنبياء والأمم السابقة ، كما كانوا يزيّنونها بكلام الله وحديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وجاء في طليعة هؤلاء القُصّاص مسلم بن جندب قاصّ مسجد رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ومطرف بن عبد الله الشخير ، ويزيد بن أبان الرقاشي[٦٢١].

وقد اتسع فنّ القِصّة في العصرين الأموي والعباسي اتساعاً واضحاً ؛ حيث كان هناك مجالس للقَصَّاصين والواعظين ، كما كان للبلغاء والشعراء والخطباء والأدباء ، فيقوم القصّاصون فيها بسرد القصص والحكايات ، والحديث عن مواضع الوقائع ،

---

[٦٢١] ـ ينظر : شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف [القاهرة] . ـ ط ١٣ . ـ د ت ، ص ٧٤ـ ٧٨ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٣٨ـ ٣٩ .

وموضوعات الأحداث ، ويصاغ ذلك كله بأسلوب جذّاب للآذان ، وطريقة مشوّقة للقلوب ما يجعل المستمع أكثر تعلُّقاً ، وأشدَّ ارتباطاً .

والقِصّة بالإضافة إلى الوعظ والتسلية في السلم ، والتحريض على الاستبسال في الحرب كانت تُستخدم من قبل الدولة لأغراض أخرى منها الدعوة السياسية ، واستمالة قلوب أتباعها ، وبثّ نفوذها في البلاد ، واعتمد عليها الخلفاء والأمراء ، وكذلك استخدمتها الفِرَق السياسية الإسلامية الأخرى ، كالخوارج ـ مثلاً ـ؛ حيث كان لهم قُصّاص كثيرون يستفيدون من قصصهم، ويوظِّفونها في اتجاهاتهم[٦٢٢] .

وكان يقابل هؤلاء القصّاصين قصاصون من الناسكين العابدين ، والزاهدين الورعين الذين تغلّب عليهم العزوف عن الدنيا والإقبال إلى الآخرة ، وكثرة المراقبة لله، وشدة الخوف منه ، والتقوى له .

وفي أواخر العصر العباسي اتجه فنّ القِصّة اتجاهات أخرى ، وكثر رُوّادها ، وتوسّع مفاهيمها، وذلك نتيجة لدخول العنصر العجمي إلى كيان الدولة ، وتغيير الأحوال التي اجتاحت الخلافة الإسلامية.

أولاً ـ مفهوم القصة اللغوي والاصطلاحي :

لفظ القصة عند العرب يطلق على عدة معان ، منها :

الأمر ، والخبر ، والشأن ، والحديث ، والجملة من الكلام ، والخرافة ، وغيرها ، وهي تجمع على القِصَص ـ بكسر القاف ـ بمعنى : القصة التي تكتب ، وعلى القَصَص

---

[٦٢٢] ـ ينظر : الفنّ ومذاهبه في النثر العربي لشوقي ضيف ص ٧٥ـ ٧٧ ، وتاريخ الأدب العربي ـ العصر الأول لشوقي ضيف ٤٥٤ـ ٤٥٦ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٣٩ ، وتاريخ الأدب العربي للزيات ص ٢٨٩ .

ـ بفتح القاف ـ بمعنى : الخبر المقصوص ، ورواية الخبر ،والأثر ، وأهل القصص عند أهل اللغة : تتبُّعُ الأثر ، ومنه القاصُّ ، وهو المتتبع للآثار وبناءً على هذا التعريف اللغوي والتفريق بينهما ، فإنَّ القِصَص ـ بالكسر ـ يدخل فيها الخيال ، وأمَّا القَصَص ـ بالفتح ـ فلا يدخل ، لأنها رواية الحقيقة[٦٢٣].

وفي الاصطلاح : لها تعريفات كثيرة، منها: ما أورده أحمد حسن الزيات بقوله: ((القَصَصُ فنّ من فنون الأدب الجليلة ، يُقصد به ترويحُ النفس باللهو ، وتثقيف العقل بالحكمة))[٦٢٤] .

ومنها ما ذكرته خالدة أمجد بقولها : ((القِصة هي مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عديدة تتعلق بشخصية إنسانية مختلفة ، وتتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة على غراء ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثر والتأثير))[٦٢٥] .

ويلاحظ في هذين التعريفين أن القِصّة هي عبارة عن سرد واقعي أو خيالي يُقصد به إثارة الاهتمام والإمتاع ، أو تثقيف السامعين والقراء مع مراعاة عناصر القِصّة وتوفرها في سياقها الفني .

ثانياً ـ عناصر القِصّة :

تتكون القِصّة من عناصر ، وعلى الكاتب توفيرها ومراعاتها لتحقيق المراد منها ، وهي: ـ

---

[٦٢٣] ـ ينظر : لسان العرب ٧٤/٧ مادة (قصص) ،وترتيب القاموس المحيط ٦٣٢/٣ـ ٦٣٣ ، والمصباح المنير ص ١٩٣ ، والمعجم الوسيط ٧٤٠/٢ المادة نفسها.

[٦٢٤] ـ تاريخ الأدب العربي ص ٢٨٩ .

[٦٢٥] ـ النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٣٤ .

ـ الشخصيات ، فإنها تُرْسم كيفما اتفق .

ـ الحَبْكة[٦٢٦] أو العُقْدة ، ومعيارها : هو وحدتها وتماسّكها مع المُتغيّرات التي حدثت في بداية الحَبْكة ونهايتها .

ـ الزمان والمكان .

ـ الحِكايةُ أو الحَدَثُ ، وهي مجموعة من الأمور التي تحدث في القِصّة .

ـ الفكرة ، وهي التي قامت عليها القِصّة ، ومغزاها[٦٢٧] .

وهذه العناصر للقصة قد توفرت في الفنّ القصصي لدى علماء شبه القارة ، وتمت مراعاتها في الكتابة الأدبية لدى كتّابه في تلك البلاد .

ثالثاً ـ أنواع القِصّة :

بعد مطالعة الكتب الأدبية للقصص ، والاطلاع على كتّابها تبين لي بأن القصة تنوّعت في شبه القارة إلى نوعين رئيسين ، أولهما بحسب شكلها العام ، فينقسم إلى عدة فقرات ، وثانيهما بحسب أغراضها ، وأيضاً تتفرع إلى عناوينَ ، وإليك بيانهما على الشكل التالي مختصراً :

فالأول : أنواع القصة بشكلها العام ، وهي :

---

[٦٢٦] ـ الحَبْكة في اللغة : كلُّ شيءٍ أحكَمْته ، وأحسنْتَ عملَه فقد احتبكْتَهُ . ينظر: المصباح المنير مادة (حبك) ص ٤٦ .

[٦٢٧] ـ ينظر هذه العناصر والحديث عنها في : تطور الأساليب الكتابية ص ١١٤ وما بعدها ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٤٠ ، والمقامة ص ٨ ، ١٧ ، ٢٣ ـ ٢٤ .

الرواية : وهي أكبر أنواع القصص طولاً ، ويُقال لها : القِصّة الطويلة ، وموضوعاتها عديدة ، فتقوم على حادثة رئيسة ،ويتفرّع عنها ، أو يتصل بها حوادث أخرى ، وأشخاص عدّة ، وهي تتسم بالخيال الواسع ، والاستطراد ، والتفريعات في أثناء سردها .

ـ القِصّة : وهي سرد حَدَث أو مجموعة من الأحداث بصورة واقعية أو خيالية ، وتكون قصيرة عادة ، وتكتب في فصل واحد ، فغالباً ما تدور على شخص واحدٍ ، أو أشخاص قلائل[٦٢٨] ، وبالمقارنة مع الرواية ، فهي أقلّ حجماً منها ، وأطول من الأقصوصة[٦٢٩] .

ـ القصة القصيرة ، أو الأقصوصة : وهي عبارة عن سرد مجموعة من الوقائع التي حدثت مع شخص ما في وقت محدّد ، وقد يكون هذا السرد واقعياً أو خيالياً ، وهذا النوع من القصص محبوب لدى القُرّاء ؛ لكونه يلائم رغبتهم في سرعة القراءة ، ويتسع زوايا ضيّقة في الصحف والمجلّات ، ولا يستغرق الأزمنة الطويلة في الإذاعة

---

[٦٢٨] ـ ينظر : تطور الأساليب الكتابية ص ١١١ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٤٠ـ ٤١ ، وأصول النقد الأدبي ص ٣٢٥ .

[٦٢٩] ـ بعض الباحثين لا يرون فرقاً بين الرواية والقصة ، فهما يدلان على معنى واحد ، فيطلق أحدهما على الآخر ويراد به الثاني ، وبعضهم يفرقون بينهما بالقول : إن الفرق بينهما يرجع إلى مدى اقتراب كل منهما من الواقع وملامسته ، فالقصة تكاد تكون محصورة في رواية المغامرات الخيالية العجيبة ، وتعتمد على عنصر الأحداث وتسلْسُلِها وتشابكها في حين أن الرواية تتركز على الشخصيات والدوافع التي تحركها في إطار الحوادث الواقعية التي تعلقها . ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٣٤ـ ٣٥ .

والأخبار ، ومن أهم ما يميز الأقصوصة عن الرواية والقِصّة صغر حجمها[٦٣٠] .

الحكاية : وهي حدث قصير مفرد يُروى كما وقع من غير عمل فني أدبي فيه ، وقد يكون واقعياً أو خيالياً ، فلا تحليل فيه ، ولا مقدمة ، ولا عُقْدة ، وعليه تكون الحكاية في أول مراتب القصص لعمومها ؛ حيث تربطها سلسلة من الحوادث ، وهي مرتبة ترتيباً زمنياً طبعياً ، وقيمتها تزداد بازدياد الغرابة في الحاث المروي في مدى بُعْده عن المألوف ، وعما يجري في حياة البشر اليومية عادة[٦٣١] .

والثاني : أنواع القِصّة بحسب أغراضها ، وإليك أبرزَها : ـ

ـ القِصّة التاريخية أو الأخبارية :وهي مجموعة من الحوادث تتعلق بسِير الملوك ، والحكماء ، وأعلام الأشخاص الذين تميّزوا بمواقف معينة ولها ذكر في التاريخ .

ـ القصة الدينية : وهي التي تتعلّق بالعقائد الدينية وشؤونها ، والاستشهاد بالصفات الحميدة وغيرها مما يعود إلى مكارم الدين ، وسموِّ الأخلاق . وهي تساق للوعظ والإصلاح ، وترقيق القلب ، والتخويف من المعاصي .

ـ القِصّة اللغوية : وهي كما نراها في المقامات ، فتحتوي على الألفاظ اللغوية ، والطرائف البلاغية ، والأوصاف الأنيقة ، والصور البيانية التي تدلُّ على تفوّق اللغة العربية وقدرتها البالغة في الإبداع والتصوير وبُعْد الخيال .

ـ القصة الخرافية أو الخيالية : وهي حكاية تُسْرَدُ بشكل نثري ، وتتعلّق بعالم خيالي لا علاقة للواقع به ، ويُختار لها شخصيات وهمية ، فتكون تلك القِصّة وسيلة غير

---

[٦٣٠]ـ ينظر : الجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٥٩٣ ، والنثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٤٢.

[٦٣١]ـ ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٤٤ـ ٤٥ .

مباشرة للنقد إلى شخص ما ، أو التعبير عن عدد من الآراء الاجتماعية ، أو الفلسفية ونحوها ، وكل ذلك من وراء حجاب[٦٣٢] .

وأمّا الحكايات ، فقد سبق التعريف بها آنفاً ، وهي في الحقيقة قديمة ، وللأدباء حول وجودها كلام طويل ، ودراسة مستفيضة في مجال الأدب العربي ، وقد تطورت الحكاية مع شكلها الفني ، حيناً بعد حين كسائر العلوم الأخرى ، واتخذت مكانتها العلمية في النثر الأدبي ، وكان للعرب مساهمة في تطويرها وإبداعها ، ومشاركة في دراستها والتأليف فيها ، وهذا ما يلاحظ في الدراسات الأدبية ، والأخبار المنقولة من نوادر القدماء الطريفة، والأساطير الغريبة، والحكايات الغابرة ، والملاحم البطولية ، وغيرها من القصص والروايات التي يستلذ بها القارئ ، وتستهوي بها النفس[٦٣٣].

وفنّ الحكاية ـ في الواقع ـ ، وكتابة القصص لم يكن أمراً مستجداً ، ولا بدعة مستحدثة في شبه القارة ، وإنما كان هذا الفن امتداداً لما كان عليه الأمر قديماً من الحكايات المنقولة ، والقصص الشائعة ، والروايات المشهورة ؛ إذ من المعروف لدى الأدباء أن الأدب الهندي مكتظٌ بالحكايات الخرافية ، ومصدر لمعظم الأساطير القديمة التي عبرت الحدود بين أقطار العالم ، وكان ممن أُوْلِعَ بالقصص الهندية وتأثّر بها في الحياة الأدبية العربُ.

وكان من أبرز تلك الحكايات قديماً قصص (ألف ليلة وليلة) المترجمة إلى العربية ، التي يعود أصلها إلى الفرس ، وكانوا يسمّونها (هزار أفسانه) ومعناها : ألف خرافة ، وبنوها على حكاية الملك ، والوزير ، وابنته شهرازاد ، وجاريتها دنيازاد.

---

[٦٣٢]ـ وللوقوف على هذه الأنواع للقصة بحسب موضوعاتها مفصّلاً ينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٤٣ـ ٤٤ ، والجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥ .

[٦٣٣]ـ ينظر تاريخ الحكاية وتطورها في : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ٤٥ـ ٤٦ـ ٤٧ .

وقد ترجم الكتاب : (ألف ليلة وليلة)من الفهلوية إلى العربية آخر القرن الثالث الهجري ، ثم أضيف إليه ما شاكله من أساطير العرب والهنود، وأخبار الأمراء والفرسان والخلفاءوالأجواد، وبقي بابه مفتوحاً للزيادة عليه حتى القرن العاشر الهجري ـ كما قال حسن الزيات[٦٣٤] ـ فتكامل نقصانه واستقام أركانه .

وكذلك مما أُثِر عن إبداع الفرس كتاب : (كلستار السعدي) ، وهذا الكتاب والذي قبله لا يزالان نموذج هذا الفن في الشرق والغرب ، وكتاب : كليلة ودمنة ، الذي قام بترجمته ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) ويُعدُّ من أشهر أدباء العربية ، وأصل الكتاب وضعه باللغة السنْسكريتية بيدبا الهندي لدبشليم الملك منذ أكثر من عشرين قرناً على ألسنة البهائم والطيور ، وعقده على اثني عشر باباً ، ثم ترجم إلى الفهلوية ، ونقله عنها إلى العربية ، وقد مهّده بمقدّمة بليغة حول التعريف بالكتاب ، وحثّ على قراءتهثم أضيفت إليه زيادات بتوالي الزمن من الأبواب الفارسية والعربية ، حتى وصلت أبوابه واحداً وعشرين باباً[٦٣٥].

وهذه الكتب الثلاثة التي أُلِّفت في القصص والحكايات عُدَّتْ من أروع ما أُلِّفَ في بابه ، وأصبحت عنواناً عريضاً من عناوين الأدب العربي ، وأثراً خالداً من آثاره ؛ لما لها من تصوير للحياة ، وتغلغل إلى النفس ، واسئناس للفكر .

---

[٦٣٤]ـ ينظر : تاريخ الأدب العربي ص ٢٩٠.

[٦٣٥]ـ ينظر هذه الكتب والحديث عنها ودورها الأدبي في : تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٢٩٠ـ ٢٩١ ، وعبد الله بن المُقَفَّع ، كليلة ودمنة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة . ـ ط ١٧ . ـ ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م ، مقدمة الكتاب ص ٩ ، والإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ص ١١٤.

كما كان للأدب العربي في شبه القارة الهندية خلال العصر المغولي حظٌّ من الحكايات الطريفة ، والقصص الرائعة ؛ حيث اتخذت شكلاً فنياً ، وقالباً أدبياً كسائر الفنون الأدبية، والأشكال النثرية في اللغة العربية ، واحتلّت مكانة من أقلام الأدباء، وعناية من دارسي أقسامها في تلك المناطق .

وكانت تلك الحكايات تستهدف في عرض عناصرها ، وبسط موضوعاتها مُعالجة القضايا السياسية والاجتماعية والأخلاقية ، وتعليم الحكّام والسلاطين فن السياسة ، وتوفير السعادة والمنفعة للمجتمع ، والاستقرار للبلاد ، وتبصير المجتمع بالقيم الدينية، والمُثل العليا للإنسانية ، وذلك من خلال ضرب الأمثلة بشخصيات تاريخية معروفة، ونوادر القصص ، وألغاز المفكرين ، ومُلَح الأدباء ، وطرائف الحكماء ، وأشعار الشعراء من فصحاء العرب وسير العلماء ، وهي في مجملها تكتسب معنىً أخلاقياً ، وبُعداً معنوياً للاعتبار والاتعاظ ، وتحمل طابعاً مزدوجاً ، وسمة مؤثرة للسلوك والتربية.

وكما كان لمغامرات الحيوانات ، وقصصها المحكية ، وسلوكها الطَّبْعية دَوْر في تلك الحكايات يستفاد من ورائها دروس وعِبَر لتكون مَضْرب المثل ، وموقع الموعظة لدى التفكير الإنساني والعقل المتأمل الذي يستوحي منها مظاهر القيم ، وتصور الأخلاق ، وحسن التربية .

وكان ((صاحب الحكاية يختار بعناية الحيوانات التي تمثل الأدوار في قصته ، بحيث يكون الشبه واضحاً بينها وبين الإنسان بقدر الإمكان ، وهكذا يمثل الثعلبُ

الرجلَ الماكرَ ، والأرنبُ الإنسانَ السريعَ ، والقِطُ المنافقَ ، والحمارُ البليدَ ، والأسدُ الشخصَ القوي ...))[٦٣٦].

وكانت تلك الحكايات بموضوعاتها المتنوّعة ، وأهدافها النبيلة ، وجمالها اللفظي ، ومغزاها الأدبي ، وأسلوبها السلس تُعدُّ من أروع ما كتب في الأدب العربي ، ومن أجمل ما ورد عن النثر الفني ، وذلك لأن كل حكاية منها كانت تحكي حدثاً من الأحداث التي وقعت في زمانها ، وتحمل طابعاً من الحكمة والتفكير والذوق السليم له، وتعكس ذوقاً أدبياً رفيعاً لأدبه ، وتجسّد صورة رائعة من صوره في شبه القارة الهندية خلال ذاك العصر .

هذا لا يخفى على كلّ مَنْ طالع الكتب الأدبية ، وإليك ـ مثلاً ـ كتابَيْ الأديبَينِ الفاضلَينِ أحمد بن محمد الشرواني في كتابه : نفحة اليمن ، وعبد الأول بن علي الجونفوري في : الطريف للأديب الظريف ، ودقّق النظر في مسائلهما الأدبية ، وحكايتهما الرائعة اللذين قد ابتعدا فيهما عن الصناعة اللفظية ، والسجع المتكلّف ، وتحاشيا من ذكر القصص الخرافية ، والأساطير القديمة.

((ولكن أعظم عمل استفادت منه الثقافة العربية وكانت لغة الضاد وسيلة للتعريف به ولنقله إلى البلاد الأجنبية هو ((ألف ليلة وليلة))، وهو الكتاب الذي يسميه الإنجليز ((الليالي العربية)) ...، وهذا الكتاب سيكون له أثر عارم في تشكيل العقلية الغربية .. ومعظم قصص ألف ليلة وليلة التي يبلغ عددها في النص العربي/ ٢٦٤/ قصة من أصل هندي ، وكذلك يعود إطارها العام والعناصر الأساسية منها إلى البيئة الهندية))[٦٣٧] وهذا ما أكّده الدكتور زبيد أحمد وأشار إليه قائلاً : ((وهناك قصتان هنديتان

---

[٦٣٦]ـ الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ص ١١١ .

[٦٣٧]ـ المصدر السابق ص ١١٥ .

منقطعتا النظير في ميدان الأدب الممتع هما كليلة ودمنة ، ألف ليلة وليلة ، وقد ترجم الأولى من الفارسية إلى العربية ابن المقفع في القرن الثامن الميلادي ، وموضوع الثانية معظمه هندي الأصل ، وقد ذكر ابن النديم عدداً كبيراً من أسماء القصص التي ترجمت عن السنسكريتية إلى العربية ، وكل هذه الكتب ينبغي أن ينظر إليها على أنها إسهام للهند في الآداب العربية))[٦٣٨].

وكذلك كان لحكاية حبّ مجنون وليلى العربي دَوْرٌ بارز ، وعناية خاصة من بين القصص والأساطير التي كانت تُروى في غرب البَنْجاب ، وبلاد السِّنْد ، وتُصاغ في قالب شعبي، ويُطلق على أبطالها أسماء محلية ما يجعل هذا الفن متنوعاً بموضوعاته ، ومميزاً بخصائصه ، وثريّاً بمادته[٦٣٩].

وعلى الرغم من أهمية تلك الحكايات الهنديةقديماً ، وتأثيرها القصصي البارز في الأدب العربي وكتابته الفنية ، وكثرة الإقبال عليها؛ لما تحتوي على كثير من الألغاز والخرافات ، والأساطير والفكاهات، ولا سيما قصتي ألف ليلة وليلة، وكَلِيلة ودمنة من قبل الأدباء والرواد، والمفكرين والعلماء، إلا أن دورها قد تقلّص في العصر المغولي، وتقلّل شأنها في الفكر الأدبي فيما اطلعت عليه لعدة أسباب ، منها انشغالهم بالإسلام وتأثرهم بشعائره ، وارتباطهم بتاريخه ما دفعهم إلى التركيز على ما فيه منفعة البلاد ومصلحة الأمة ، وموعظة للمسلمين بطريقة غير مباشرة تخفي من ورائها طابعاً تربوياً ، ومنهجاً رشيداً مطبوعاً بنكتة طريفة ، ودعابة مسلّية ، ولُغز مثير ، ومتسماً بأسلوب لبق ، وتعبير محكم ، وبنيان سليم ، وهو ما كان ينتهجه أدباء شبه القارة في فنّ الحكاية ، ودراستهم لكتابتها ، وبحثهم لشأنها .

---

[٦٣٨]ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٥٧ .

[٦٣٩]ـ ينظر : الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ص ٣٢٣ .

رابعاً ـ كُتّابها وأشهر المؤلفات فيها :

١ـ رسالة في الحكايات لمولانا عبد القادر الهروي الدهلوي الرامبوري (ت ١٢٦٥ هـ)[٦٤٠].

٢ـ مُبْهج النفوس ومُلج العروس في نوادر الحكايات وغرائب المسامرات لعبد الله بن جمعة اللاهوري الهندي ، صنفه سنة (١١٢٢هـ)[٦٤١].

٣ـ الحكايات لمحمد لطيف (ت ١٢٦٧ هـ)[٦٤٢] .

٤ـ نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن لأحمد بن محمد اليمني الشيرواني (ت ١٢٥٦هـ)[٦٤٣] وهو يُعدَّ من أعظم المنتخبات الهندية الأدبية ، فقدقسّم كتابه إلى خمسة فصول ، فالقسم الأول خصّصه للقصص القصيرة ، والحكايات الأنيقة ، والنوادر الأدبية ، وهو ما يهمنا في هذا الموضوع ، أما الأقسام الأخرى فتتعلّق بأبواب أخرى فلا شأن لنا بها.

---

[٦٤٠]ـ ينظر : الإعلام لعبد الحي الحسني ٧/ ١٠٢٦ .

[٦٤١]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٣٧ـ ٤٣٨ ، وأشار مؤلفه بأنه موجود في بطرسبرج ـ روزن ـ ١١٢، وذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي القسم التاسع ص ٢٢٩ باسم : مُنْهج النفوسُ ومُبْهج العَبْوس في نوادر الحكايات وغرائب المسامرات ولعله خطأ مطبعي أدّى إلى تغيير عنوان الكتاب .

[٦٤٢]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤٢ ، وأشار إلى أنه موجود في كتاب : تجلى النور المعروف بتذكرة مشاهير جونبور ، بقلم نور الدين زيدي .

[٦٤٣]ـ وقد طبع عدة مرات في مطابع مختلفة ، ودول متعددة ، وأقدمها في الهند عام ١٢٩٧ هـ .

٥ـ الطريف للأديب الظريف للشيخ عبد الأول علي الجونفوري[٦٤٤]، وقد ذكر فيه مجموعة من الحكايات والقصص القصيرة بأسلوب لطيف ، وسياق بليغ احتلّت مكانة علمية وقيمة ، ونالت قبولاً طيباً لدى الأوساط العلمية على الرغم أن الكتاب لم يُخصَّص لمثلها .

خامساً ـ نماذج من القصص والحكايات:

من نماذج الحكايات الكثيرة التي أوردها الشيخ عبد الأول علي الجونفوري قوله : ((حُكِيَ أنّ نوحَ بن مريم قاضي مَرْو أراد أنْ يزوّج ابنته ، فاستشار جاراً له مجوسياً ، فقال : سبحان الله ، والناس يَسْتَفْتُوْنَك ، وأنت تَسْتَفْتيني ، قال : لابدّ أن تشير عَليّ ، فإن نبيّنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : ((ما خابَ مَنِ استشارَ))[٦٤٥] ، قال المجوسي : نعم ، كذلك سمعت أن نبيّكم ، قال : ((المُسْتشارُ مؤتمنٌ))[٦٤٦]، فاسمع الآن أن

---

[٦٤٤]ـ وهو مطبوع عدة مرات ، منها ما طُبع في مطبعة أصح المطابع في بلدة لكهنؤ سنة (١٣١٣هـ) بالهند.

[٦٤٥]ـ وهو جزء من الحديث أخرجه سليمان بن أحمد ، أبو القاسم الطبراني في المعجم الوسيط ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة . ـ د ط . ـ د ت ،٣٦٥/٦ برقم /٦٦٢٧/ عن أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ : ((ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ...)) والطبراني في المعجم الصغير، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ، دار عمار ـ بيروت، عمان . ـ ط ١ . ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م ، ١٧٥/٢ برقم /٩٨٠/ بمثله عنه مرفوعاً ، ومحمد بن سلامة القضاعي المصري في مسند الشهاب ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ـ ط ٢ . ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م ،٧/٢ برقم /٧٧٤/ عنه بمثله .

[٦٤٦]ـ رواه أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، في مسنده ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، [بيروت] . ـ ط ١ . ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م ، ٤٣/٣٧ برقم /٢٢٣٦٠/ عن ابن مسعود عن شاذان مرفوعاً ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، مسند

رئيسنا كِسْرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قَيْصر كان يختار الحَسَب والنَّسَب ، ورئيسكم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يختار الدين ، فانظر أنت بأيِّهم تقتدي، وبَهدي من تهتدي ، والمتدين الموسر أفضلُ))[٦٤٧].

ومن أعمال الشيخ عبد الأول أيضاً في الحكايات قوله في حكاية أخرى : ((كان ابنُ الخشاب ـ رحمه الله ـ إماماً في أكثر العلوم ، وأمّا العربية ، فكان أبا عُذْرتها[٦٤٨] ، وكان يقف كثيراً على حِلَق القُصَّاصين والمشعبذين ، فإذا جاء طلَبَةُ العلم لا يجدونه فَلِيْمَ على ذلك ، وقيل له : أنت إمام في العلم ، فما وقوفك في هذه المواقف ، فقال: لو علمتم ما أعلم لما لُمْتُم أني طالما استفدتُ من محاورات هؤلاء الجُهّال فوائدَ خطابيّة تجري في ضمن هذياناتهم ، لو أَرَدْتُ أن آتي بمثلها لم أستَطِعْ ، فإنما أحضر لاستماعها ، إليكم عَنِّي))[٦٤٩] .

الدارمي، المعروف بسنن الدارمي ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني ، السعودية . ـ ط ١ . ـ ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠٠ م ، ١٥٩١/٣ برقم /٢٤٩٣/ ،ومحمد بن عيسى بن سَوْره الترمذي ، الجامع الصحيح ، المعروف بسنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت . ـ د ط . ـ ١٩٩٨ م ،٤٢٢/٤ برقم /٢٨٢٢/ عن أبي هريرة مرفوعاً .

[٦٤٧]ـ الطريف للأديب الظريف ص ٨٧ ، وينظر : النثر الفني في شبه القارة الهندية ص ١٩٤ .

[٦٤٨]ـ يقال : هو أبو عُذْرها ، وأبو عُذْرتها ، ويقولون لمن افتضّها ، وجرى ذلك مثلاً لكل من يستخرج شيئاً ، ويقال : ما أنت بذي عذر ، والأصل فيه عذرة المرأة والعَذْراء من النساء : التي لم يمسسها رجل .ينظر : علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المخصّص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م ، ٣٣٥/١ ، ومحمود بن عمرو، أبو القاسم ، الزمخشري جار الله ، الفائق في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : علي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت ـ لبنان . ـ ط ٢ . ـ د ت ، ١٨٨/٣ ، والطريف للأديب الظريف ص ٧٣ الهامش ٢ .

[٦٤٩]ـ الطريف للأديب الظريف ص ٧٣ .

يُلاحظ في الحكاية ألأولى أن الشيخ الأديب عبد الأول الجونفوري يشير إلى أهمية المشورة في الحياة كلها ، وأنها لا تكون إلا مع الرجل الصالح المتقي .

وهذه حقيقة لا يُسْتَغْنى عنها ؛ إذ المشاورة مبدأ من أهم مقوّمات النجاح في سائر الشؤون الدينية والسياسية والاجتماعية ، ووسيلة من أنجع وسائل التقدّم والرقي ، والوعي الفكري ، غير أنها لا تستمدّ قيمتها إلا من ذويها ممن يملكون نظرةً ثاقبةً ، وخبرةً كافيةً فيما يُسْتَشارون بشأنه ، ويُسْتَفْتون في أمره .

وفي الحكاية الثانية يبين أن الحِكَمَ البليغة ، والفوائد اللطيفة ، والنكت الجليلة قد تُسْتفاد من غير العلماء المتخصّصين في الفنون العلمية ، كما كان الحال مع ابن الخشاب فمع مكانته الكبيرة ، وعلمه المتعمّق كان يبحث عن طرائف الكلام ، وفوائد الخطاب من هؤلاء الجهلة ، ويستفيد من محاوراتهم ليزداد من هذيانهم علماً ، ومن أفكارهم مَشْرَباً .

ونموذج آخر من الحكايات ذكره أحمد محمد اليمني الشرواني بقوله : ((قيل : إن بهرام الملك خرج يوماً للصيد ، فانفرد ورأى صيداً فتبعه طامعاً في إلحاقه حتى بَعُد عن أصحابه ، فنظر إلى راعٍ تحت شجرة ، فنزل عن فرسه ليبولَ ، وقال للراعي : احفظْ عني فرسي حتى أبول ، فعمد الراعي إلى العِنانِ وكان ملبَّساً ذهباً كثيراً فاستغفلَ بهرام ، وأخذ سكّيناً ، وقطع طرف اللجام ، فرفع بهرام طرْفه إليه فاستحى وطرق ببصره إلى الأرض ، وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ، فقام بهرام وجعل يده على عينيه ، وقال للراعي : قدِّم إليّ فرسي ، فإنه دخل في عيني تراب من سافي الريح ، فما أقدر على فتحها ، فقدمه إليه فركب وسار إلى أنْ وصل إلى عسكره، فقال

لصاحب مراكبه : طرف اللِّجام وهبته فلا تتّهم به أحداً))[٦٥٠].

إن الأديب الشرواني في هذه الحكاية يضرب لنا مثلاً على حسن المساعدة، وصدق الإخاء، وروح التعاون بين البشرية ، وذلك من خلال قصة الملك بهرام مع الراعي ؛ حيث تظاهر بعدم الرؤية ، ليحافظ على كرامة الإنسان ، وحقه في الحياة ، ودفْعِ الحاجة عنه بتلك الوسيلة الخادعة ؛ ليبقى شعوره سليماً ، وحياته كريمة ، وسِرُّه مكتوماً .

وكان من الحكايات الخرافية التي تداولها في شبه القارة الهندية ـ كما ذكره الدكتور زبيد أحمد الفاروقي تحت عنوان أدب القصة في النثر الفني ـ قصة شكروتي ، وهي حكاية خرافية تصوّر أول استيطان للمسلمين في أرض مالابار ، وذلك في عصر شكروتي معاصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذي اهتدى إلى الإسلام بواسطة معجزة انشقاق القمر .

واسم مؤلف القِصة غير معروف ، ولكن الدكتور زبيد أحمد رجح بأن يكون هندياً، واستدلّ بأن الكتب التي أُلِّفت عن مالابار لا يكون مؤلِّفوها إلا هنوداً ، وفضلاً عن هذا بأن موضوع البحث في هذه القصة مشابه لموضوع بحث كتاب : تحفة المجاهدين للشيخ زين الدين بن عبد العزيز المَعْبَري (ت ٩٩١ هـ)[٦٥١] ، والفتح المبين للمسامري ومؤلفهما هنديان أصيلان من مالابار ، وهو مما يؤيد صحة القول ، وإثبات المدّعى[٦٥٢] .

---

[٦٥٠]ـ أحمد بن محمد اليمني الشرواني ، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، مطبع فتح الكريم ، بمنبيء ـ الهند . ـ د ط . ـ ١٢٩٧ هـ ، ص ٦٧ .

[٦٥١]ـ وفي تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، القسم التاسع ص ٢٢٥ ، بأنه توفي سنة /٩٨٧ هـ / .

[٦٥٢]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٣٤ ، وينظر : ١١٤، ١٨٢ .

والقِصة باختصار على ما أورده الشيخ أحمد زين الدين المَعْبَرياالمليباري ، ونقل عنه الدكتور زبيد أحمد ، كما يلي :

عندما نزلت :﴿وأنذِرْ عَشيرَتَكَ الأقربينَ ﴾[٦٥٣] جمع الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهله وعشيرته ، ودعاهم إلى الإسلام ، ومن ثم اعتنق بعضهم الدين الجديد ، لكن الآخرين أداروا له ظهورهم ، وعقدوا العزم على أن يمنعوه من تبليغ الرسالة ، وأخيراً ذهب هؤلاء الكفار إلى ملك عربي معين في المدينة يُسمى حابب بن مالك ، وطلبوا مساعدته ضد بدعة الرسول الجديد ، وبعد وقت خرج الملك بقواته المكونة من أربعة آلاف فارس ، وعسكر بالقرب من مكة ، ثم أخبر الكفار الذين طلبوا مساعدته أنه فكر أن من الأجدر أن يسأل محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أولاً أن يأتي بمعجزة خارقة ، ولهذا أرسل في طلب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقبل أن يترك محمد منزله جاءه جبريل ، وأخبره بحقيقة الأمر .

ثم ذهب محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الملك، وبعد محادثة تمهيدية سأله الملك أن يعرض المعجزة الآتية ، قائلاً : اليوم هو الخامس من الشهر القمري ، وعليك أن تجعل البدر يظهر من خلف جبل أبي قبيس يشهد بوضوح أنك رسول ، ثم ينزل من السماء فيدخل في كمك الأيمن ، ويخرج من الأيسر ، ثم يتقسم بعد ذلك إلى نصفين ، أحدهما يذهب إلى الشرق ، والآخر يذهب إلى الغرب ، وأخيراً يلتئم الاثنان ثانية في السماء ، وعندما عرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه المعجزة كاملة اعتنق الملك وجنوده الإسلام ، وعادوا إلى مملكتهم .

وهذه المعجزة رآها ملك هندي في تلك الليلة يُسمّى شكروتي ، فجمع الكهان والمنجّمين ، وأعطاهم أربعين يوماً كي يفسروا هذه الظاهرة ، ولما كان ذلك في

---

[٦٥٣]ـ سورة الشعراء : الآية /٢١٤/ .

العصر القديم لم يستطع واحد أن يلقي أيّ ضوء على هذا الموضوع ، ولكن الملك رأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في منامه ، فشرح له كل شيء عن الإسلام ، وكان هذا الحُلمُ سبباً في جعل الملك الهندي محبّاً مخلصاً للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفي ذلك الوقت كان بعض من أهل الكتاب المكيين ، وبعض المسلمين يسافرون في رحلة إلى جبل آدام في سَرَنْدِيب[٦٥٤] ، فلما وصلوا إلى عاصمة الملك شكروتي أدْلى كلّ منهم بحادثة انشقاق القمر ، وعندما رجع السياح المسلمون من سَرَنْدِيب إلى عاصمة شكروتي ، وهم في طريقهم إلى بلادهم سافر الملك معهم سراً إلى مكة ، والتقى بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، واعتنق الإسلام ، وسمّاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ السلطان تاج الدين الهندي .

ولما وصلت أخباره وإسلامه إلى الملك حابب بن مالك ذهب لزيارته ، وصار الملكان في صداقة كبيرة ، ثم قرر الملكان أن يذهبا إلى الهند ، لكن عندما وصل الموكب الملكي إلى قرب الشاطئ الهندي وقع الملك شكروتي في مرض خطير ، وبينما كان يجود بأنفاسه طالب أصحابه أن لا يتأخروا في الذهاب إلى الهند ، وكتب لهم وصايا يقدمونها إلى وزرائه ورجال قصره، ووصلت القافلة إلى الهند بعد موته، وهناك قوبلوا بحرارة، وتسلموا ما أوصى بهالملك[٦٥٥] .

---

[٦٥٤] ـ بفتح أوله وثانيه وسكون النون ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت وباء موّحدة ـ وهي جزيرة كبيرة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند ، ويقال : فيها الجبل الذي هبط عليه آدم ـ عليه السلام ـ واسمه الرّهون ، ويقال لسَرَنْدِيب أيضاً : سنكلديب ، وديب بلغة الهند : الجزيرة ، ويقال لها أيضاً : سيلان وسيرلانكا ، وهي الآن جمهورية مستقلة تقع في شبه القارة الهندية . ينظر : معجم البلدان ٣/٢١٥ ، وتحقيق ما للهند ص ١٤٨، ١٧٠ .

[٦٥٥] ـ ينظر : أحمد زين الدين المَعْبري الملبياري ، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين ؛ تحقيق وتعليق وتقديم محمد سعيد الطريحي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١. ـ ١٤٠٥ هـ ـ

وقد عقّب على هذه القصة راويها المليباري ، وذلك بعدما استطرد فيها قائلاً : ((هذا أول ظهور دين الإسلام في بلاد ميلبار[٦٥٦] ، وأما تأريخه فلم يتحقق عندنا ، وغالب الظن أنه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، وأمّا ما أشهر عند مسلمي مليبار أن إسلام الملك المذكور كان في زمان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ برؤية انشقاق القمر ليلةً ، وأنه سافر إلى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتشرف بلقائه ورجع إلى شِحْر[٦٥٧] قاصد المليبار مع الجماعة المذكورين ، وتوفي فيها ، فلا يكاد يصح شيء منها ، والمشهور الآن بين الناس أنه مدفون في ظَفَار[٦٥٨] لا شِحْر ، وقبره مشهور هناك يُتبرَّك به ، وأهل تلك الناحية يسمونه له السامري ، وخبر غيبة الملك المذكور مشهور عند جميع أهل مليبار المسلمين والكفرة ...))[٦٥٩] .

١٩٨٥ م (دائرة المعارف الهندية ١) ، ص ٢٢٣ وما بعدها ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٣٤ـ ٢٣٥ .

[٦٥٦] ـ كذا في النسخة المطبوعة ، والصحيح مليبار .

[٦٥٧] ـ الشِّحْرُ ـ بكسر أوله وسكون ثانيه ـ : الشط ، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، ونسب إليه بعض العلماء والرواة . ينظر : معجم البلدان حرف الشين .

[٦٥٨] ـ وهي مدينة بقرب صنعاء في اليمن ، كان بها مسكن ملوك حمير . ينظر : معجم البلدان حرف الظاء.

[٦٥٩] ـ تحفة المجاهدين ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠ ، وقد أشار محقق الكتاب السابق محمد سعيد الطريحي في المصدر المذكور ص ٧٩ الهامش ٢ إلى وجود مخطوطتين منظومتين بالعربية في المكتب الهندي ببريطانيا وفيهما شرحٌ لحوادث اعتناق الملك للدين الإسلامي وقدوم المسلمين إلى مليبار ، وفي واحد منهما كتب اسم الملك شكروتي ، وفي الأخرى شكرورتي وتنطق جكرورتي ، ومعنى الكلمة: الملك أو الامبراطور .

وهذه الحكاية نقلتُها بطولها ، نظراً لمكانتها في الموضوع ، وارتباطها بالأدب العربي ، فهي وإن كانت موضوعة ليس لها سند في الدين الإسلامي ، ومبنية على حكاية خرافية ، لكنّها تسدُّ ثغرة في النثر الفني ، وتغطي مساحة في الفكر الثقافي .

والقِصة بمجملها ـ كما رأيت ـ تدور حول إثبات النبوة ، وتبليغ الرسالة، وعصمة الرسول، وإسلام الملك ، وغيره من الأفكار التي هي في الأصل من إنتاج الخيال الشعبي ، والإبداع الفكري، والتصور الذهني أنتجته البيئة الثقافية ، والحياة الاجتماعية التي كانت قائمة في شبه القارة الهندية خلال الحكم الإسلامي المغولي .

وهذا النوع من القصص لم يكن كثيراً في تلك القارة لأسباب قد ذكرت بعضها فيما سبق[٦٦٠] ولم يرَ إقبالاً ملحوظاً ، ولاحظّاً مستساغاً في الأدب العربي وكتابته الفنية ، كما رأى في العصور القديمة .

[٦٦٠]ـ ينظر في مبحث القصص والحكايات في شبه القارة الهندية .

المبحث الخامس

صنعة الإهمال والإعجامفي شبه القارة الهندية

أولاً ـ مهارة الصناعة :

أنتجت العقلية الهندية بذكائها الحادّ ، وقريحتها الصافية ، وتفنُّنها المتنوّع في العلوم نوعاً جديداً من الصنعة الأدبية ، والإبداع الغريب ، والفكر العميق الذي لم يكن معهوداً من قبلُ لدى الأدباء العرب ، والعلماء الكُتَّاب ـ فيما اطلعت ـ ، وهو ما يسمّى بصنعة الإهمال والإعجام للحروف ، وقد تميزت هذه الصنعة بمهارة عجيبة ، وقدرة فائقة على التزام أسلوب متصّنع بتفادي الحروف المنقوطة تارةً ، والمهملة تارةً أخرى مما يدلُّ على علوّ الكعب لعلماء الهند في الدراسات الأدبية ، واليد الطولى في الإنشاء والكتابة ، ويشهد لهم على عبقريتهم العلمية ، وتبحّرهم اللغوي .

وهذا النوع قد عُني باهتمام بعض العلماء الهنود ؛ حيث قاموا بتأليف مجموعة من الكتب كانت تمثّل أدباً رائعاً ، وفنّاً غريباً في قائمة الفنون الأدبية واللغوية على الرغم أن موضوعات تلك الكتب كانت تدور حول عناوين مختلفة ، كالتفسير ، والسير ، والتصوف ، ونحوه إلا أن أساليبها اللغوية ، وصياغتها البنيوية ، وروحها الأدبية كانت حاضرة في محتواها العلميّ ، وفنّها الذوقيّ .

ثانياً ـ أشهر الكتب في صناعة الإهمال والإعجام ومؤلِّفوها :

وإليك بياناً بتلك الكتب التي تميّزت بتلك الصفة اللغوية على النحو التالي :

١ـ مَواردُ الكَلِم وسلك دُرَرِ الحِكَمِ لأبي الفيض فيضي (ت ١٠٠٤ هـ) العالم المتبحِّر ، والشاعر الأديب ، والمشارك المتفنّن ، وقد حاز براعته في العربية وآدابها، وظهرت آثارها في كتب علمية ألّفها للمكتبة العربية ، وهذا واحدٌ منها .

أ ـ محتواه وأسلوبه : وهو كتاب في التصوّف والأخلاق ، فقد تجنّب فيه المؤلِّف كل الحروف المنقوطة من أوله إلى الخاتمة ، ولم يستعمل سوى الحروف المهملة ، والكتاب ينقسم إلى خمسين قسماً فسمَّاه موارد[٦٦١] ، وكلها تعطي سلسلة من الموضوعات المختلفة ، وأخرجها بطريقته الخاصّة محافظاً في الوقت نفسه على النمط المذكور سابقاً ، المسمّى بـ ((الصّنعة المهملة)) ، وقد انتهى من تأليفه عام (٩٨٥هـ). وكان من الموضوعات التي أوردها في كتابه : ((موارد الكلم)) الأركان الخمسة في الإسلام ، ثم أتى بموارد علم الكلام ، وموارد لآدم ـ عليه السلام ـ ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآل البيت ، والأولياء ، والملوك ، وفضلاً عن ذلك كله أنه كان يعالج الميزات الحسنة لكل منهم في مورد خاصّ ، ويتحدّث عنها .

وفي خاتمة الكتاب استعمل المؤلِّف عكس طريقته السابقة ، وهي : طريقة الصّنعة المنقوطة ، التي لم يستعملْ فيها أي حرف مهمل ، وتبلغ هذه الخاتمة صفحتين فقط ، ولكنها حافلة بكلمات غير مألوفة يصعب على الفهم إدراكها أحياناً ، والوقوف على مرادها ، وفكّ رموزها[٦٦٢] .

---

[٦٦١]ـ وهي جمع ، مفردها : مَوْرِدٌ وهو موضع الورود ، والورود : الإتيان إلى الشيء . ينظر : لسان العرب ٤٥٧/٣ مادة (ورد) ، وتاج العروس ٢٩٢/٩ المادة نفسها .

[٦٦٢]ـ ينظر اسم الكتاب ومؤلفه ومحتواه في: الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٦ـ ٢٢٨، وص ٦٨.

ب ـ نماذج من الكتاب :

لتوضيح الكتاب ومسائله نذكر نماذج من النُّصوص الواردة فيه ؛ لنستدل بها على حقيقة المضمون ، وكيفية عمله في التأليف ، فقد قال في المورد الأول ، وهو مورد الإسلام وأركانه ما يلي : ((هلِّلوا ، وصَلُّوا ، وصُوموا ، ودُوروا حولَ الحرمِ مواسِمَهُ، وأكمِلُوا مع الإحرامِ مراسِمَهُ ، وأُعْطوا مالاً مأموراً للصُّعلوكِ في الإسلامِ))[٦٦٣] .

وبهذا التعبير ذكر الأركان الخمسة ، وهي : لفظ الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ بمهارة دقيقة دون أن يستعمل أي حرف منقوط كما يُلاحظ ، ثم ذهب إلى الكلام متحدِّثاً عن كل ركن على حدة وفق منهجه الخاصّ بالموضوع .

ثم تكلّم عن مورد القرآن بقوله : ((كلامُ اللهِ إمامُ أهلِ الإسلامِ ، ومدارُ حصولِ المرامِ . كلامُ اللهِ دأماءُ لا ساحلَ له ، وهو مصدرُ العلومِ كلِّها ، ومودعُ الأسرارِ والحِكَمِ . ورد : علومُ اللهِ : عددُ كلمهِ . ورد : أداؤه كما سمعوه . رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أداءِ كلامِ اللهِ رحماءه ، والرحماءُ علموا رهطاً ، كسالم ، وعمر ، وعطاء ، وطاووس ، والأسود ، وسعد ، وعاصم ، وما عداهم . ورد : صدورُ السورِ أسماء لها ، كالحمدِ ، وطه ، والعصر ، وما سواها . أسماءُ السورِ مما هو المسموعُ ، كهود ، الرعد ، الإسراء ـ لمالك ملك ، وللصراطِ سراطٌ . ورد : طه ـ مكسور الطاء والهاء رواه ولدُ مسعودٍ))[٦٦٤] .

وهكذا يسرد الموارد الأخرى عن علم الكلام وغيره من الموضوعات بهذه الطريقة المهملة التي تؤدِّي بالقارئ أحياناً إلى تعسّر الفهم ، وعدم الإدراك في بعض الكلمات ، وهي ـ بلا شك ـ تدلُّ على قوة اللغة ، وشدة الإحاطة بما يحتاج إليه المؤلّف،

---

[٦٦٣] ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٧ .

[٦٦٤] ـ المصدر السابق ص ٢٢٨ .

واستحضاره لربط الأفكار ، وصياغة التعبير عن الموضوع ، وبتأليفه لهذا الكتاب أظهر قدرةً عجيبةً في اللغة العربية ، وطاقة فريدة في أدبها .

٢ ـ سواطع الإلهام لأبي الفيض فيضي السابق (ت ١٠٠٤ هـ) :

أ ـ محتواه وأسلوبه : وهذا الكتاب في تفسير القرآن ؛ حيث بدأ تفسيره المُسمَّى سواطع الإلهام بمقدمة عنوانها سواطعفي الصنعة المهملة أيضاً ، وهي مقسّمة إلى قسمين ، ففي الأول : يتحدث عن المؤلِّف ، وفي الثاني : يلقي ضَوْءاً على علوم القرآن ومتعلقاته ، ثم قسَّم كلا القسمين إلى أقسام فرعية سَمَّى كل واحد منها ساطعاً ، غير أن هذه السواطع لم تكن متفقةً في الحجم ، وإنما كانت متباينة في المساحة ، فبعضها قصير في سطر واحد ، وبعضها الآخر طويل يصل إلى أكثر من ثلاثين سطراً.

وفي إحدى سواطعه ذكر المصنّف حياته الذاتية من حيث مكانُ ولادته ، وكيف دخل في خدمة الملك الذي خصّص لمدحه ساطعَيْنِ ، وكتب أطول ساطع في مدح والده وتمجيده ، وفي نهاية مقدّمته أضاف قصيدة طويلة في تَقريظَ تفسيره المسمّى بـ : سواطع الإلهام.

كما ذكر أيضاً في المقدمة أسماء والده ، وإخوته على طريقة الألغاز والغموض حتى يتفادى الحروف المنقوطة التي تحتوي عليها أسماؤهم ، وهذه الألغاز صعبة لا يدرك معناها إلا بجهد جهيد في كثير من الأوقات لدرجة أنّ مَنْ لا يكون على علم بهذه الأسماء مسبقاً لا يستطيع استخراجها من الجمل والكلمات التي تمّ فيها استعمالها إلا بصعوبة قصوى .

وكان في الكتاب من هذه الموضوعات تسعة أنواع ، فستة منها تُسمّى بالمَعْميات ، وهي التي تقتضي حلاً واحداً صحيحاً لا يعرفه سوى المؤلِّف ، وثلاثة تُسمّى بالألغاز، وهي ماله أكثر من حلٍّ ، وقد استعمل في الثاني ـ أي : الألغاز ـ ثلاث كنى أبا الفيض،

وأبا فيض فيضي، وأبا الخير ، ويقصد بالثلاثة نفسه ، وصوّرَ المعنى لهذه الكنى بكلمات تحتوي على حروف مهملة فقط إلا أنَّ الأوصاف غير محددة في إشاراتها إلى هذه الكنى ، ويمكن لكلمات أخرى أن تعطي معانيَ مشابهة .

وأمَّا في المَعْميات الستة الأخرى ، فلا يكون الحال هكذا ؛ إذ إن الإشارات فيها تطابق الأسماء المقصودة وحدها ، ولا يكون لها إلا إجابة واحدة صحيحة ، وقد استطاع الدكتور زبيد أحمد ـ على ما صرّح به ـ أن يَحلّ تلك المعميات الستة ، فنكتفي ببعض منها فقط على سبيل التوضيح والتمثيل الآتي ذكره لاحقاً ، والمصنِّف قد أكمل تفسيره في عامين ، وانتهى منه عام (١٠٠٢ هـ) ، ونظراً للغموض الذي ألجأته إليه صنعة الإهمال أضاف المؤلِّـف إلى نهايـــة الكتاب شرحاً للكلمات الغامضة التي تخللت التفسير مرتبة على الحروف الألفبائية[٦٦٥] .

ب ـ نماذج من الكتاب :

ومن الأمثلة على ذلك ما ساقهأبو الفيض فيضي في تفسيره : سواطع الإلهام بياناً لسورة القدر بقوله : ((﴿ إِنَّا أَنْزَلْناهُ﴾ كلام الله كلّه مصاعد السماء الأول ، أو أوّله للرسول ـ صلعم ـ ، أو الملك الأكرم ، والأوّلُ أصحّ ؛ لما ورد هو مسطورُ اللوح ومحطّه كله ، ومورده أولاً السماء الأولُ ، وأوحاه للرسول كلاماً كلاماً كما هو الصلاح ﴿ في لَيلةِ القدْرِ ﴾ أسعد الأسمار والإصلاح[٦٦٦] الأمور والأحكام ، وإحصاء

---

[٦٦٥]ـ ينظر اسم الكتاب ومؤلفه ومنهجه العلمي في : سواطع الإلهام من المقدمة إلى الخاتمة ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٦٨ـ ٦٩ وص ٧٢ الهامش ١٣ ، ورجال الفكر والدعوة ١٠٨/٣ ـ ١٠٩ .

[٦٦٦]ـ كذا في المصدر المنقول عنه ، ولعل الصحيح : وإصلاح .

الأعمال والأطوار ..))[٦٦٧] .

وكذا ما أورده الدكتور زبيد أحمد تعليقاً عليه وتوضيحاً بقوله :((م ، ب ، ا ، ر ، ك على الترتيب . أساس العلم : أي يؤخذ الحرف الأخير من كلمة العلم ، وهي (م) . أصل الرُّوع : لفظ الرُّوع ، معناه : القلب ، وأصله ، أو أساسه حرف (ب) . مطلع الإلهام : أي يؤخذ الحرف الأول من كلمة : إلهام ، وهو (ا) ، رأس الرؤوس : أي يؤخذ الحرف الأول أيضاً من كلمة : رؤوس ، وهو (ر) . إمام الكرام : أي يؤخذ الحرف الأول أيضاً من كلمة : كرام ، وهو (ك) ، وبجمع هذه الحروف يحصل اسم: مبارك))[٦٦٨] .

إذنْ فالمؤلِّف يقول عن أبيه مبارك واصفاً إياه ـ دون أن يذكر اسمه المعجم ـ بأنه : ((أساسُ العلمِ ، وأصلُ الرُّوعِ، ومطلعُ الإلهامِ، ورأسُ الرؤوسِ، وإمامُ الكرامِ علا اسمهُ ومسمّاهُ ...))[٦٦٩].

و((معمى : أبو المكارم ليس هذا المعمى صعباً الآن، فهو مؤلّف من كلمة : ((أبو)) المرادفة لكلمة : والد مضافة إلى المكارم))[٦٧٠] .

و((معمى : أبو راشد تؤخذ الحروف الأخيرة ، الكلمات[٦٧١] الآتية : العطاء ، ومرادف كلمة الروع ، وهو: القلب ، والهدوء ، والأمر ، والرواء : الطمس المرسوم،

---

[٦٦٧]ـ أبو الفيض فيضي بن المبارك ، سواطع الإلهام ، تصحيح نخبة من العلماء ، دار مراسم سمار أوده ، الهند . ـ د ط . ـ د ت . (وهي طبعة قديمة جداً) ، ص ٧١٨ .

[٦٦٨]ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٦٩ .

[٦٦٩]ـ سواطع الإلهام ص ٥ـ ٧ .

[٦٧٠]ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٧٠ ، وينظر : سواطع الإلهام ص ٧ .

[٦٧١]ـ كذا في الأصل المنقول عنه ، ولعل هناك سقطاً ، ويستحسن أن يقال : من الكلمات .

وأمد الأمد))[٦٧٢] .

وثمة أمثلة أخرى أوردها أبو الفيض في تفسيره كله[٦٧٣] ، يظهر فيها حذق المؤلِّف المتمكّن ، وبراعته العجيبة في التحكم بالألفاظ ، واستعمالها في الجمل وإن كان يكسوها شيء من الضبابية ، ويتخلّلها الإغلاق أحياناً ، وحتى أبو الفيض فيضي نفسه لما صنّف هذا التفسير الذي تحاشى فيه الحروف المعجمة كلّها كان يعتزُّ به ، ويقدِّر من خلاله مدى قدرته البيانية ، وملكته اللغوية ، وعبقريته العلمية ؛ ولذلك استحق به المكافأة من السلطان المغولي جلال الدين أكبر ، نظراً لبلاغته الفائقة ، وكتابته القوية[٦٧٤] ، ومع ذلك كان أحياناً يصيبه العيُّ ، وينتابه العجز للتعبير عن بعض الكلمات المهملة ، فيستعين بغيره من العلماء الأفاضل لحلِّ كلمة أو فصاحة لفظ لاستقامة التعبير وتحقيق المنال ، ((كما كان الحال مع الإمام الرباني السّرهندي ؛ حيث ساعد مرة أبا الفيض فيضي الذي كان مُنْصرفاً في تلك الفترة إلى تأليف التفسير غير المُعجم باسم : سواطع الإلهام إذ وَقف قَلَمُه في موضع من المواضع لصعوبة التوصُّل إلى لفظة غير معجمةٍ ملائمة للكلام الذي هو بصدَدِهِ ، واستعصى عليه التعبيرُ عن المعنى الذي يريده ، فأفضى بهذه المشكلة إلى الإمام السّرهندي ، فحلَّ العُقْدة ، ودلّه على الكلمة))[٦٧٥] .

وأما قيمته العلمية في التفسير ، فقد صنّفه الدكتور زبيد أحمد تحت عنوان : التفاسير السطحية التي قصد بها إظهار القدرة العلمية ، وقال عنه : ((وهذا التفسير بصرف النظر عن المهارة الأدبية ليست له قيمة علمية ، فقد قيد نفسه في استعمال

---

[٦٧٢]ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٧١ ، وينظر : سواطع الإلهام ص٤ .

[٦٧٣]ـ ينظر تفسيره المسمى سواطع الإلهام من أوله إلى آخره .

[٦٧٤]ـ ينظر : رجال الفكر والدعوة ١٠٨/٣ ـ ١٠٩ .

[٦٧٥]ـ المصدر السابق ١٤٧/٣ .

الحروف المهملة ؛ ولهذا جاءت تفسيراته موجزة ، وأكثر صعوبة من النص القرآني نفسه »[٦٧٦] ، وهذا ما يلاحظه العلامة شبلي النعماني الناقد الهندي ـ على ما نقل عنه الدكتور زبيد أحمد ـ بقوله : « إن سواطع الإلهام لا يعني أكثر من إظهار للمهارة العجيبة للمؤلِّف في الأدب العربي، وإلا فهو خالٍ عن القيمة »[٦٧٧]، ويشارك في رأيه هذا أبو الحسن الندوي ؛ حيث قال : « هذا العمل ـ وهو يشير إلى تفسير السواطع ـ مهما أثبت له من قدرته على اللغة العربية ، وامتلاك لناصية البيان فيها لم يضف شيئاً علمياً مفيداً ، وإنما مثله مثل بعض الكتب البارعين في الخطّ ، الذين كانوا يتظاهرون بدقة خطّهم ، وجمال فنّهم بكتابة سورة الإخلاص كاملة على حبة واحدة من الأرز ، فجاءت ـ نتيجة ذلك ـ عبارة متكلّفة لا لذة فيها ، ولا جمال ، ولا طراوة »[٦٧٨] .

وبغض النظر عن قيمته العلمية ، فإن العقلية الهندية أثبتت وجودها في الأدب العربي ، وعبّرت عن نفسها في صنعة بديعة تأنقت في الأسلوب ، وتحلّت بالرونق ، واستطاعت أن تخترع نوعاً فريداً من البديع ، فيُسمّى الصنعة المهملة ، وبها فتن مسلمو الهند لصعوبتها وبعد منالها ، وطار صيتها في عصره ، وتحدّث بها القاصي والدّاني ، « وبسواطع الإلهام أضاف فيضي إلى الأدب العربي كتاباً جديداً يعزى أسلوبه الموغل في التصنّع إلى خصوصيته العقلية الهندية ، ولا أظن أن كتاباً أُلِّف خارج الهند استطاع أن يستعمل الصنعة المهملة حتى النهاية كما نجح فيها سواطع الإلهام »[٦٧٩] .

---

[٦٧٦] ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٧٢ ، وينظر : ص ٦٨ .

[٦٧٧] ـ المصدر السابق ص ٧٣ .

[٦٧٨] ـ رجال الفكر والدعوة ١٠٨/٣ الهامش ٢ .

[٦٧٩] ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٧٤ ، بل استطاع بعض العلماء في المنطقة الشرقية بتركيا تأليف تفسير للقرآن الكريم كاملاً بصنعة الإهمال وعرف بتفسير المهمل ، كما أخبرني بذلك

٣ ـ جُبُّ شغب ، ويُسمَّى أيضاً فيض غيب لعبد الأحد بن إمام علي الآبادي (ت ما بعد ١٣٠٧ هـ).

أ ـ محتواه وأسلوبه : وهو كتاب في تفسير القرآن ، خصّصه للجزء الأخير منه ، وهو جزء ((عَمَّ)) ، فقد جاء على عكس كتاب : سواطع الإلهام السابق[٦٨٠] ؛ حيث تجنّب فيه صاحبه الحروف المهملة ، وهي الطريقة التي تُسمَّى الصّنعة المنقوطة ، أو المعجمة.

وقد اختار لتفسيره عنواناً يّصْعب على الفهم إدراكه ، ويتعذّر الوقوف على دلالته دون الرجوع إلى المعاجم ، فالجُبُّ : بئر[٦٨١] ، أمّا الشغب ، فيحتمل معنيين : قد يراد به الانحراف عن الطريق ، وعليه يكون معنى العنوان بئر بعيد عن الطريق ، أو يراد به تفسير خارج عن الطريق ، ومعناه حينئذٍ : أن هذا التفسير ليس في أسلوب معهودٍ ، ولذلك سُمَّيَ بهذا الاسم[٦٨٢] .

كما اتبع أسلوباً متصنّعاً في بيان تفسيره ، وشرح كلماته ، وربط آياته بلغ به الأمر إلى القصور عن شرح الأفكار وأداء المعنى على الوجه المطلوب أحياناً ، وذلك لصعوبة الصّنعة المنقوطة،ومن هنا يكون تفسير ((جُبُّ شغب)) أكثر شهرة لصاحبه من

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن آجار رئيس قسم التاريخ الإسلامي في كلية الإلهيات بجامعة دجلة بتاريخ ٨/٨ /٢٠١٧ م والأستاذ الدكتور محمد أديب جاغمار رئيس قسم اللغة العربية سابقاً في الجامعة السابقة بالكلية نفسها ، وبعد البحث لم أقف على التفسير المذكور بصنعة الإهمال ، وإذا ما ثبت هذا القول فإن الادعاء السابق لا يكون دقيقاً ويحتاج إلى إمعان نظرٍ .

[٦٨٠] ـ تحدثت عنه فيما مضى .

[٦٨١] ـ ينظر : المخصّص ٢٤/٣ ، ١٤٣/٥ ، مادة (جبب) ، ولسان العرب ٢٥٠/١ ، وتهذيب اللغة ٢٧٣/١٠ المادة نفسها .

[٦٨٢] ـ ينظر الكتاب ومؤلفه ومضمونه في : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٧٤ـ ٧٥ .

شهرة سواطع الإلهام لفيضي ، كما يقول الدكتور زبيد أحمد[٦٨٣] إلا أن الأول تفسير للجزء الأخير فقط ، والثاني لكل القرآن .

وفي نهاية الكتاب ذكر قصيدةً في ثلاثين بيتاً من المثنوي بصنعة منقوطة أيضاً تلقي ضوءاً واضحاً على مهارة المؤلّف في الأدب العربي ، وملكته القوية في نسخ المفردات للتفسير ، وقد فرغ من كتابه سنة (١٣٠٧ هـ) .

ب ـ نماذج من الكتاب :

من النماذج التي تدلُّ على أسلوبه في التفسير ، ومنهجه في العرض ما أورده عبد الأحد بن إمام علي في تفسير سورة الفاتحة بقوله :

((الحمدُ للهِ : يُثني ثنيةً (أي يثني بالثناء)

ربِّ العالمينَ : يُغذّي غذية (أي يهب الطعام)

الرحمنِ الرحيمِ : يفضي فيضَ جيبٍ (أي ينعم بغير حساب)

مالكِ يومِ الدِّينِ : يغبنُ شقي يزقن تقي (أي يعاقب المذنب ويثيب المطيع)

إيّاكَ نعبدُ : ثبّتني نيتي (أي ثبتني ثبات العزيمة)

وإيّاكَ نستعينُ :تُغيثني

اِهْدِنا الصِّراطَ المُسْتقيمَ : في غي يغي نجني (أي خلِّصني من الخطيئة)

صراطَ الذين أنعمتَ عليهم : بششْتَ (أي مع الذين رضيت عنهم)

غيرِ المَغْضُوبِ عليهم : غضبْت غضبَه (أي على الذين أنزلت عليهم سخطك)

[٦٨٣]ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٧٥ .

ولا الضَّالّينَ[٦٨٤] : نفى بغى ـ خذني بخفض غَضّ (أي لا تجعلني من المغضوب عليهم ، واجعلْني في رفاهيةٍ ناعمةٍ)))[٦٨٥] .

وهذا الأسلوب في التفسير والبيان لسورة الفاتحة ـ كما ترى ـ كثير التعقيد ، شديد الإبهام ، بعيد المقصد ، ويبدو بأن المؤلّف لم يهدف إلى ذات التفسير وبيان مراده ، وحقيقة أمره ، وإنما قصد من ورائه إبراز مهارته الفائقة في العربية ، وصنعته العجيبة في الطريقة .

وبهذا عرض المؤلّف في كتابه المذكور خصيصةً أخرى من خصائص الذوق الفني الهندي تضاف إلى تراثها الفكري ، ورصيدها الأدبي في تاريخ الحركة العلمية خلال هذا العصر وإن كان هذا الكاتب عاش في أواخر الدولة المغولية ، وأدرك جزءاً من حياتها السياسية في الهند .

٤ ـ السيرة النبوية لمحمد صديق اللاهوري (ت ١١٩٢ هـ) :

فقد كتب سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصنعة الإهمال ، أي بغير حروف منقوطة ، كما ذكره الدكتور زبيد أحمد[٦٨٦] ، وأما السيد عبد الحي الحسني ، فقد اكتفى بذكر الكتاب وباسم آخر دون الإشارة إلى هذه الصنعة بقوله : ((وسلك الدُّرر في السير للشيخ محمد صديق اللاهوري))[٦٨٧] مقتضباً ، ويرى محمد فقير في كتابه :

---

[٦٨٤] ـ في الأصل المنقول عنه : (الظالين) وهو خطأ ، والصحيح ما أثبته .

[٦٨٥] ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٧٤ـ ٧٥ .

[٦٨٦] ـ ينظر : المصدر السابق ص ٢٢٧ ، وص ٧٤ .

[٦٨٧] ـ الثقافة الإسلامية في الهند ص ٨٦ .

حدائق الحنفية ـ على ما نقل عنه الدكتور زبيد أحمد[٦٨٨] ـ بأن كتاب السيرة النبوية هذا أعظم شهرة لصاحبه من سواطع الإلهام لفيضي .

٥ ـ تفسير سورة يوسف لصاحب زاده ، علي عباس خان الذي اشتهر في عصر الحاكم كلب علي خان في رامبور ، وهذا التفسير أيضاً في الصنعة المهملة[٦٨٩] .

٦ ـ درود[٦٩٠] غياثية لمحمد ناصر علي بن حيدر علي الغياثوري ، عاش في عصر متأخر جداً.

هكذا أورده الدكتور زبيد أحمد هنا، وأشار بأنه قد ذكره في موضوع التصوف والأخلاق ، وهو كتاب ألّف في صّنعة الإهمال ، وفي المكان المشار إليه اقتصر على اسم المؤلّف ، وقال :إن له كتابين ، أحدهما : ناصر العشاق ، والآخر: السلام المعرى دون ذكر الكتاب السابق، ولا صنعته المهملة[٦٩١]، وعلّق الدكتور عبد المقصود محمد شلقاميعلى كتاب: ((درود غياثية)) موضحاً بقوله : ((هذا الكتاب جزءان ، أحدهما يُسمَّى ناصر العشاق ، وهو لا يلتزم الصنعة المهملة ، والثاني يُسمَّى السلام المعرا[٦٩٢]، ويلتزم صنعة الإهمال))[٦٩٣] .

---

[٦٨٨] ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٧ ، وقال الدكتور زبيد أحمد في المصدر السابق : بأن كتاب السيرة النبوية لسوء حظ لم يذكر في أي من الفهارس المطبوعة .

[٦٨٩] ـ ينظر : الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٧ ، وص ٧٤ .

[٦٩٠] ـ كذا في المصدر السابق ص ٢٢٧ ، ولعل الصحيح : ((ورود)) ، وجاء كذلك نتيجة خطأ مطبعي ، فحرّف الواو إلى الدّال .

[٦٩١] ـ ينظر : المصدر السابق ص ٣٥٣ .

[٦٩٢] ـ ويلاحظ مما سبق بأنه ورد بشكلين : (المعرا ـ المعري).

[٦٩٣] ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٢٢٧ الهامش ٣ .

وإنما ذكر مؤلف الكتاب المذكور ههنا رغم أنه عاش في عصر متأخر جداً لمميزاته التي لم يُسْبق إليها في أعماله على ما قاله الدكتور عبد المقصود محمد شلقامي[٦٩٤] .

٧ ـ تفسير سورة يوسف لراجَهْ إمداد علي خان الشيعي الكنتوري ، وقد فسّر فيها القرآن ، وجعله في صنعة الإهمال أيضاً[٦٩٥] .

٨ ـ شرح مقامات الحريري للقاضي نجف علي بن عظيم الدين الجَهْجَري (ت ١٢٩٩هـ) ، وهو في صنعة الإهمال أيضاً[٦٩٦] .

وبهذه المجموعة من الكتب أثبت العلماء في شبه القارة ابتكاراتهم الأدبية ، وإبداعاتهم الرائعة في المجال اللغوي ، وتركوا في العربية ملامح واضحة مما يدعو إلى الدهشة ، والإعجاب بالعقول الهندية ، ويشير إلى المدى الواسع الذي حققه رجال تلك المنطقة على الصعيد الأدبي والفكري .

---

[٦٩٤] ـ ينظر : المصدر السابق ص ٣٥٣ الهامش ١٩ .

[٦٩٥] ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٥٤ .

[٦٩٦] ـ ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص ٥٥ ، والأدب العربي في شبه القارة الهندية ص ١٦٩ .

خاتمة البحث

وبعدَ الوقوف على التراث الإسلامي والعربي في شبه القارة الهندية ، والاطلاع على مساهمة علمائه وأدبائه في اللغة العربية وآدابها ، ومشاركتهم في تطويرها ونشرها في أرجاء المعمورة تمّ ـ بحمد الله وتوفيقه ـ هذا البحث الذي يتناول النثر الفني في شبه القارة خلال العصر المغولي ، وبذلك يُعدُّ محاولة متواضعة في دراسة الأدب العربي وفنونه النثرية ، وخدمة علمية للنهضة الثقافية التي تولّى قيادتها سلاطين المغول وأمراء البلدان عبر العصور الطويلة في تلك المناطق .

وهذا الموضوع الذي قمنا بإعداده ، وبذلنا فيه الجهد بقدر المستطاع ، وقمنا بتحقيق ما يحتاج إليه من الشرح والتعليق ، والوصف والنقد ، والإيجاز والإسهاب وفق متطلبات الموضوع ومقتضى الحال ، وراعينا فيه جمع المادة وحصر المفردات، ووحدة الموضوع ، وتحديد الإطار بتلك الفترة الزمنيةيندرج تحت اللغة العربية ونثرها الفني في الأدب العربي ودراسة أقسامه بمعناها العلمي ، وهو بذلك يخالف عما أُطلقَ في بعض المؤلفات باسم : الآداب العربية في شبه القارة الهنديةالتي كانت تتناول النهضة الثقافة العربية الإسلامية ، ويدخل في إطارها العام حينئذٍ جميع العلوم العقلية والنقلية بمفهومها الواسع ، ومعناها الشامل .

ولما كانت اللغة العربية وعلومها هي لغة القرآن الكريم وسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودليل الحضارة وسبيل الثقافة اهتمَّ بها علماء شبه القارة ودرسوها ، وقرروها في المدارس الدينية وأفادوها، واعتكفوا عليها وأجادوها بالمطالعة والتأليف، والتعليم والتعلم ، حتى عُدَّت لكل عالم مسلم حيثما كان الأولية لفهم الشريعة ، وإدراك

أسرارها ، ونشر دعوتها ؛ ولذلك وُجدت مؤلفات كثيرة كُتبت بالعربية الفصيحة ، ودلالتها القوية ، وبلاغتها العميقة ، وألفاظها الراقية ، وسياقتها المتينة ما يندهش به العاقل ، وينبهر به السامع ، ويتحيّر منه اللبيب ، وإن جهوداً كجهودهم في العلوم الإسلامية والعربية ، والفنون العقلية وغيرها لا يمكن لقلم واحد عدّها ، ولا لنشاط منفرد تدقيقها ، وإنما يحتاج إلى مئات من الباحثين المثقفين لدراستها والإحاطة بها عبر القرون الطويلة ومن المتضلعين المبرّزين لتنقيبها وكشف كنوزها في المدارس الدينية ، والمراكز العلمية ، والزوايا الصوفية ، والمساجد القديمة ، والمكتبات العامة والخاصة ، وإخراجها من تحت تراكم الغبار وأكلة الأرضة إلى حيز الوجود وإشراق الأنوار .

ورغم ضخامة التراث الإسلامي والعربي ، والثراء الفكري في شبه القارة لم أجدْ من الباحثين العرب من طرق بابه إلا نادراً ، أوتفرّغ لدراسته أو نقده إلا يسيراً ، وهو ما يجلب حسرةً إلى النفوس ، وألماً إلى الصدور ، وحزناً إلى الشعور .

وإن كل من يتصفّح الكتب الهندية ، ويدقّق النظر في تنوعها وجودتها ، ويعمل الفكر في فنونها وأقسامها خلال العصر المغولي يقف إجلالاً وتقديراً لعلمائها وأدبائها، وكتابها وأئمتها ، ويعظم ملوكها وسلاطينها ، لرعايتهم الكريمة ، وتشجيعهم المتواصل لذوي العلم والفكر ، والإبداع والتطوير .

وفي ضوء خاتمة البحث ونتائجه نُقدِّم بعض التوصيات فيما نراه جديراً بها على الشكل التالي : ـ

١ـ تحقيق المخطوطات القديمة الموجودة في شبه القارة الهندية تحقيقاً علمياً سواء أكانت في اللغة العربية أم في غيرها ، وذلك إمّا بتكليف الطلاب في الجامعات العلمية لنيل درجة الدكتوراه أو الماجستير بتحقيقها ودراستها ، أو بتشكيل لجنة خبيرة بفنّ

المخطوطات ودراسة نصوصها ، والتعليق عليها والمقارنة بين نُسخها للقيام بهذه المهمّة العلمية ، والخدمة الجليلة للفكر الثقافي ، والعقل الواعي .

٢ـ إعادة الطباعة للكتب المطبوعة القديمة ، والعناية بها تخريجاً وتعليقاً ، وفهرسةً وتبويباً ، وبذلك نُعيد إليها روح الحياة من جديد ، ونلبسها ثوب الحداثة والتشويق ، ولاسيما أن معظم تلك الكتب التي طبعت في الهند قديماً أوشكت على الانتهاء من الأسواق العامة للكتب ، وتقلّل وجودها بسبب قدمها ، وضعف أوراقها ، ورثاثة تجليدها، وصعوبة قراءتها.

٣ـ ترجمة الكتب الفارسية ، والأُردية، والسّنْسكريتية ، سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة ؛ حيث اكتشفنا خلال رحلتنا العلمية في هذا البحث بأن هناك آلافاً من الكتب الرائعة ، والمقالات المبدعة في سائر العلوم والفنون العقلية والنقلية ومنها العربية وآدابها صُنِّفت بتلك اللغات الأجنبية ، وخاصة الفارسية باعتبارها كانت لغة الدولة المعتمدة ، ولسان الثقافة الشائعة خلال العصر المغولي .

٤ـ طباعة الرسائل العلمية التي تُقدَّم لنيل درجة الدكتوراه أو الماجستير إلى الجامعات في شبه القارة الهندية ، وترجمة ما كتبت بغير العربية إلى العربية للاستفادة من أفكار علماء الهنود ، والاطلاع على كنوزهم ، والتزوّد بثقافاتهم في سائر المجالات العلمية .

٥ـ إنشاء مؤسَّسات علمية ، ومراكز ثقافية ، وإيجاد وسائل فنيّة بين الدول العربية والعالم الإسلامي ومنه شبه القارة للتبادل الثقافي ، والتواصل العلمي ، وبتلك الطرق تتضح الآفاق ، وتتيسّر السبل أمام الباحثين والعلماء ، وطلاب الدراسة والتصنيف لتلقيح الأفكار ، وتنوير الأبصار ، وتوظيف المسائل ، وتدويل الاستنباط فيما بينهم عبر مختلف البلدان .

٦ـ الاعتناء بتدوين تاريخ اللغة العربية وآدابها الفنية خاصة ، والعلوم الإسلامية والعقلية عامّة ، ودراسة شخصياتها وأعلامها المشهورة في جميع العصور المختلفة منذ دخول العربية إلى شبه القارة وتنور أراضيه بنور الإسلام إلى عهد الاستقلال من الاستعمار البريطاني ، وفرز الفنون والعلوم بعضها عن بعض ، ودراسة أدوارها عبر القرون ؛ لتكون الفائدة أعمّ ، والإحاطة أشمل ، والجهود أشرق .

٧ـ إبراز خدمات المساجد القديمة ، والمدارس الدينية ، والزوايا الصوفية ، ودورها المؤثر في نشر اللغة العربية وآدابها ، ودراسة نشاطاتها اللغوية ، ومناهجها التدريسية للحفاظ على قواعد العربية واستمرارية أصولها ، والرغبة في تعلمها وتعليمها ؛ لكونها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي .

٨ـ إعداد فهرس مفصّل للكتب التي أُلِّفت في اللغة العربية وفنونها مع الإشارة إلى وضعها الحالي أهي مطبوعة أم مخطوطة ، ويتضمّن ذاك الفهرس معلومات عن الكتب ومؤلِّفيها ودور النشر ولغتها بشكل مختصر إن كان مطبوعاً ، وذكر الأرقام في فهرس المكتبات والمخطوطات ، والتدليل على أماكن وجودها إن كان مخطوطاً ، وذلك بحسب أقسام العربية وآدابها في شبه القارة على غرار معجم المطبوعات العربية والمعرّبة لإليان سركيس .

٩ـ دراسة دَوْرِ حكام المسلمين وموقفِ سلاطينهم في شبه القارة اتجاه اللغة العربية وآدابها عبر العصور وتأثّرهم بها في حياتهم الثقافية ، ومساهمتهم في نشرها ، والتمسك بها ، والتقديس لها في أرجاء المعمورة .

١٠ـ تبادل الزيارات العلمية ، وإرسال الوفود ، وإعطاء المِنَح الدراسية للطلاب وتنسيقها المنظم بين العالم العربي وشبه القارة الهندية للاطلاع على الجامعات

المنتشرة في ربوع البلادوالمدارس الدينية، والمكتبات العامة والخاصة للمخطوطات، والوقوف على التراث الإسلامي ، والنشاط العلمي لكلٍّ دولة على حِدَة .

وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذه الرسالة ، ولله الحمد أولاً وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

أولاً الكتب المطبوعة :

ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، **نظرات في الأدب** ، دار البشير ، عمّان ـ الأردن . ـ ط ٢. ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م . (رابطة الأدب الإسلامي العالمية ٢) .

ـ **ومختارات من أدب العرب** ؛ تعليق أبي الفضل عبد الحفيظ البلياوي ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت . ـ ط ١. ـ ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .

ـ **والمسلمون في الهند** ، دار ابن كثير ، دمشق ـ سورية ـ بيروت . ـ ط ١. ـ ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .

ـ **ورجال الفكر والدعوة في الإسلام** ، دار ابن كثير ، دمشق ـ سورية ، لبنان ـ بيروت . ـ ط ٣ . ـ ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م .

ـ أبو الفيض فيضي بن المبارك ، **سواطع الإلهام** ، تصحيح نخبة من العلماء ، دار مراسم سمار أوده ، الهند . ـ د ط . ـ د ت . (وهي طبعة قديمة جداً) .

ـ أبو المعالي أطهر المباركبوري ، **العقد الثمين في فتوح الهند ومَنْ ورد فيها من الصحابة والتابعين** ، دار الأنصار ،[القاهرة] ، . ـ د ط . ـ ١٩٧٧ م .

ـ أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة النهضة المصرية [القاهرة] . ـ ط ٧ . ـ د ت .

ـ أحمد محمود الساداتي ، **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم** ، مكتبة الآداب ، القاهرة ـ مصر . ـ د ط . ـ د ن .

ـ أحمد إدريس ، **الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، [القاهرة] . ـ ط ١ . ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م .

ـ أحمد حسن الزيات ، **تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا** ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١٥ . ـ ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣ م .

ـ أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، [بيروت] . ـ ط ١ . ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.

وطبعة أخرى بتحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة . ـ ط ١ . ـ ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م .

ـ أحمد بن شعيب النسائي ، **السنن الكبرى** ، تحقيق وتخريج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م .

ـ أحمد بن محمد بن علي الفيّومي ، **المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير (معجم عربي ـ عربي)** ، مكتبة لبنان ، بيروت ـ لبنان . ـ د ط . ـ ١٩٨٧ م .

ـ أحمد بن محمد اليمني الشرواني ، **نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن** ، مطبع فتح الكريم ، بمنبيء ـ الهند . ـ د ط . ـ ١٢٩٧ هـ .

ـ و**عجب العجائب فيما يفيد الكتاب** ، مطبع الحيدري ، بندر المنبيء ـ الهند . ـ د ط . ـ ١٢٩٥ هـ .

ـ أحمد الفاروقي ، الإمام الرباني السرهندي ، **المنتخبات من المكتوبات** ، مكتبة الحقيقة ، اسطنبول ـ تركيا . ـ د ط . ـ ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م .

ـ أحمد زين الدين المعبري الملبياري ، **تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين** ؛ تحقيق وتعليق وتقديم محمد سعيد الطريحي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١. ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م (دائرة المعارف الهندية ١) .

ـ أحمد الإسكندري وآخرون ، **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه** ، مطبعة المعارف ، مصر . ـ ط ١. ـ ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩م .

ـ **والمنتخب من أدب العرب** ، دار الكتاب العربي ، مصر . ـ د ط . ـ ١٩٥٣ م .

ـ **والمفصّل في تاريخ الأدب العربي في العصور القديمة والوسيطة والحديثة** ، تقديم وضبط وتعليق الدكتور حسّان حلّاق ، دار إحياء العلوم ، بيروت . ـ ط ١. ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م .

ـ أحمد الهاشمي ، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب** ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، طبعة جديدة محققة ومنقحة بإشراف لجنة من الجامعيين ، د ت .

ـ أحمد بن علي القلقشندي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، . ـ د ط . ـ د ت .

ـ أحمد بن علي ، ابن حجر العسقلاني ، **الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع** ، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م .

ـ أحمد بن يحيى البلاذري ، **فتوح البلدان** ، تحقيق وشرح عبد الله أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت. ـ د ط . ـ د ت ، وطبعة أخرى طبعت بدار ومكتبة الهلالبيروت ـ . ـ د ط . ـ د ت .

ـ أحمد الشايب ، **أصول النقد الأدبي** ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ـ مصر . ـ ط ١٠ . ـ ١٩٩٤ م .

ـ إبراهيم شمس الدين ، **قصص العرب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م .

ـ إبراهيم مصطفى وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة [القاهرة] . ـ د ط . ـ د ت.

ـ إبراهيم بن محمد الأصطخري ، **المسالك والممالك** ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، . ـ د ط . ـ د ت .

ـ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، أبو الفداء الدمشقي ، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي [بيروت] . ـ ط ١ . ـ ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م .

ـ إسماعيل بن حماد الجوهري ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت . ـ ط ٤ . ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م.

ـ إسماعيل العربي ، **الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية** ، الدار العربية للكتاب ، [تونس ـ ليبيا] . ـ د ط . ـ ١٩٨٥ م .

ـ بطرس البستاني ، **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام** ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ـ مصر . ـ د ط . ـ ٢٠١٢ م .

ـ جمشيد أحمد الندوي ، **البحوث الجامعية في الجامعات الهندية حول الأدب العربي** ، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، السعودية ـ الرياض . ـ ط ١ . ـ ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م .

ـ حسن صالح شهاب ، **عجائب الهند لبُزُرْك بن شهرياريين الحقيقة والأسطورة** ، أبو ظبي للثقافة والتراث ـ دار الكتب الوطنية ، الإمارات العربية المتحدة . ـ ط ١ . ـ ٢٠١٠م.

ـ حسن عباس ، **نشأة المقامة في الأدب العربي** ، دار المعارف [القاهرة] . ـ د ط . ـ دت.

ـ حنا الفاخوري ، **تاريخ الأدب العربي** ، دار بيروت الكبرى ، [بيروت ـ لبنان] . ـ ط ١ . ـ ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م .

ـ و**الجامع في تاريخ الأدب العربي**ـ الأدب القديم ، دار الجيل، بيروت . ـ ط١. ـ ١٩٨٦م.

ـ خليفة بن خياط الشيباني البصري ، **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، دمشق ـ مؤسسة الرسالة ، بيروت . ـ ط ٢ . ـ ١٣٩٧ م .

ـ رنيهارت بيتر آن دوذي ، **تكملة المعاجم العربية** ، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي وجمال الخياط ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية . ـ ط ١ . ـ ١٩٧٩ ـ ٢٠٠٠ م .

ـ زبيد أحمد ، **الآداب العربية في شبه القارة الهندية** ، ترجمه عن الانجليزية وعلق عليه الدكتورعبد المقصود محمد شلقامي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، العراق . ـ د ط . ـ ١٩٧٨ (سلسلة الكتب المترجمة ٥٠) .

ـ زكي مبارك ، **النثر الفني في القرن الرابع** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ـ مصر . ـ د ط . ـ ٢٠١٣ م .

ـ سعيد الأعظمي الندوي وآخرون ، **اللغة العربية في الهند** ، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، [السعودية ـ الرياض] . ـ ط ١ . ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٤م .

ـ سليمان بن أحمد ، أبو القاسم الطبراني ، **المعجم الوسيط** ، تحقيق : طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة. ـ د ط . ـ د ت.

ـ و**المعجم الصغير**، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ، دار عمار ـ بيروت، عمان . ـ ط ١ . ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ سمير عبد الحميد إبراهيم ، **الأدب الأردي الإسلامي** ، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وزارة التعليم العالي ، السعودية ـ [الرياض] . ـ د ط . ـ د ت . [سلسلة آداب الشعوب الإسلامية ٢] .

ـ شوقي ضيف ، **تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول** ، دار المعارف [القاهرة] ، . ـ ط١٦ . ـ ٢٠٠٤ م .

ـ **والفن ومذاهبه في النثر العربي** ، دار المعارف [القاهرة] . ـ ط ١٣. ـ د ت.

ـ طرفة بن العبد ، **ديوانه** ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان. ـ ط ١ . ـ ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م .

ـ الطاهر أحمد الزاوي ، ـ **ترتيب القاموس المحيط** ، الدار العربية للكتاب، [تونس ـ ليبيا] . ـ ط ٣ . ـ ١٩٨٠ م .

ـ عبد الأول بن علي الجونفوري ، **الطريف للأديب الظريف** ، مطبع أصحّ المطابع ، لكهنؤ ـ الهند . ـ د ط . ـ ١٣١٣هـ .

ـ عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** ، المسمى بـ : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، دار ابن حزم ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١ . ـ ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .

ـ **والهند في العهد الإسلامي**، مراجعة وتقديم أبي الحسن علي الحسني الندوي، دار عرفات ، الهند . ـ د ط . ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م (مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية) .

ـ **والثقافة الإسلامية في الهند** ، المسمّى بـ : معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ـ مصر . ـ د ط . ـ ٢٠١٢ م .

وطبعة أخرى مراجعة وتقديم أبو الحسن علي الحسني الندوي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دمشق . ـ د ط . ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

ـ عبد الحي بن أحمد ، ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، وتخريج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

ـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، نشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض ـ السعودية . ـ د ط . ـ د ت .

ـ عبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون الأشبيلي ، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ـ ط ٢ . ـ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

ـ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، **مسند الدارمي ، المعروف بسنن الدارمي** ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني ، السعودية . ـ ط ١ . ـ ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠٠ م .

ـ عبد الله بن المُقَفَّع ، **كليلة ودمنة** ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة . ـ ط ١٧ . ـ ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

ـ عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، **المسالك والممالك** ، دار الغرب الإسلامي [بيروت] . ـ د ط . ـ ١٩٩٢ م .

ـ عبد القادر بن عمر البغدادي ، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، . ـ ط ٤ . ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م .

ـ عبد المنعم النمر ، **تاريخ الإسلام في الهند** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، . ط ١. ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

ـ عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، **دستور العلماء ، المسمّى بجامع العلوم في اصطلاحات الفنون** ، تعريب حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١ . ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م .

ـ علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري ، عز الدين ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان. ـ ط ١. ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م .

ـ علي بن الحسين بن علي المسعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، مطبعة السعادة ، مصر . ـ ط ٢ . ـ ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م

ـ علي بن محمدبن علي ، السيد الشريف الجرجاني ، **التعريفات** ، تعليق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان. ـ ط ٢. ـ ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م.

ـ علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، **المخصّص** ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م .

ـ عمر فروّخ ، **تاريخ الأدب العربي ـ الأدب القديم** ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ٤. ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م .

ـ **وتاريخ الأدب العربي ـالأعصر العباسية** ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ٤. ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

ـ عيد حمد الخريشة ، **تطور الأساليب الكتابية في العربية** ، دار المناهج ، عمّان ـ الأردن . ـ ط ١ . ـ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م .

ـ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي ، **سبحة المرجان في آثار هندستان** ؛ تقديم وتحقيق محمد سعيد الطريحي ، دار الرافدين ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١ . ـ ٢٠١٥ م .

ـ القاسم بن علي الحريري، أبو محمد ، **المقامات الحريرية** مع الحواشي المفيدة المسمّاة بـ: التعليقات العربية لمحمد إدريس الكاندهلوي ، مكتبة البشرى ، كراتشي ـ باكستان . ـ ط ١ . ـ ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م .

ـ قطب الدين أحمد ، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي ، **التفهيمات الإلهية** ، سلسلة مطبوعات المجلس العلمي ، برقي بريس ـ الهند . ـ د ط . ـ ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

ـ كارل بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربي ـ العصر العثماني**ـ، ترجمه إلى العربية د. محمود فهمي حجازي ود . عمر صابر عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب [مصر] ، . ـ د ط . ـ ١٩٩٥ م .

ـ لجنة من أدباء الأقطار العربية منهم شوقي ضيف ، **المقامة ـ فنون الأدب العربي** ، دار المعارف ، بمصر القاهرة ، . ـ ط ٣ . ـ ، د ت .

ـ ماهر شعبان عبد الباري ، **التذوق الأدبي (طبيعته ـ نظرياته ـ مقوماته ـ معاييره ـ قياسه)** ، دار الفكر ناشرون وموزعون ، عمان ـ الأردن . ـ ط ٣. ـ ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١م .

ـ محمد صديق بن حسن خان القنّوجي ، **أبجد العلوم** ـ الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، وضع فهارسه عبد الجبار زكار ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ـ دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ د ط . ـ ١٩٧٨ م .

ـ و**الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية [الدوحة] ، قطر . ـ ط ١ . ـ ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م .

ـ **ونَشْوة السكران من صهباء تذكار الغِزْلان** ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ـ تركيا . ـ د ط . ـ ١٢٩٦ هـ .

ـ محمد بنأحمد البيروني ، أبو الريحان، **تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة**، عالم الكتب ، بيروت ، . ـ ط ٢ . ـ ١٤٠٣ هـ .

وطبعة أخرى طبعت بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند . ـ د ط . ـ ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .

ـ محمد بن عيسى بن سَوْره الترمذي ، **الجامع الصحيح ، المعروف بسنن الترمذي** ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت . ـ د ط . ـ ١٩٩٨ م .

ـ محمد بن سلامة القضاعي المصري ، **مسند الشهاب** ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ـ ط ٢ . ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م .

ـ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، **جمهرة اللغة** ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ١٩٨٧ م .

ـ محمد الطاهر بن عاشور ، **أصول الإنشاء والخطابة** ، مطبعة النهضة ، تونس . ـ ط ١ . ـ ١٣٣٩ هـ .

ـ محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ، **صورة الأرض** ، دار صادر ، أفست ليدن ، بيروت . ـ د ط . ـ ١٩٣٨ م .

ـ محمد بن أحمد الأزهري الهروي ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ـ ط ١ . ـ ٢٠٠١ م .

ـ محمد بن مكرم بن علي ، ابن منظور الأنصاري ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت . ـ ط ٣ . ـ ١٤١٤ هـ .

ـ محمد بن أحمد ، شمس الدين ابن عقيلة ، **الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة** ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد رضا ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت. ـ ط ١ . ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ محمد بن أحمدالذهبي ،شمس الدين ، **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ـ د ط . ـ د ت .

ـ محمد بن محمد ، أبو الفيض مرتضى الزبيدي البلكرامي ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، الكويت . ـ د ط . ـ د ت .

ـ محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، ابن بطوطة ، **رحلة ابن بطوطة ، المسمى بـ : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ـ المغرب . ـ د ط . ـ ١٤١٧ هـ .

وطبعة أخرى طبعت بدار الشرق العربي د م . ـ د ط . ـ د ت .

ـ محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت. ـ ط ١ . ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

ـ محمد بن يزيد المبرّد ، أبو العباس ، **الكامل في اللغة والأدب** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة. ـ ط ٣ . ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م .

ـ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ، **مجموعة الخطب اللكنوية المسمى باللطائف المستحسن بجمع خطب شهور السنة** ، اعتنى بجمعه وتقديمه نعيم أشرف نور أحمد ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ـ باكستان . ـ ط ١ . ـ ١٤١٩ هـ .

ـ محمود بن عمرو ، أبو القاسم ، الزمخشري جار الله ، **أساس البلاغة** ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان . ـ ط ١ . ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م .

ـ محمود بن عمرو ، أبو القاسم ، الزمخشري جار الله ، **الفائق في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق : علي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت ـ لبنان . ـ ط ٢ . ـ د ت .

ـ محيي الدين الألوائي ، **الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية** ، دار القلم ، دمشق . ـ ط ١. ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

ـ مصطفى صادق الرافعي ، **تاريخ آداب العرب** ، راجعه وضبطه عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري ، مكتبة الإيمان ، القاهرة . ـ د ط . ـ ١٩٩٧ م .

ـ معين الدين الندوي ، **معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر** ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن [الهند] ـ . د ط . ـ ١٣٥٣ هـ .

ـ موهوب بن أحمد بن محمد ، أبو منصور ابن الجواليقي ، **شرح أدب الكاتب لابن قتيبة** ، تقديم مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت . ـ د ط . ـ د ت.

ـ نظام الدين أحمد بخشى الهروي ، **المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني ، المسمّى بـ : طبقات أكبرى** ، ترجمة عن الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، [مصر] . ـ د ط . ـ ١٩٩٥ م ، الجزء الثالث .

ـ واضح رشيد الندوي ، **تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي**، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء ، لكهنؤ ـ الهند. ـ د ط . ـ ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م.

ـ وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت ، **قصة الحضارة** ، ترجمة : الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين ، دار الجيل ، بيروت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

ـ ياقوت بن عبد الله الروميالحموي ،**معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت . ـ ط ٢. ـ ١٩٩٥ م .

ب ـ الرسائل الجامعية :

ـ خالدة أمجد ، **النثر الفني في شبه القارة الهندية** ، جامعة بنجاب ـ لاهور ،الكلية الشرقية ، باكستان ، ٢٠٠٦ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) .

ـ السيد شاهد رسول كلكلخيل ، **العلامة محمد أنور شاه الكشميري في ضوء إنتاجاته الأدبية والعلمية** ، الجامعة الإسلامية ـ بهاولبور ، قسم اللغة العربية وآدابها ، باكستان ،١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) .

ـ طاهر أسلم ، **وضع اللغة العربية في كشمير ودور المدارس في نشر اللغة العربية في كشمير الحرة** ، إسلام آباد ـ باكستان ، ٢٠٠٤ م، رسالة دكتوراه ، غير منشورة .

ـ محمد إرشاد ، **إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة والتاريخ والتراجم بالعربية** (دراسة نقدية وتحليلة)، جامعة بنجاب ـ لاهور ، الكلية الشرقية ، باكستان ، ٢٠٠٦ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) .

ـ محمد عارف نسيم ، **مقامات ويلورية لمحمد باقر المدراسي** ، تحقيق ودراسة ، جامعة بشاور ، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ـ باكستان ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) .

T.C.

Dicle Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü

Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı

Arap Dili ve Belağatı Bilim Dalı

Yüksek Lisans Tezi

HİND ALT KITASI ALİMLERİNİN EDEBİ NESİR ÇALIŞMALARI (MOĞOLLAR DÖNEMİ ÖRNEĞİ)

Mahmoud NAASSAN

15912014

Danışman

Doç. Dr. Mustafa ÖNCÜ

Diyarbakır 2017

T.C.

Dicle Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü

Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı

Arap Dili ve Belağatı Bilim Dalı

Yüksek Lisans Tezi

HİND ALT KITASI ALİMLERİNİN EDEBİ NESİR ÇALIŞMALARI (MOĞOLLAR DÖNEMİ ÖRNEĞİ)

Mahmoud NAASSAN

15912014

Danışman

Doç. Dr. Mustafa ÖNCÜ

Diyarbakır 2017